ملحمة أم المعارك

العراق في مواجهة عبدة الشيطان

اسماعيل عبد الله الجاف

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيــــــد

آخر الحروب الكبيرة في القرن العشرين ...
وبالنسبة للعالم بشكل عام فانها تعرف بحرب الخليج ، ولقد سبق لتحالف الاطلسي أن أطلق على عملياتها العسكرية في حينها : عاصفة الصحراء .. لكن كلاً من طرفي المنازلة الرئيسيين ، العراق من جهة ، واسرائيل من جهة مقابلة ــ كان قد عرف تسميتها مسبقاً وحددها على انها : أم المعـــارك .

عن تلك الحرب ، وحولها ، يتحدث هذا الكتاب .

لكن مضمونه ليس كما يبدو للوهلة الاولى !
هذا الكتاب يتقصى بالبحث والتحليل حقيقة ما جرى في تلك الحرب ، لكن عملية التقصي ــ وفق اجتهادي الشخصي ــ اتسعت لاكثر من ذلك الزمن الممتد بين فجر الثاني من آب ١٩٩٠، تاريخ الدخول العراقي لاراضي الكويت ، وحتى وقف العمليات القتالية في الثامن والعشرين من شباط ١٩٩١...

ذلك انه في حالة التعامل مع أحداث غير طبيعية ، أو أزمات بالحجم الهائل الذي وقع في ذلك الوقت ، لا يكفي النظر الى ماهو ظاهر منها فحسب .. لان الحقائق ــ لمن يبحث عنها ــ لا تكون مرئية في الغالب على السطح .. انها تبعد عن ذلك بمسافات طويلة نحو الاعماق !

هذا الكتاب ــ قارئي العزيز ــ يغوص بك لمسافات أبعد مما تتخيل !
وعلى طريقة ما تفعله البرامج التلفزيونية ، كعنصر من عناصر التشويق والتحفيز للمتلقي ، حين تسبق العرض بتقديم مونتاج قصير لاهم اللقطات والمشاهد فيما سيرد من مادتها الوثائقية .. اخترت بدوري أن اقوم بعمل مونتاج تلفزيوني مماثل كتمهيد سريع قبل ان نبدأ رحلتنا مع الكتاب .
شريط تتابع فيه اللقطات كالتالي :
....

اللقطة الاولى :

وقفت الشياطين تراقب بفزع ذلك المشهد المرعب .. براكين غاضبة تثور ، وامواج عملاقة ترتفع كالجبال لتبتلع صروح امبراطورية اطلانتس ... وكان كبيرهم ابليس يصيح متوعداً :
((لا! .. لم ينته الامر.. سأعيد بناء الحضارة التي زالت ، وسأحكم العالم بنظامي .. النظام العالمي الجديد)) .
....

اللقطة الثانية :
كان اعضاء الطبقة المستتيرة في غاية الارتياح ، وقد تحقق أخيراً الجزء الاهم من خطتهم بنجاح ، فهم قد اقتربوا كثيراً من الهدف النهائي ، وهاهو أحد أبرز اعضائهم قد وصل اخيراً الى سدة الحكم : النمرود .
....

اللقطة الثالثة :
واذا بالتجربة الامبراطورية تتكرر بذاتها . والنموذج المعتمد في بناء وتجميع ما نعرفه اليوم بالولايات المتحدة الامريكية ، هو نفسه الذي تم اعتماده قبل آلاف السنين في مصر عند تأسيس الولايات المتحدة الفرعونية !
....

اللقطة الرابعة :
كان السامري مفتوناً بنفسه كما لم يكن من قبل .. قدراته الفذة كانت تتنامى بسرعة كبيرة مع الوقت .. أصبح يبلغ من العمر مئة عام ، لكنه كان يبدو كابن الثلاثين ، مفعماً بالقوة والشباب ولا تبدو عليه امارات الكهولة ..
....

اللقطة الخامسة :
تصرف الكهنة كما لو انهم اصحاب الحق الشرعي في إرث سليمان (عليه السلام) ، وفي نظرهم انها كانت اللحظة التاريخية لتسيطر نصوص الحكمة القديمة على المسجد ، وتعلن بذلك بداية عهد جديد للعالم أجمع .
....

اللقطة السادسة :
لم يتمالك موشي دايان اعصابه وهو يعيش نشوة تلك اللحظات من يوم السادس من حزيران ١٩٦٧.. فبعد ساعات معدودة من الاحتلال الاسرائيلي لمدينة القدس كان يردد بفرح :
((استولينا على اورشليم .. ونحن في طريقنا الى بابل)) .
....

اللقطة السابعة :
لم يكن الحوار سهلا ، وبدا أن لعبة السؤال والجواب لم ترق للناشط اليهودي هارولد والاس روزنتال ، حتى صارح الصحفي والتر وايت بالقول :
((ابليس هو ربنا .. ونحن ــ اليهود ــ شعبه المختار)) .
....

اللقطة الثامنة :
في لقاء تلفزيوني مع المبشر الانجيلي جيم بيكر ، بدا حديث مرشح الرئاسة الامريكي رونالد ريغان مثيراً وهو يقــول :
((ربما نكون الجيل الذي سوف يشهد هرمجدون)) .
....

اللقطة التاسعة :
خلال الحرب العراقية ــ الايرانية ، وفي اثناء زيارته لاحدى المدارس الابتدائية ، سأل الرئيس صدام حسين التلاميذ :
((من عدونـــا الاول ؟))
و أجاب التلاميذ بعفوية : ((الفرس المجوس)) .
لكن الرئيس صدام قال : ((كلا .. عدونا الاول هم الصهاينة)) .
....

اللقطة العاشرة :
تصاعدت نبرة الرئيس صدام مع كل كلمة كان يقولها ، امام ذلك الحشد من قادة الجيش العراقي ، حتى وصلت الى الذروة حين أعلن :
((واذا توهموا انهم يعطون غطاء لاسرائيل ، لكي تضرب بعض (الحدايد) بالصناعة، فانهم واهمون في ذلك. فوالله لنجعل النار تأكل نصف اسرائيل ، اذا حاولت القيام بأي شئ على العراق)) .
....

اللقطة الحادية عشر :
ثم وصل الرئيس بوش ــ الاب في خطابه أمام الامريكيين الى نقطة فاصلة ، وقال :
((إن ماهو على المحك ، أكثر من مجرد بلد صغير .. بل هي فكرة كبيرة : نظام عالمي جديد)) .
....

اللقطة الثانية عشر :
صباح ذلك اليوم أعلن الرئيس صدام حسين بدء المنازلة :

((في الثانية والنصف بعد منتصف هذه الليلة ، ليلة ١٦/١٧ غدر الغادرون فارتكب زميل الشيطان بوش جريمته الغادرة، هو والصهيونية المجرمة، وابتدأت المنازلة الكبرى في أم المعارك)) .

....

اللقطة الثالثة عشر :
لم يكن منظر السماء رائعاً كما كان في تلك الليالي .. من فوق أسطح المنازل ، كان الفلسطينيون يراقبون الحدث وهم يصيحون ((الله أكبـــر)) .. دفقات من الصواريخ العراقية كانت تشق طريقها بثقة نحو اهدافها في أحياء تل أبيب وحيفا ..
وعلى الجانب الآخر ، اصيب الصهاينة بحالة شبه هستيرية .. كانوا يهرعون الى الملاجئ تحت ضربات الصواريخ وهم يصرخون :
((فعلوها مرة أخرى .. فعلها أحفاد نبوخذ نصر !)) .

....

اللقطة الرابعة عشر :
((إن بغداد مصممة ، شعباً و ولاة أمر، على أن تجعل مغول العصر ينتحرون على اسوارها)) .
كانت هذه العبارة ايذاناً ببدء المعركة ، وقبول التحدي في مواجهة العدوان القادم .. حيث اعلن الرئيس ان محيط بغداد سيكون ساحة المعركة الحاسمة مع المعتدين .

....

اللقطة الخامسة عشر :
جميع وكالات الانباء العالمية نقلت التصريح ذاته للرئيس جورج بوش ـــ الابن :
((الرب هو الذي أمرني بغزو العراق)) .

○ ○ ○

أجل ، قارئي العزيز ..
أفهم شعورك تماماً ، وأشاطرك بدوري الشعور نفسه !

فاستعادة الذكريات عن أحوال تلك الايام ... ما وقع من أحداث في العام ١٩٩٠ ، وما تبعه بعد ذلك من تداعيات استمرت منذ العام ١٩٩١ وحتى يومنا هذه .. كل هذا يصيب النفس بشعور غير مريح ، ويوحي بان رحلة البحـــث في هذا الكتاب لن تكون تجربة ممتعة !

حين فكرت بالكتابة عن هذا الموضوع ، اكتشفت على الفور أن ما هو مطلوب مني لهذا الغرض سيكون مهمة شاقة ... تتضمن البحث والتنقيب فيما حصل وقتها ، والتفتيش عن الحقائق المحجوبة وراء أكوام من تلفيقات الاعلام عن تلك المرحلة الحساسة من التاريخ .. وقراءة الوثائق المتعلقة بالحرب ، والاطلاع على شهادات من عاشوا تلك الايام ... شهادات ، القليل منها كان منصفاً ، والبعض منها حاول ان ينصف ، والغالب منها كان يظهر شماتة لاحدود لها ... وكل هذا كان بالنسبة لي (حرب أعصاب) يصعب احتمالها !

كان يسهل عليّ أن أعفي نفسي من مهمة كهذه .. وأرضى كغيري بالمنطق الذي اتوقع أن يطرحه الكثير من المهتمين بالشأن العراقي والعربي والاسلامي ، اذا ما اختاروا الحكم مبكراً على موضوع الكتاب بأن :
هذا ليس وقته !
ولا يجوز ان نستثير الجروح القديمة والامة تعاني ماتعانيه في الظرف الراهن !
ثم .. ان هناك أولويات بالنسبة للشأن العراقي ، وليس من الحكمة ان نتعامل مع ملفات قديمة يفضل الجميع نسيانها والاهتمام بمعالجة ما يحدث في العراق من مأساة !

منطق يبدو سليماً في ظاهره، و في الغالب لا يترك مجالا لاحد لكي يناقش في احتمالية الصواب والخطأ فيه .. ذلك لانه يعطي انطباعاً قوياً بالحكمة ، والشعور بالمسؤولية ، فضلا عن كونه يعبر بشدة عن الانتماء القومي ..

لذلك ، ورغم ان فكرة الكتابة اخذت تلح عليّ لفترات طويلة ، إلا انني كنت اقاومها وانا أحدث نفسي بأن : ليس هذا وقته ، ولا يجوز استثارة الجروح القديمة ، ثم ان هناك أولويات الاحتلال والأزمة العراقية والظرف العربي الراهن !

كنت راضياً بالتأجيل ، مقتنعاً بضرورة ان يأخذ عامل الزمن مجراه ، حتى يجئ ذلك اليوم الذي تهدأ فيه الخواطر وتتجاوز حدة الازمة ، وعند ذاك يكون مقبولا للآخرين إعادة فتح الملفات القديمة ..

لم أكن اريد لقناعتي أن تتبدل .. واذا كان الجميع قد اتفق ضمناً على قانون ((ليس هذا وقته)) ! فاني لم أكن على استعداد لان أؤدي بمفردي دور الخارج عن القانون ..

التزمت الصمت .. وشأن كل المهتمين بما يحدث في العراق ، انصرفت الى متابعة ما كنا نظنه دائماً الاولويات في الشأن العراقي : الاحتلال الامريكي، العملية السياسية، المقاومة العراقية، الفتنة الطائفية، الصراعات الحزبية، التغلغل الايراني، الدور التركي، الدور الخليجي، التحالفات الاقليمية، الاتفاقيات الامنية، ... ، ...

وحدث وسط هذا كله ، وفي فترات متفاوتة ، انني بدأت اتابع بقلق ظاهرة بدت لي آنذاك غير مفهومة ، خاصة وانها تخالف القانون المتفق عليه!

ظاهرة تبدت احياناً في مواقف لاطراف مهتمة بالشأن العراقي ، راحت تعيد فتح الموضوع دون مبرر واضح !

وكان منها أيضاً .. تصريحات من بعض الجهات التي اتخذت خيار مجابهة الاحتلال ، سياسياً واعلامياً وعسكرياً، راحت تصرح ــ دون مناسبة ــ ببرائتها من حرب الكويت ، وتتنصل من كل ما اقترفه النظام السابق بحق الآخرين!

ولعل مرة أو مرتين قد لا تلفت الانتباه في البداية ، لكن حين تتعدد المواقف وتتكرر التصريحات في هذا الاتجاه ، فان الامر بالقطع لا يرجع الى المصادفة البحتة !

وكان السؤال الماثل : كل هذا الذي يحصل .. لماذا ؟!

وهل هو نتيجة لحماقات بعض الذين لا يصبرون على اخفاء كراهيتهم الشخصية تجاه النظام العراقي السابق أو لا يستطيعون تأجيل اعلانها .. أم ان للامر مغزى آخر ؟!

لم تكن الاشياء واضحة امامي ، لكن تقديري وقتها انها كانت ظاهرة عابرة .. وأما من يعلنون المواقف او يطلقون التصريحات ، فلابد انه ستكون لهم وقفة مع عقولهم ، ويلتفتون بالتالي الى ما هو أهم .. وينتهي الموضوع !

وكم كنت مخطئاً .. فالظاهرة في حقيقتها لم تكن عابرة !

زادت المسألة بعد ذلك .. حين اجتهد البعض في إعداد أعمال وثائقية ، مكتوبة ومسموعة ومرئية، بدا واضحاً ان الغاية منها أن تدين النظام العراقي جملة وتفصيلاً، و تسرد الاحداث باسلوب مبهم وغامض ، يفتقر الى الموضوعية .. بل ويتخلى عن ابسط قيم الانصاف مع البشر ، مهما كانت المواقف تجاههم !

وكان ذلـــك يعني ان الامر تطور الى مستوى التلاعب بالتـــاريخ !

وكان السؤال الجديد : ما دخل هذه الاطراف بقضية التاريخ ؟

و محصلة هذا كله .. تصب في مصلحة من ؟!

هل كان الامر مجرد مصادفة أم ان سياسات مرسومة تقف وراء ما يجري ؟

كل الذي استطعت فهمه واستيعابه في تلك المرحلة ، أن قانون ((ليس هذا وقته)) قد صار في حكم الملغى !

الهواجس تحولت بمرور الوقت الى ظنون ، وهذه بدورها مع توالي الاحداث المرصودة تحولت الى شكوك قوية ، ثم لم تلبث الشكوك أن تأكدت الى يقين راسخ ..

وكما يحدث في لعبـــة الاحجية الشهيرة Puzzle ، حـــاولت ان أعيد تركيب القطع المتناثرة بنفسي .. بانتظار ان تكتمل الصورة الكبيرة ...

ولم أنتظر طويلاً ...
لقد اتضحت الصورة أمامي أخيراً !

○ ○ ○

قبل أن أدخل في محتويات الصورة وتفاصيلها ، أود أن أشير الى ظاهرة اخرى في عصرنا الحديث ، تستحق النظر ..

فعلى نحو ما ، ومع كل حرب تندلع ، أو بؤرة صراع تتكون وتنمو في بقعة من بقاع العالم .. تنشأ بالتوازي مع ذلك شبكة معقدة من العلاقات والاتصالات بين مجموعات من الاشخاص الذين تجمعهم أهداف ومصالح متباينة ... منهم سياسيون ، واعلاميون ، ومثقفون ، ومغامرون ... وفيهم كذلك رجال اعمال ، وسماسرة ، وتجار سلاح ... ومعهم أيضاً عناصر مخابرات ، وسفراء ، ومسؤولون حكوميون ...

هذا الخليط العجيب .. له مصطلح مميز ومعروف : **دكاكـــين السياسة !**
والمصطلح برأيي يعبر عن معناه بوضوح تام .. فهو يصف المتعاملين فيه بانهم يتاجرون بالقضايا السياسية على أساس الربح والخسارة ، لا على أساس القضية أو المبادئ ، وإن كانت (القضية والمبادئ) هي اللافتة الرئيسية لانشطتهم !

وفي حين أن شكل الحرب كما نعرفه ، أن يكون لها جبهات قتال واضحة ، كما ان يتقاتل فيها أطراف محددون ، فان تلك الدكاكين في الغالب تشذ عن هذه القاعدة ، إذ لا تعرف من يلعب ضد من ! .. ومن يتآمر ضد من! .. ومن يتحالف مع من ! ...

أسماء معينة تقفز الى الواجهة دون مقدمات ، واخرى تتراجع الى الخلف دون معرفة السبب ! .. وتحالفات تنشأ بسرعة وتعلن للجماهير انها الخلاص المنتظر لهم ، ثم تتفكك بعد فترة وينصرف أصحابها للتحالف مع لاعبين آخرين ! ..

مشهد محيـــّر .. ويبدو في ظاهره أن اصحاب الدكاكين يتحركون بلا هدف ! .. فتراهم يدورون في حلقة مفرغة ، او كما لو كانوا يركبون قطاراً ليست له محطة نهائية !

وفي العموم ، فان تركيبة هذه الدكاكين ، على اختلاف اصحابها وقضاياهم ، تتألف دائماً من ثلاث مكونات :

الاول ــ افراد أو مجموعات يمثلون الواجهة التنفيذية !
والثاني ــ جهات حكومية على اعلى المستويات ، تتولى مهام الرقابة على المكون الاول ، كما قد تتكفل بأعباء التمويل اذا كان ذلك ممكناً !

والثالث ــ قوى اجنبية ، لا تظهر غالباً في الواجهة .. تمسك بزمام القيادة والتوجيه للمكونين الاول والثاني .. ولعلها تتحمل مسؤولية التمويل اذا دعت الحاجة !

وقد يحدث في بعض الحالات ان اصحاب المكون الاول يجهلون هوية المكون الثالث أو حتى وجوده أصلاً !

هكذا أصف الظاهرة باختصار شديد ... ولا أريد ان اتوسع في توضيح تفاصيلها أكثر ، خصوصا وانها ستنال شرحاً وافياً في الفصول المتأخرة من هذا الكتاب ...

والذي أريد قوله هنا .. أنه كان من البديهي أن يشكل العراق بعد الاحتلال الامريكي مجالاً خصباً تنمو فيه وتترعرع أشكال متعددة من هذه الدكاكين ..

و هذه الدكاكين نفسها لعبت أدواراً شديدة الخطورة طوال زمن الاحتلال وسهلت له اقامة مشاريعه السياسية في مراحل متعاقبة .. كما جرى توظيفها في بعض الاوقات لاجهاض مشروع المقاومة في العراق ...

هذه الدكاكين .. كانت جزءاً حيوياً من الصورة الكبيرة !
وقضية الكويت كانت دائماً محوراً أساسياً ضمن السياسات المطلوبة منها !

وهكذا فان اعادة فتح الملفات القديمة لم يكن لمجرد الاهواء الشخصية !
والقانون المفترض ((ليس هذا وقته)) لم يكن له وجود أساساً !

إن حرب الخليج في العام ١٩٩١، لم تكن في حقيقــتها إلا فصلا من فصول مؤامرة كبرى مستمرة ، سبقته فصول طويلة ، ولحقته بعد ذلك فصول أخرى .. واليوم تكاد المؤامرة أن تبلغ فصلها الاخير ..

والمؤامرة استهدفت العراق ابتداءً .. لكنها تضمر الشر للانسانية جمعاء !

و العاملين في دكاكين السياسة يعملون لتحقيق الهدف النهائي للمؤامرة ، لكنهم ليسوا المستفيد الرئيسي من نتائجها .. هم مجرد أدوات لا أكثــر !

المستفيد النهائي عدو خفي ، لا يظهر في الواجهة الامامية .. انه يقف هناك في خلفية الصورة الكبيرة ، محجوباً عن الانظار حتى حين !

○ ○ ○

لم يكن التاريخ وحده هو المستهدف ، بل الحاضر أيضاً .. والمستقبل كذلك ..
فإذا لم يكن هذا وقته ... فمتى ؟! ..
هكذا قلت لنفسي ، وهكذا حسمت أمري أخيراً !

قررت أن أكتب .. وأن أضع للكتابة منهجاً خاصاً يختلف عما هو مألوف ..
حيث لا يمكن أن تكتب عن حرب دون أن تشخص أطرافها ابتداءً !
واذا كان العراق هو الطرف الظاهر من ناحية ، فان العدو على الناحية الاخرى لم يكن ظاهراً كما اسلفنا !
ولعلنا كنا نتصور العدو في السابق على انه (الولايات المتحدةالامريكية) أو (بريطانيا) أو (اسرائيل)، أو حتى (ايــران) .. وهذه كلها عناوين تقترب من الحقيقة لكنها لا تمس الجوهر كما ينبغي !
لهذا فان استخدام الاساليب النمطية في البحث والتحليل لن يؤدي بنا الى كشف هوية هذا العدو أو تحديد ملامحه .. ولقد قررت أن اعتمد في هذا الكتاب أساليب غير نمطية وغير مسبوقة !

ولا أدعي أنني أحمل معي خريطة دقيقة لمسيرة البحث .. كلما في الامر انني سأعود الى الوراء ، باحثاً عن الاصول والجذور قبل مئات .. بل آلاف السنين ، حين لاح الضياء الاول من فجر الانسانية ، وبدأ معه الفصل الاول من صراع الخير والشر المستمر الى يومنا هــذا ... وخلال الرحلة الطويــلة ألتقط ما يصادفني من أدلة ، او أسجل ما يمر امامي من شواهد ... ثم تكون لنا وقفات لمقارنة الادلة والشواهد مع ما يجري في واقعنا المعاصر ..

وذلك يعني ــ قارئي العزيز ــ أنني لا أفرض الاستنتاجات فرضاً عليك .. إذ لا يسعني القول بانني أملك الحقيقة المطلقة !
فقط انا احاول أن أفكر .. وأفكر .. وأعيد التفكير مراراً !
وهي دعوة موجهة لك لتجلس معي ، وتفكر ملياً ، معيداً النظر فيما كل ما كان يقال لنا في كتب التاريخ الرسمية ، أو ما يتم تسويقه لنا في كل وقت عبر وسائل الاعلام ويراد منا تصديقه على انه الحقيقة ولا شئ سواها !

هي دعوة للتفكر .. والقرار بعدها متروك لك لتتخذ ما تشاء من مواقف.
من المحتمل أن نتــفق ــ أنا وأنت ــ على بعض النقاط ، و قد نختلف بخصوص البعض الآخــر ..
ولا أستبعد أن يصل بنا الامر في مرحلة ما من الكتاب الى ان يمسك كل منا برقبة الآخر محاولاً خنقه !
المهم عندي في كل الاحوال أن تشرع عجلة التفكير بالدوران في الاتجاه الصحيح..
هذا هو المكسب الذي أطلبه .

الفصل الاول

ما قبـل التاريـخ ١

اسمح لي ان اقول ابتداء أن هذا الكتاب مع كتب اخرى سبقته في تناول نفس الموضوع أو ستلحق به فيما بعد ، ستشكل جميعاً باذن الله محاولات مفيدة لكسر الاحتكار .

وللاحتكار أنواع نعرفها جيداً ونسمع عنها في زماننا ... وعلى سبيل المثال ، احتكار العلم والمعلومات ، احتكار التقنية والمكتشفات الحديثة ، احتكار السلع والبضائع ... لكن الاحتكار المقصود هنا هو (احتكار التاريخ) ، وأظنه لم يزل تعبيراً جديداً لم يحدث ان اعتادت آذاننا على سماعه !

وصميم المشكلة في مشروع هذا البحث أنني واجهت هذا النوع من الاحتكار مع محاولتي لتطبيق المبدأ القائل : لكي تفهم ما يحصل عليك ان تعرف ما حصل .

كل هذا الذي نعيشه من أحداث وتفاعلات يومية على مستوى السياسة العالمية وما يترتب عليها من تفاعلات اضافية في المجالات الاخرى من حياتنا ، له في الحقيقة مقدمات تاريخية بعيدة جداً تعود الى ماض موغل في القدم .

لذلك كانت الصعوبة في أن العودة الى تلك المقدمات أشبه ما تكون بما يقوم به خبراء الآثار في الصحراء القاحلة ، يستعينون باجهزة بالغة الحساسية لالتقاط الاشارات وتفحص الرمال وغير ذلك .. ومن ثم يقومون باعمال التنقيب والحفر بالفرشاة ! .. إذ يصعب الاعتماد على المعاول أو المطارق مخافة ان تتسبب بتلف او تدمير الآثار المدفونة ..

هكذا .. كنت أواجه موقفاً مماثلاً وانا أبحث وأنقب في تاريخ جرى طمره بكميات من الرمال تعد بالاطنان .. ولست احمل معي لاغراض التنقيب غير الفرشاة والصبر الجميل .

ولاشك أن عوامل الزمن والمناخ كان لها نصيب كبير في عمليات طمر وتغطية التاريخ القديم . لكن النصيب الاكبر ساهمت به عوامل اخرى ليست طبيعية .. ولو تحدثت بصراحة أكثر لقلت : ان دفن الحقائق التاريخية تم بفعل فاعل ، عن سابق قصد وتصميم !

صدّق أو لا تصدق . فهذه هي الحقيقة ، وهي تبدو في منظورنا أحياناً أغرب من الخيال ــ على حد تعبير الكاتب والصحفي الامريكي مارك توين .

ومسألة احتكار التاريخ وحجبه بعمليات الدفن تحت الكثبان انما هي حلقة في مسلسل طويل ومرعب ، ابتدأ مشواره قبل آلاف السنين بمجموعة من الاشخاص راودهم الحلم بالسيطرة على العالم بأسره ، وساقهم الطموح الى ان يجتمعوا على فكرة أن يحكموه ويضعوا كافة مقدراته الطبيعية والبشرية تحت تصرفهم الكامل . وكان في تخطيطهم أن كل الوسائل مشروعة في سبيل تحقيق ذلك الهدف ، سواء تباينت هذه الوسائل بين الاغراء واللين أو الشدة المحسوبة ، أو حتى القسوة المفرطة اذا اقتضى الامر لاخضاع أي مقاومة قد تقف في طريقهم ..

ومع ذلك كان داخلا في حساب هؤلاء الاشخاص ان التعتيم واجب ومطلوب على جميع تحركاتهم . وبناء عليه كان البند الاول في خطتهم هو الصيغة المعاكسة تماماً للمقولة المذكورة اعلاه : فهم ما يحصل يتم بمعرفة ما حصل .. أي أنهم قرروا أن يحجبوا الرؤية عما حصل لكيلا يفهم أحد من الناس ما يحصل !

ومن هنا جاءت فكرة احتكار التاريخ : مجموعة هؤلاء الاشخاص احتفظت لنفسها بحق احتكار السجلات الحقيقية للتاريخ الانساني منذ بداياته الاولى وحتى أحداثه المعاصرة ، بينما قدمت للعالم سجلات اخرى بديلة خاضعة لعمليات الحذف والتزوير والتلاعب بحسب ما كان يلزم لتسيير خطتهم دون أن يشعر بهم أحد .

وهذه السجلات المزورة والمحرفة هي ما طالعنا خلاصتها في كتب المدارس ، أو قرأنا تفاصيلها في الموسوعات الرسمية .. حزمة من الروايات متضاربة وحافلة بالتناقضات . ورغم هذا ترسخ في عقول معظمنا انها تاريخ مسلّم في صحته بغير نقاش .. ونادراً ما كان يخطر على بالنا احتمالات المراجعة أو التدقيق في ذلك كله .

قد يقال :
إذا كان ما تقوله صحيحاً ، فما جدوى المراجعة بعد قرون من هذا الذي حصل ، وقد ضاع التاريخ الاصلي وليس بين أيدينا إلا هذا التاريخ الموضوع أمامنا ؟

واقول :
انني لا أستطيع أن أنكر بان عمليات الحجب والدفن تجعل من مهمة المراجعة مسألة عسيرة وغير كاملة النتائج .. ومع ذلك فان التاريخ المدفون ما زال ــ بعد كل هذه القرون والعصور ــ ينادينا من تحت .. نسمع منه بعض الاصداء أو نلتقط منه بعض الاشارات ولو كانت مجرد ذبذبات ضعيفة ..

وكان من حظنا كمسلمين ان الله تعالى حفظ لنا في كتابه العزيز قصص الانبياء وملاحمهم مع الامم والحضارت السابقة . ولولا ذلك لما وجدنا شيئاً منها في كتب التاريخ المقدمة لنا والتي لا تحوي تفاصيل ما يرويه القرآن على مسامعنا .

دعني أسألك سؤالا مهماً :
لماذا برأيك لا نجد أثراً لقصص الاقوام الكافرة في سجلات التاريخ الرسمية ؟
ثم .. أين هي قصص آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط ويوسف وموسى وشعيب وغيرهم من الانبياء (عليهم وعلى محمد أفضل الصلاة والسلام) ؟

لقد حذفت جميعاً من كل الكتب والسجلات ، لان من قام بذلك لايريد لنا أن نعرف كم مرة وقعت الهزيمة في الدول والامبراطوريات الكافرة في العالم ، وكم من الانبياء السابقين قادوا الناس في زمانهم لفضح خطط أصحاب تلك الدول والامبراطوريات ، ليتم بعدها بقوة الله تعالى انتصار ارادة الخير عليهم وتغليبها في الارض .

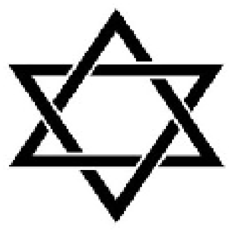
وازاء هذا نشعر بنعمة الله عز وجل علينا ونزداد يقيناً وشكراً له تعالى .
﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ •** ﴾ يوسف ٣

واذا كنت قد تحمست للموضوع بما يكفي فاني انتظر منك أن تسألني بالمقابل :
من هم هؤلاء الاشخاص ؟ هل هم موجودون حقاً .. وأين هم ؟ وما هي امكانياتهم ؟ وكيف توصلوا الى الى استغفالنا بتاريخ مزيف كل هذه السنوات والقرون ؟ وما هي الادلة على وجودهم ؟ وما هي خطتهم للسيطرة على العالم ؟

ولاكون واضحاً وصريحاً معك ، أقول : ليست هناك اجابات جاهزة على نمط الوجبات السريعة Take away . الاجابات في مثل حالتنا هذه ستستغرق كامل الكتاب ولعلها تحتاج الى أكثر من كتاب واحد .. ذلك اننا لا نتعامل مع مجموعة تقليدية من الاشخاص ، ولا نعرف لهم انتماء او جنسيات محددة بأرض او حدود أو لغة .. كما ان تواجدهم لا ينحصر في مقرات او مكاتب معروفة العناوين ..

انهم أشخاص غير تقليديين ، ولهذا فان اساليبهم بالقطع تكون غير تقليدية !

وعلى سبيل المثال ، فانهم اختاروا تقديم انفسهم للجماهير عن طريق رموز خاصة لها دلالات يعرفونها هم دون سواهم .. وكان أبرز رموزهم وأكثرها شيوعاً طوال عهود هو هذا الذي يظهر امامك :



أخشى انك ستتعجل القول بانها نجمة نبي الله داود (عليه السلام) ، وانها الرمز الاشهر الذي اتخذه اليهود فيما بعد شعاراً يزين علم دولتهم اسرائيل ، محصوراً بين شريطين ازرقين ، مشيراً الى حدود دولتهم المزعومة ((من النيل الى الفرات)) ..

والحقيقة ان هذا الرمز لا تربطه علاقة بنبينا داود (عليه السلام) من قريب ولا من بعيد . هذا وحده مثال حي للطريقة التي يجري بها التلاعب بالتاريخ .. كما أن الشعب اليهودي لم يتعرف الى هذا الرمز إلا قبل قرنين أو ثلاثة قرون !

هكذا !

هل تعلم ان هذه النجمة السداسية قد وجدت منقوشة على حفريات ورسوم آثارية تعود اعمارها الى أكثر من عشرة آلاف سنة . أي الى فترات تسبق كثيراً قيام الأمة اليهودية او بعث النبي داود (عليه السلام) ..

والنجمة في الاساس مكونة من التقاء هرمين أو مثلثين متقاطعين ، وهذا التقاطع يمثل التقاء عالمين مختلفين .. عالم الجن وعالم الانس .. وبالاصح : تلاقي كفرة الجن مع كفرة الانس !

الانس والجن .. هذا هو المفتاح لبداية القصة .

○ ○ ○

خلق الله تعالى الجن والانس ، وبيّن سبحانه الغاية من خلقهما في كتابه العزيز :
﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** • ﴾ الذاريات ٥٦

وخلق الجن كان متقدماً على خلق الانـــس :
﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ • وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ** • ﴾ الحجر ٢٦، ٢٧
[حمأ : طين أسود ، مسنون : مصبوب ، السموم : نار لا دخان لها .]

وفي حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) :
((خـــُلقت الملائكة من نور . وخلق الجان من مارج من نـــار . وخلق آدم مما وصف لكم)) . [صحيح ، مسلم : ٢٩٩٦]

والمعلومات المتوفرة عن خلق الجن : بداياتهم الاولى ، تاريخهم ، والمراحل المبكرة لهم في الحياة .. تكاد تكون معدومة .. باستثناء بعض المرويات التي وصلت الينا عن طريق التراث الاسرائيلي ، مما لا يصلح لأن يكون مادة علمية يمكن الاستناد اليها كحقائق ثابتـــة ومؤكدة..

أما عن خلق الانس .. فقصة الانسان الاول آدم (عليه السلام) كما وردت في مواضع عدة من القرآن الكريم ، وكما عرضت الاحاديث النبوية الشريفة لاجزاء متفرقة منها، تلخص لنا ما يمكن أن نعتبره (نقطة البداية) بالنسبة لنا :

بعد أن خلق الله سبحانه السماوات والارض ، كان الملأ الاعلى في حالة من الترقب وهم يستشعرون أن حدثاً عظيماً سيحدث في هذا الكون ، لكن تفاصيله لم تصل الى علمهم بعد .. حتى أنبأهم الله عز وجل بقوله :

﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ •** ﴾ البقرة ٣٠

وقد تعددت الآراء في تفسير كلمة (خليفة) .. واجتهد البعض بالقول ان المقصود بها ان المخلوق الجديد ــ الانسان سيكون خلفاً لمن سبقه ، أي أن جنساً آخر من المخلوقات استوطن الارض ــ ربما! ــ في حقبة ما من الزمن وارتكب من المعاصي والمفاسد ما حمل الملائكة على الظن بحتمية وقوع الامر نفسه مع الانسان !

وبعض المفسرين ذهبوا الى أن دلالة الكلمة في الآية تعني ان الانسان مكلف بمهمة الاستخلاف في الارض : أي اقامة الحياة المزدهرة باتباع منهج الله عز وجل .. ولا يمنع هذا أن الملائكة الكرام كانوا ملهمين بشكل ما بطبيعة المخلوق الجديد واحتمالات ان يميل في الزمن اللاحق الى الشر وارتكاب المفاسد !

كما ان هناك آراء اخرى ، لا يتسع المقام لعرضها جميعاً .. وأجدني اميل الى الرأي الثاني مع عدم استبعاد الرأي الاول ..

ولقد وصف الله سبحانه طبيعة هذا الكائن الجديد بانه مخلوق من الطيـــن :

﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ •** ﴾ سورة ص ٧١

وفي الحديث ، عن أبي موسى الاشعري (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ((إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض : جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود ، وبين ذلك ، والسهل والحزن والخبيث والطيب ، وبين ذلك)) . [صحيح ، أبو داود : ٤٦٩٣ ، الترمذي : ٢٩٥٥] .

هكذا جاء آدم ... حفنة من تراب الارض قبضها الله عز وجل فجعلها طيناً ، ثم خلقها وصوّرها جسداً من صلصال كالفخار ، طوله ستون ذراعاً ، أجوف لا روح فيه .. ثم شاء تعالى أن يتركه على هذه الحال ما شاء ..

وفي حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) :
((لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه . فجعل إبليس يطيف به . ينظر ما هو . فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك)) . [صحيح ، مسلم : ٢٦١١]
وفي لفــظ آخر :
((لما صور الله تبارك و تعالى آدم عليه السلام تركه ، فجعل إبليس يطوف به ينظر إليه ، فلما رآه أجــوف ، قـــال : ظفرت به خلق لا يتمالك)) . [أورده الالباني في السلسلة الصحيحة : ٢١٥٨] .

و ابليس هذا لم يكن من الملائكة رغم تواجده مع الملأ الاعلى .. بل كان من الجن ، و كان واضحاً ان منظر المخلوق الجديد قد أثار فضوله ، فجعل يتطلع اليه ، ويدور حوله مستكشفاً . وبدأ الحسد والغيرة يتسللان الى نفسه ..

ثم حانت اللحظة الحاسمة ، إذ نفخ الله تعالى الروح في جسد آدم (عليه السلام) ..

عن ابي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمد لله ، فحمد الله بإذن الله ، فقال له ربه : رحمك الله ربك يا آدم ، وقال له : يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة ، إلى ملأ منهم جلوس فقل : السلام عليكم . فذهب ، فقالوا : وعلــيك السلام ورحمة الله وبركاته ، ثم رجع إلى ربه فقال : هذه تحيتك وتحية بنيك وبنيهم)) . [صحيح ، الوادعي في الصحيح المسند : ١٤٢٥ ، الترمذي : ٣٣٦٨ ، الالباني في صحيح الجامع : ٥٢٠٩] .

لقد تعرف الملائكة الى آدم ، انما كان هناك المزيد ليرونه :
﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائكَة فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ • قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ • قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ • ﴾ البقرة ٣١ ــ ٣٣

تأكد للملائكة منزلة آدم وكرامته التي اختصه بها الله عز وجل ، وهم من الاساس لم يحملوا الضغينة له أو يحقدوا عليه ، فطبيعة تكوينهم لا تسمح بمثل ذلك .. وكذا ازدادوا اقراراً لله تعالى بعلمه الواسع الذي أحاط بكل شئ ...

ولم يزل الاحتفاء بآدم (عليه السلام) مستمراً . وصدر الامر الرباني للملائكة ومن معهم بالسجود لآدم ، تكريماً له من الله عز وجل :
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ • ﴾ الحجر ٢٩

لم يعد ابليس يطيق اخفاء ما يعتمل في نفسه من حسد وحقد تجاه آدم .. وفي حين أن الملائكة امتثلت لأمر الله عز وجل بالسجود ، فانه أبى أن يسجد معهم :

﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ • إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ • ﴾ الحجر ٣٠، ٣١

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ الكهف ٥٠

وخاطب الله جل وعلا ابليس ، وهو سبحانه أعلم بما كان قد أضمر في نفسه من كبر وصلــف :

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ • ﴾ الاعراف ١٢

مشكلة ابليس في الاساس لم تكن مقصورة على تكريم آدم (عليه السلام) بالسجود له .. المشكلة تتعدى حدود ذلك ... هذا رأيي !

مشكلته تتصل بتكريم الانسان اجمالاً .. ابتداء من تسميته (خليفة في الارض) ، وهذا ما يراه ابليس تشريفاً كان هو ــ وليس غيره ــ الأحق بنيله ، وفي حسابه أن الخلافة تعني نظام حكم مستبد ، يسود به في الارض ..

هذا ما أفهمه من سياق الآيات والاحاديث ، و من قرائن اخرى .. والله أعلم.

يلفت الانتباه في عصرنا الحاضر أن مجموعات عبادة الشيطان التي نشطت بشدة خلال السنوات التي اعقــبت العام ٢٠٠٠، أخذت تقود حملات تبشيرية مكثفة في كافة ارجاء العالم ، وعبر وسائط دعائية مختلفة ، تعتمد في دعايتها على عقيدة مفادها : أن الشيطان قادم لانتزاع حقه المسلوب من بني آدم ، وسيعود ليحكم الأرض بأسرها !

وقال تعالى :

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَــبَّرَ فِيهَا فَاخْــرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ • ﴾ الاعراف ١٣

واذا بإبليس يطلب المهلة بعد أن صار مطروداً من رحمة الله :

﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ • قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ • ﴾ الاعراف ١٤، ١٥

وأفصح اللعين عما في نفسه من كيد وشر ، وربّــه أعلم به قبل أن يقول :

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ • ﴾ سورة ص ٨٢، ٨٣

ثم يوجز خططه المقبلة ضد بني آدم :

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ • ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ • ﴾ الاعراف ١٦، ١٧

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ • ﴾ الحجر ٣٩، ٤٠

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَـنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَـنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً • ﴾ الاسراء ٦٢

[احتنكن : استولين .]

وتمت كلمة الفصل من رب العالمين :

﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ • ﴾ الاعراف ١٨

[مذءوماً : مذموماً ، مدحوراً : مطروداً .]

﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ • إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ • وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ • ﴾ الحجر ٤١ ــ ٤٣

﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً • وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً • إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً • ﴾ الاسراء ٦٣ ــ ٦٥

[استفزز : استنفر ، خيلك ورجلك : فرسانك ومشاتك .]

وفي الحديث الشريف ، عن ابي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قـال: ((إن إبليس قال لربه : بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم فقال الله فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني)) . [أورده الالباني في السلسلة الصحيحة : ٢١٣/١] .

وبدأت الحرب .

○ ○ ○

لم يحن بعد وقت الهبوط الى الارض ...

واختارت المشيئة الربانية خلق مخلوق آخر ، هو أشبه شئ بالانسان الذكر مع فوارق قليلة .. تلك هي حواء ، الانثى الاولى ، وزوج آدم (عليه السلام) التي خلقت من ضلعه ..

يقـــول تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ النساء ١

ويقـــول تعالى :
﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الاعراف ١٨٩

وجاء في الحديث الشريف : ((.. فإن المرأة خلقت من ضلع ،..)) [صحيح ، البخاري : ٣٣٣١]

وتستكمل الآيات الكريمة بقية القصة :
﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ • فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ • وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ • ﴾ الاعراف ١٩ ــ ٢١
[ووري : استتر ، سوءاتهما : عوراتهما ، قاسمهما : اقسم لهما .]

انها صورة حية لمشهد يتجدد تكراراً على مدار الحياة البشرية . شيطان يوسوس ويغري ويحفز ، وانسان يتعرض للمغريات ، وله الخيار في أن يجاهد لمقاومة تأثيراتها حتى النهاية ، أو يخضع لها في منتصف الطريق فيقع في المحظور !

وفي حالة الانسان الاول ، كان المحظور قد وقع :
﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الجَنَّةِ وَنَادَاهُمَــا رَبُّهُــمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ • ﴾ الاعراف ٢٢

ونادى الاثنان ربهما :
﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ • ﴾ الاعراف ٢٣

تلك هي الكلمات التي شكلت الفارق الابدي بين ابليس وآدم (عليه السلام) !
مخلوقان ، كلاهما عصى الله سبحانه .. الاول فعلها متعمداً ، والثاني اقترفها ناسياً ..
مخلوق عصى فاستكبر وأصرّ على المعصية ، وآخر عصى فطلب المغفرة ..
وبذلك كانت اللعنة هي جزاء ذلك المخلوق العاصي : ابليس ، الذي أصبح بعد هذا يُعرف بـ (الشيطان) ، فهو المتمرد على ربه ، الرجيم المطرود من رحمته سبحانه ..

وكانـت التـوبة من نصيـب الآخر ، آدم :
﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** • ﴾ البقرة ٣٧

ثم تقرر هبوط الجميع الى الارض ، ومعه انطلقت رحلة الحياة ، وامام أصحابها طريقان واضحان ، أحدهما يصل بسالكيه الى النجاة ، والآخر يودي بسالكيه الى الهلاك :
﴿ **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ • وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** • ﴾ البقرة ٣٨، ٣٩

○ ○ ○

استقبلت الارض ساكنيها الجدد .. آدم وحواء ، وابليس اللعين .
فالانسان الاول وزوجه كانا يشكلان فريق الخير ، وابليس الشيطان كان يستعد لتأسيس فريق الشر .. وكان طبـيعياً بعد ذلك أن ينصرف كل فريق منهما الى انجاز مهمته المنتظرة ، واعياً تمام الوعي لما هو مطلوب منه في المرحلة المقبلة ..

و قبل الاستطراد في ما حصل لكل فريق وبداياته الاولى على الارض ، يلزم التذكير هنا أن التاريخ كما نعهده موثقاً مكتوباً ، لا نعرف من تفاصيله إلا ما يرجع الى خمسة آلاف عام مضت .. و الموثوق من هذا التاريخ المكتوب لا يشمل سوى ألف واربعمئة سنة فاتت ، هي عمر الاسلام كما نعرفه منذ بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) .. وهي الفترة الوحيدة التي يمكن الاطمئنان ـــ بدرجة ما ـــ الى مصداقية ما كتب عنها ، بالمقارنة مع ما قبلها من تاريخ واصل الينا ـــ في اغلبه ـــ عن طريق ما كتبه بنو اسرائيل ..

والتاريخ عند بني اسرائيل ينقسم الى قسمين :
ـــ الاول : تاريخ حقيقي ، سجلاته بين ايدي قلة من الاشخاص من بني اسرائيل ، وهؤلاء يكتمون تفاصيله عندهم .
ـــ الثاني : تاريخ مزور ومحرّف ، وهو ما يعرضونه على العامة من الناس .

ومن هنا ــ قارئي العزيز ــ يمكنك ان تدرك صعوبة المأزق ، فنحن نبحث في موضوع يغطي مسافة زمنية شاسعة ، تزيد بآلاف السنوات عما تمت كتابته فعلا من التاريخ البشري ، سواء ما كان منه مزوراً أو موثوقاً من صحته ..
وفي هذه المرحلة من الكتاب ، فاننا ما زلنا نتحسس طريقنا في حقبة تسبق ذلك التاريخ المكتوب ، ولا آثار واضحة تدلنا على ما وقع فيها من أحداث !

لا شئ .. سوى اشارات نلتقطها من نصوص القرآن الكريم ، أو قرائن نحصل عليها من الاحاديث النبوية الشريفة ، أو حتى (بديهيات) يمكننا استنتاجها من هنا وهناك !

هذا كل ما لدينا ، لنبدأ به البحث في رحلة الحياة الاولى على الارض !
وما أقدمه لك هنا يجئ في اطار (النظرية) التي تقبل الخطأ والصواب كغيرها من النظريات . وفي مطلق الاحوال ، فان من المناسب أن تضع كل ما ساقوله لك تباعاً في خانة خاصة ، وتستطيع بعد ذلك ان تجري ابحاثك الشخصية لتتأكد بنفسك من صحة النظرية أو خطئها .

ونعود الى آدم (عليه السلام) ...
لقد بدأ حياته على الارض مع زوجته حواء ، لكن مسيرة هذه الحياة لم تبدأ من نقطة الصفر كما قد نتخيل لاول وهلة ..
لقد كانت البداية متقدمة عن نقطة الصفر بمسافة معينة ..
ويصعب تخيل شكل الحياة الاولى التي عاشها آدم وحواء ، لكنها بالتأكيد ليست الحياة التي قرأناها في كتب المدرسة ، ومجملها يصوّر الانسان القديم بانه ذلك الوحش المتخلف الذي عاش حياته اقرب ما تكون لمعيشة الحيوانات ، ومرّ بمراحل طويلة قبل ان يتعرف على معاني الاشياء من حوله ، ويكتشف كيف يصنع ما يحتاجه من أدوات ، ثم يتعلم كيف يتواصل ويتحدث مع بني جنسه !

هذا الكلام لا أساس له من الصحة !
لقد جاء الانسان الاول الى الارض وهو مزود بكامل المعرفة التي يحتاجها حتى آخر الزمان .. ذلك ما نفهمه من الآية الكريمة :
﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ البقرة ٣١

وربما ذهب تفكير الكثيرين الى أن الآية تشير الى تعلم آدم مسميات الاشياء الموجودة في الطبيعة : الجبال، الاشجار، الانهار، الكهوف، الدواب، ...، ... ولاشك ان هذه كانت جزءاً مما تعلمه آدم (عليه السلام) ، لكنها ليست كل شئ !

الآية الكريمة حددت ما علـّمه الله سبحانه لآدم : ﴿ **الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾

كل الاسماء ومعانيها ، كل الاشياء التي سيعرفها الانسان في حياته الدنيا !
كل الاشياء والادوات والعناصر الموجودة في الحياة ، حتى الاجهزة والمبتكرات الحديثة التي نعرفها في ايامنا هذه !
كل اختراع اخترعه الانسان في وقت ما واختار له اسماً ، هو في الحقيقة استعادة بالفطرة لاحدى الاسماء التي تلقاها الاب الاول للبشر !

صدّق هذا أو لا تصدقه .. الامر متروك لك .

واذا صدقته فسوف تعي بنفسك حجم الخرافات التي تم تلقينها لنا في المدارس ، والاحاديث التي لا تنتهي عن حضارات تبعد عن زمننا بثلاثة أو اربعة آلاف سنة فقط ، و يقال لنا بعد ذلك انها اخترعت الكتابة أو الدين أو غيرها من مقتضيات المعيشة والتواصل بين البشر ..

هذا كله لا يلتقي مطلقاً مع ما نفهمه من كلام الله عز وجل : ﴿ **الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾
الانسان الاول ــ آدم (عليه السلام) جاء الى الارض وهو في كامل جاهزيته لبدء الحياة التي يراد منها تحقيق مهمة الاستخلاف في الارض .. كما ان الارض نفسها قد أعدّ الله سبحانه ما فيها لتكون ميداناً ملائما ليحقق الانسان مهمته المرتقبة .

كما قلت لك ، جاء ابو البشر وهو مزود بكامل المعرفة بالاشياء ومعانيها ، كما انه كان مزوداً بكامل مفردات اللغة ... لغة واحدة ، هي الام لكل اللغات و اللهجات البشرية التي تكونت منها على ألسنة الناس في انحاء الكرة الارضية ..

انها **اللغة العربية** .

أكاد ألمح نظرة الشك في عينيك .. وأقول : معك حق في ان تشك ، فهي نقطة قابلة لكثير من النقاش بيننا ، خاصة وأن العديد من العلماء والمفسرين السابقين اتفقوا على أن لغة آدم (عليه السلام) كانت السريانية ــ ربما! ــ أو لغة أخرى غير العربية ..

لك الحق اذن في ان تسأل عن مصدر هذه المعلومة . واصدقك القول انني لا أملك دليلاً صريحاً يثبت هذه المسألة بشكل قاطع .. ولكني أسوق لك نظريتـــي التي كونتها بعد البحث ، وسأسير بها معك ، خطوة بخطوة .. ودعني أقول لك ابتداء انني لم آت باكتشاف جديد ، فالعديد من الخبراء والمهتمين بقضايا اللغات الانسانية توصلوا الى النتيجة ذاتها التي توصلت اليها : اللغة العربية هي أصل كل اللغات في العالم .

كيف انطلق بحثهم ؟ وكيف توصلوا الى هذه النتيجة ؟
لقد بدأ الامر بسؤال بديهي ، عما إذا كان ثمة قاسم مشترك بين جميع لغات العالم رغم الاختلافات الظاهرية بينها ؟

لماذا يحدث ان تتشابه بعض الكلمات في أكثر من لغة ؟
فعلى سبيل المثال ، نجد لفظة كهف في اللغة العربية ، متقابلة مع Cave بالانجليزية، و Cave بالفرنسية ، و Cava بالايطالية ، و Cavus باللاتينية .

أي لغة أقتبست من الاخرى ، وهل يعود أصل كل اللغات في العالم الى لغة واحدة ؟

يقول الله سبحانه في كتابه العزيز :
﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ •** ﴾ الروم ٢٢

و نحن نعرف مسبقاً أن هذا الاختلاف في أجناس البشر راجع الى أصل واحد ، وبالتالي فان تفرع اللغات (الالسن) يقتضي أن ترجع هي الاخرى الى أصل واحد .
لاشك أن هناك لغة واحدة ووحيدة ، هي لغة الفطرة الاولى التي كان يتحدث بها الانسان الاول مع زوجه ، ثم مع بنيه وذريته ، قبل أن تتكاثر هذه الذرية من بعده وتهاجر للانتشار في انحاء العالم ، لتتفرق مع ذلك الانتشار ألسنتهم ..

هذا ما توصل اليه الباحثون ، انها لغة واحدة تعامل بها الاوائل من البشر ، حتى اضطرتهم ظروف الحياة ــ أو اضطرت ابنائهم من بعدهم ــ الى الانتشار في الارض ، ليحدث مع بعد المسافة وصعوبة التواصل بين البقاع المختلفة أن تنشأ عن اللغة الام لهجات متعددة ، وتتطور هذه اللهجات ــ مع تعاقب الاجيال ــ الى لغات منفصلة في حروفها ومفرداتها ..
وكانت الفكرة التالية ــ بديهياً ــ ان هذه اللغة الام لابد أن تتصف بمواصفات تميزها عن اللغات الاخرى التي تفرعت منها .. حيث انها أكثر اتقاناً من بقية اللغات ، وأوسع في معانيها ، بحيث تستوعب كل المسميات عبر العصور ، مهما بلغت البشرية في تقدمها ومهما ارتقت في حضاراتها ..

لغة تجمع ما تعلمه آدم (عليه السلام) من الله عز وجل : ﴿ **الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾
وهي لغة متماسكة ثابتة تحافظ على كيانها وقواعدها ، لا تتأثر بعوامل الزمن فيجري عليها ما يجري على سائر اللغات الاخرى من التحريف أو الاختصار أو الحذف أو حتى الاضمحلال ..
ثم انها لغة غنية بحروفها وكلماتها ، بخلاف ما تعانيه بقية اللغات من فقر في الحروف والكلمات التي لا تعبّر عما يريده الانسان بشكل كامل ..

لغة بهذه المواصفات الفذة ، لايمكن أن تكون سوى اللغة العربية !
هي الاصل المتين ، والباقي ــ على كثرته ــ فروع .

ولا ننسى انها اللغة المختارة لتكون كلام الله الموجه الى الخلق أجمعين :
﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ •** ﴾ الزخرف ٣

والله تعالى يصف كتابه بأنه :
﴿ **قُرْآناً عَرَبِياً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ •** ﴾ الزمر ٢٨
﴿ **لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ •** ﴾ فصلت ٤٢

واذا كانت خصوصية القرآن الكريم بأنه غير ذي عوج ، أي لا ينحرف عن مساره الصحيح في البيان ، فاننا نفهم من ذلك ان اللغة العربية هي الاكمل والانسب في الحفاظ على هذه الخصوصية ..

كما أنها اللغة الاقدر على تفصيل أحكام الله سبحانه :
﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ •** ﴾ فصلت ٣

وما عداها من لغات لا يحقق هذا الغرض ــ أي التفصيل والتوضيح :
﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِياً لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ** ﴾ فصلت ٤٤

والاعجمية لا تعني هنا لغة بعينها . انها كلمة تطلق في العموم على كل لغة غير العربية الفصحى .. وهذا لا يمنع أن لغات اخرى في الامم السابقة قد حازت شرف نزول الوحي بها ، فقد ارسل الله سبحانه الانبياء والرسل بألسنة اقوامهم :
﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ ابراهيم ٤

لكن علينا ألا ننسى أن العربية تميزت عن سواها بانها كانت ــ وستظل ــ الوعاء الذي حفظ رسالة الاسلام الخاتمة ، الموجهة الى العالم أجمع :
﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ •** ﴾ سبأ ٢٨

و النبي (عليه الصلاة والسلام) يقــول :
((... وكان النبي يُبعث إلى قــومه خاصة ، وبُعثت إلى الناس عامة)) . [صحيح ، البخاري : ٣٣٥] .

والسؤال هنا ، اذا كانت العناية الالهية قد اختارت العربية دون غيرها ، لتكون لغة البشر كافة للاتصال بالله سبحانه ، ولغة عبادته وذكره ودعائه .. أفلا يقودنا هذا الى الاستنتاج بانها أكمل اللغات على الارض ؟

ثم .. ألا يشجع هذا على التفكير بانها الاساس لسائر اللغات الاخرى .. فبها كان البدء ، وبها صار الختام ؟

مجرد استنتاج ، قابل للبحث والمراجعة .. والواقع أن هذا هو ما فعله الباحثون لتأكيد هذه المسألة أو نفيها .. فلقد نشطوا في عمل دراسات تعتمد على المقارنة بين مفردات اللغة العربية والمفردات في بقية اللغات ..

وكانت النتائج أمامهم مذهلة :
كم هائل من المفردات الاجنبية ــ الانجليزية والفرنسية والايطالية واليونانية والالمانية واللاتينية والهيروغليفية ــ تتطابق ألفاظها مع العربية الفصحى !
ولغات اجنبية ــ قديمة وحديثة ــ تفصل بينها فوارق البحار والمحيطات والبيئة والازمنة ، تعود جذور كلماتها الى العربية !

وأجد من الضروري هنا أن اعرض نموذجاً من نتائج تلك الدراسات ، يبين مدى المقاربة الموجودة بين مفردات عربية وما يقابلها في الانجليزية ..

انظر وتأمل بنفسك :
قط Cat ، كفن Coffin ، بند Band ، طويل Tall ، الجود Good ، هرع Hurry ، عنق Neck ، أرض Ard ، أبلى (حسناً) Ably ، آخ (للتوجع) Ache ، أجل Age ، تخطيط Tactic ، مـرآة Mirror ، بـدن Body ، جـارية Girl ، رسغ Wrist ، وسط Waist ، شـريف Sherif ، عجيل (سـريع الحركة) Agile ، جمل Camel ، بدوي Bedouin ، غـزال Gazella ، غـول Ghoul ، جـرّة Jar ، وادي Wadi ، رز Rice ، قطن Cotton ، سكر Sugar ، طوب Adobe ، كوب Cup ، علة Ail، أيّد (عاون) Aid ، ليمون Lemon ، سفرة Safari ، أقرّ Agree ، شراب Syrup ، تعريف Tariff ، لعق Lick ، ... ، ...

هل أكتفي بهذا ؟ .. أم أعرض لك المزيد :
حـوش (البـيت) House ، قطـع Cut ، مسيـطر Master ، واعـظ Wise ، قهوة Coffee ، مخزن Magazine ، نبيل Noble ، كبـل (الحـبل الغليظ) Cable ، آمين Amen ، عطر Attar ، قناة Canal ، دون (أسفـل) Down ، قنديل candle ، قائد (مرشد، دليل) Guide ، صرامة Ceremony ، شاب Chap ، قصم Chasm ، جـبس Gypsum ، قيثـارة Guitar ، موميـاء Mummy ، نـارنج Orange ، قرنية Cornea ، أمير Amir ، عرق Arrack ، برسيم Berseem ، قلوي Alkali ، جني Genie ، كف (صفعة) Cuff ، بطاطا Potato ، كرب Carp ، قالب Caliber ، مطرح Mattress ، معنى Mean ، ... ، ...

والمزيد :

باقة Bouquet ، اسطورة Story ، ضوء (ضــياء) Day ، ينال (يظفر) Nail ، الكيمياء Alchemy ، دمية Dummy ، رفض Refuse ، تمرين Train ، رنّ Ring ، القند (حــلوى) Candy ، مئـــزر Mizar ، سليب (نائم) Sleep ، ناقش Negotiate ، يانع Young ، صابون Soap ، زقاق (طريق متعرج) Zigzag ، صراط Street ، يولول Wail ، يواتي (ينتظر) Wait ، كيس Case ، يستند Stand ، فائر(لاهب) Fire ، ساتل (تابع) Satellite ، قمرة Camera ، اخطبوط Octopus ، سبانخ Spinach ، طرح Tare ، قابل Capable ، غل (قيد) Jail ، مرح Merry ، صُفة (أريكة) Sofa ، ذيل Tail ، مطر Water ، أيوه (نعم) Yeah ، ... ، ...

القائمة تطول ، والامثلة لا تنتهي !

لكن الدراسات لم تتوقف عند هذا الحد . ولقد اختار بعض الباحثين ان يغوصوا في عمق اللغة العربية نفسها .. أن يمعنوا النظر في جذورها وتراكيبها ومشتقاتها .. وكل هذه الاشياء كانت تفضي بهم الى نتيجة حتمية :

إن هذه ليست لغة عادية!

وان ما تحويه من صياغات لفظية لا يمكن أن يكون من اجتهاد البشر !

انها منظومة متكاملة ، مصدرها يجئ من قدرة تفوق قدرات البشر على الابتكار !

انها قدرة الله عز وجل ، التي ألهمها برحمته وفضله للانسان الاول ..
آدم (عليه السلام) .

○ ○ ○

واذن ، كان الانسان الاول يتمتع بمؤهلات لغوية وعلمية على أعلى المستويات .. هذه هي المحصلة التي نستطيع الخروج بها .. انسان متحضر ومؤهل بشكل مسبق ليخطو خطواته الاولى في رحلته المرتقبة ، واضعاً الاساس الصحيح للحياة ، له ولذريته من بعده .. وفوق انه كان مؤهلاً فكرياً لهذا الامر ، فانه كان مؤهلاً جسدياً ..

في حقيقة الامر ، كان آدم (عليه السلام) عملاقاً !

يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا...)) . [صحيح ، البخاري : ٣٣٢٦]

والذراع تعتبر وحدة لقياس الطول ، ويراد بها في الاصل ذراع الانسان . وهي من اشهر وحدات القياس عند العرب والمسلمين قديماً وحديثاً .. وربما كان هناك اختلاف في تقديرها ، لكن الغالب انها تعادل ٤٨ ــ ٥٠ سنتمتراً .

أي ان طول الانسان الاول كان يقارب الثلاثين متراً . وأطوال البشر اخذت بالنقصان تدريجياً ، منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا ، كما ورد في تتمة الحديث : ((... فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن)) . وليس شرطاً أن يكون هذا التناقص في الطول قد حصل بنسب ثابتة من جيل الى آخر . ولعل وتيرة التناقص كانت اكثر في الاجيال الاولى ...

الفكرة غريبة ، لكنها حقيقة لاجدال فيها .. وقد يزول الاستغراب اذا قـدّرنا ضرورة أن يكون الانسان الاول على هذا الحجم الهائل في ذلك الوقت ... فهو فرد يعيش مع زوجه في كوكب لم يتكاثر فيه مجتمع البشر من حوله بعد ..

كم كان الامر سيصبح مرهقاً لو انه كان مخلوقاً ضئيلاً ، يتصف بالطول الذي عليه الناس في عصرنا هذا ؟! .. تخيل صعوبة العمل والبناء والتنقل والصيد والترحال وغير ذلك من الافعال .. تخيل فقط !

ونحن نعرف من حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) ان البشر الداخلين الى الجنة في نهاية المطاف سيعود طولهم الى أصله الاول : ((... فكل من يدخل الجنة على صورة آدم . وطوله ستون ذراعا ..)) . [صحيح ، مسلم : ٢٨٤١] .

[لا أعرف اذا كنت تتساءل مع نفسك أم لا ، ما علاقة كل هذا الحديث بموضوعنا الاصلي : حرب الخليج ١٩٩١ ، أو أم المعارك .. لكني أجد من واجبي في كل الاحوال أن أجيب موضحاً ، فأقول أن هذا الذي نبحث فيه ، حياة الانسان الاول في العالم وما عاشه من أحداث ، له صلة وثيقة بالمشاهد العاصفة التي عشناها ونعيشها في الزمن الحاضر ..
كيف يكون ذلك ..؟ الاجابة تحتاج منا الى وقت ليس بالقليل ، قبل أن يكون رصيدنا من المعلومات مقبولا الى الحد الذي نستطيع فيه ربط الاشياء ببعضها البعض .. لذلك ، التمس منك الصبر الجميل فلا تتعجل ، فالرحلة بعد ما تزال طويلة ... ما أحاول فعله الآن هو عرض صورة كبيرة لشكل الحياة التي شهدها اوائل البشر .. صورة افتراضية ، أجزاء منها مأخوذة من الحقائق الثابتة التي نعرفها من القرآن والسنة ، وأجزاء اخرى تعتمد على المنطق والاستنتاج .. وهذه الصورة كما ترى بنفسك لا تعترف بكثير من النظريات الموجودة في الكتب ..
انها صورة مختلفة تمام الاختلاف عن الانسان القديم الذي قدمته لنا الكتب السابقة !
دعنا اذن نتفرج على بقية تفاصيلها !] .

○ ○ ○

سؤال قد يخطر على البال : أين عاش آدم (عليه السلام) ؟

الراجح أنه عاش مع زوجه حواء في الجزيرة العربية ، وتحديداً في مكة المكرمة ، وهناك كان ميلاد المجتمع الاول .. في موطن العرب القديم ، وهو موضع أول بيت وضع للناس لغرض عبادة الله عز وجل :

﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ •** ﴾ آل عمران ٩٦

وبكة هي بطن مكة ، وهي موضع المسجد الحرام . ولما كانت عبادة الله سبحانه جزءاً أساسياً مما كُــلف به آدم من مهمة الاستخلاف في الارض ، وممارسة هذه العبادة بالنسبة للمجتمع الاول من الناس تكون في أول بيت وُضع لهذا الغرض ، فان من المنطقي أن يكون هذا البيت هو المسجد الحرام ..

عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) قال : ((سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أول مسجد وضع في الأرض ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون عاما . ثم الأرض لك مسجد . فحيثما أدركتك الصلاة فصلّ)) . [صحيح ، مسلم : ٥٢٠] .

ولا يعرف أحد بالضبط من بنى المسجد الحرام ، هل هو آدم نفسه أم الملائكة من قبله كما تزعم بعض الروايات التاريخية .. ليس ممكناً أن نحسم هذه المسألة . وكل ما نستطيع قوله هو انه كان موجوداً منذ القدم ، وكان موضع العبادة للمسلمين الاوائل على وجه الارض ...

نعم ، المسلمون الاوائل .. هذا ما يمكننا قوله عن آدم وحواء ، وذريتهما التي نشأت منهما أول الامر ، فتكوّن من هؤلاء جميعاً أول المجتمعات في الارض ، حيث عاشوا ابتداءً وسط المروج الخضراء والانهار العذبة والاجواء المعتدلة .. هكذا كانت الاجواء في الجزيرة العربية في الازمنة الاولى قبل ان تتحول في عصور تالية متأخرة الى صحراء قاحلة .. ويخبرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) انها ستعود آخر الزمان الى حالها الاول الذي كانت عليه : ((لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض . حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه . وحتى تعــود أرض العرب مروجاً وأنهاراً)) . [صحيح ، مسلم : ١٥٧] .

○ ○ ○

ودارت عجلة الحياة ...

وكان لابد لاول زوجين على الارض أن يعملا على تكاثر الجنس البشري .

كانت حواء تلد في كل بطن توأماً : ذكراً وانثى . وكان جائزاً آنذاك أن يتزوج الاخ من اخته ، على شرط ألا يكونا مولودين من نفس البطن .. أي أن الامر لم يكن يتم عشوائياً دون ضوابط ، بل تحكمه شريعة الله تعالى في ذلك الوقت ، ريثما تتحقق الزيادة المطلوبة في سكان الارض ، ومن ثم تكون للاحوال الجديدة بعدها شريعة اخرى من الله عز وجل ، تنظم الامور وفق حكمته سبحانه .

وهكذا راح الركب الانساني يمضي قدماً .

الابناء يولدون ذكوراً واناثاً ، وبعد زواج كل ذكر من انثى البطن الاخرى فان مواليد جديدة كانت تأتي في الطريق ، وهكذا .. وحيث أن آدم (عليه السلام) عاش ما يقرب من الالف عام ، فانه أدرك بذلك جمعاً غفيراً من ذريته .

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ((إن الله عز وجل لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو من ذراري إلى يوم القيامة ، فجعل يعرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلا يزهر ، فقال: أي رب من هذا ؟ قال: هذا ابنك داود ، قال: أي رب كم عمره ؟ قال: ستون عاما ، قال: رب زد في عمره . قال: لا ، إلا أن أزيده من عمرك ، وكان عمر آدم ألف عام . فزاده أربعين عاما ، فكتب الله عز وجل عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتضر آدم وأتته الملائكة لتقبضه قال: إنه قد بقي من عمري أربعون عاما ، فقيل: إنك قد وهبتها لابنك داود ، قال: ما فعلت ، وأبرز الله عز وجل عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة)) . [صحيح ، مسند أحمد : ٧١/٤] .

أعداد الناس أخذت بالتزايد في وتيرة سريعة .. وآدم (عليه السلام) كان نبياً مكلفاً بأن يعلمهم شريعة الله سبحانه ليطبقوها في حياتهم ، ومن ثم تكون مسؤولية هؤلاء أن يعلموا أبناءهم وأحفادهم أحكام هذه الشريعة من بعدهم ..

عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) قال : ((قلت : يا رسول الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال : آدم ، قلت : يا رسول الله ونبي كان ؟ قال : نعم ، نبي مكلم)) . [صحيح ، الالباني في مشكاة المصابيح : ٥٦٦٩] .

وهذا يقودنا الى سؤال مهم : ماهو الدين الذي كان نبي الله آدم (عليه السلام) يدعو اليه أبناءه وأحفاده في ذلك الزمن من عمر البشرية ؟

سؤال نظرت فيه طويلا .. ووجدت له اجابة واحدة لا غير .. انه دين الاسلام .

الله عز وجل بعث الى البشرية سلسلة طويلة من الانبياء والرسل ، كانت مهمتهم أن يدعوا الناس الى دين واحد ، منذ عهد آدم (عليه السلام) وحتى بعثة خاتم الانبياء والمرسلين محمد (عليه الصلاة والسلام) ...

دين سماوي واحد ، وليست أديان متعددة ومتفرقة كما يتصور العديد من الناس .

ليس هناك دين عند الله تعالى يسمى اليهودية أو النصرانية أو الابراهيمية أو الصابئة أو غيرها ، كل هذه تسميات وضعهـا البشر فيما بعد . والحقيقة انه دين واحد منذ البداية لم يتغير ولم يتبدل على مر العصور . ذلك ما يخبرنا به الله تعالى في كتابه :

﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ آل عمران ١٩

ذلك هو الدين الحق الذي ارتضاه الله سبحانه لعباده ، وعلى منهجه كان الناس أمة واحدة أول الامر ، الى أن خالفوه وانحرفوا عن طريقه القويم بعد وفاة آدم (عليه السلام) بفترة من الزمن ــ طالت أو قصرت :

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ يونس ١٩

أي وقع الاختلاف في الدين وعمّت مظاهر الشرك ، فلم يبعث الله تعالى الانبياء والمرسلين إلا ليعيدوا الناس الى سيرتهم الاولى التي كانوا عليها في الاصل : الاسلام ..

فهذا نوح (عليه السلام) دعا قومه الى الاسلام :
﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ • ﴾ يونس ٧٢

وهذا ابراهيم (عليه السلام) جاء بالاسلام :
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ • رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ • إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ • ﴾ البقرة ١٢٧ ــ ١٣١

وكذا كانت وصيته (عليه السلام) الى أولاده بالثبات على هذا الدين :
﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ • ﴾ البقرة ١٣٢

وهي نفسها وصية يعقوب (عليه السلام) الى بنيه :
﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ • ﴾ البقرة ١٣٣

ونعرف أيضاً أن نبي الله لوط (عليه السلام) كان على الاسلام من قوله تعالى :
﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ • قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ • لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ • مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ • فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ • ﴾ الذاريات ٣١ ــ ٣٦

وهذا يوسف (عليه السلام) كان على ملة الاسلام :

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ • ﴾ يوسف ١٠١

ثم جاء موسى (عليه السلام) يدعو قومه الى الاسلام :

﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ • ﴾ يونس ٨٤

وكذلك فعل سليمان (عليه السلام) :

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ • إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ • ﴾ النمل ٢٩ ـــ ٣١

[لاحظ ورود (بسم الله الرحمن الرحيم) في الآية الكريمة . انها اذن نفس البسملة التي كان يفتتح بها المسلمون كتبهم ورسائلهم منذ القدم .]

وهذا عيسى (عليه السلام) جاء بالاسلام :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ • ﴾ آل عمران ٥٢

ثم كان مسك الختام مع محمد (صلى الله عليه وسلم) .. وقد بيّن الله تعالى له وللمؤمنين بأنه لم يشرع لهم ديناً جديداً ، بل هو دين الانبياء والرسل من قبلهم :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ الشورى ١٣

○ ○ ○

والخلاصة ...

هذه هي ملامح الصورة التي نستطيع التوصل الى رؤيتها للعالم القديم في عهد آدم (عليه السلام) ..

الذرية تكاثرت من حوله وترعرعت على فطرة الاسلام وتوحيد الله سبحانه .

تكوّن المجتمع الاول في جزيرة العرب ، ثم سارت الهجرات المتوالية بعدها شمالاً باتجاه العراق والشام ، ثم الى وادي النيل ... وزاد الانتشار بعد ذلك الى أصقاع الارض المختلفة ..

وفي كل بقعة من البقاع كانت تنشأ مجتمعات جديدة ، ومعها تتكون لهجات مستحدثة من اللغة الام : العربية .
أبناء تعلموا أسس الايمان بالله الواحد الأحد من أبيهم ، ثم كانت مهمتهم المحافظة على هذا الايمان ونشره في أرجاء الارض ، فضلاً عن حمايته من كل تشويه أو انحراف ..

وهذا ما حصل بالفعل !
لقد سادت مبادئ الاسلام في كل العالم ، وسادت معها القيم والاخلاق الأصيلة ..
كانت الفضيلة هي الاساس الذي حكم تعاملات الناس فيما بينهم وقتذاك ..
وكان الحق هو الفاصل فيما كان يقع بينهم من خلافات ..

صحيح ان الانحرافات والاخطاء كانت ترتكب بين الحين والآخر (وحادثة قتل قابيل لاخيه هابيل هي المثال الابلغ على ذلك) ، وصحيح ان كفة الايمان كادت أن تميل في بعض الاوقات الى الشرك بالله .. كان ذلك طبيعياً ومتوقع الحدوث ، لما هو مألوف في طبيعة البشر من تنازع بين العقل والاهواء .. لكن رغم كل شئ ، كان الحق هو الاساس الغالب ، فيما كان الباطل هو الحالة الشاذة .

الاسلام ، ومعاني الخير ، ومكارم الاخلاق ، والانتــصار للحق .. كانــت هذه هي المفردات التي اجتمعت لدى الاجيال الاولى من البشر ، لتشكل في مجملها نظاماً رصيناً حكم العالم بأسره في ذلك العصر . وهو ما نستطيع أن نطلق عليه مجازاً : **النظام العالمي القديم** .

ها قد بدأنا !

○ ○ ○

لم تكن الاجواء هادئة على الجبهة الاخرى من ساحة الحرب . كانت هناك حركة نشطة ومحمومة ، تبحث وتضرب في كل اتجاه ، تدرس وتقارن وتخطط وتبني .. وتضع القواعد لمشروع شرير قادم ..

حركة دؤوبة ، لا تكل ولا تمل .. وكان صاحبها ابليــس ، الذي صار معروفاً بالشيطان ــ ونلاحظ انها اللفظة نفسها تقريباً عند ترجمتها الى اللغة الانجليزية Satan .. وحدود حركته كانت محصورة بادئ الامر في عالم الجن ..

ولقد كان مشروعه صورة مناقضة تماماً لما كانت عليه أحوال العالم القديم ، كما في النسخ السلبية للصور الفوتوغرافية Negative Photographic Image التي ينقلب فيها كل لون ابيض الى أسود حالك ..

الظلام في مواجهة النور .. والفساد في مواجهة الصلاح !
كان مشروعاً مضاداً لكل معاني الخير .. يستهدف الانسان ، ويستهدف الاسلام ، ويستهدف العروبة ..
والهدف النهائي أن تهدم كل أركان العالم القديم ، لتقوم على انقاضها أركان عالم جديد ، تسود فيه معاني الشر ، وتكثر فيه الخطايا ، ويغيب عنه ذكر الله سبحانه الى الابد !

عالم لا تحكمه قوانين ولا ضوابط .. فالتصرفات الشاذة هي الطابع الغالب ، والقوي يستعبد الضعفاء . والناس يعيشون فيه كالبهائم ، يجرون وراء شهواتهم ولا يعترفون إلا بالمادة .. يكفرون بربّهم ويرتكبون الافعال القبيحة كما لو كانت هي الاساس في طبيعتهم البشرية ..

عالم يعمّه الخراب ، وتعلو فيه كلمة الشيطان على كل شئ !
قيم وأخلاق مثل الصدق والوفاء والمحبة والرحمة والامانة والغيرة ، تضمحل وتختفي في غياهب النسيان ، لتحتل مكانها قيم وأخلاق أخرى : الكراهية والغدر والطغيان والظلم والخيانة !

الفوضى هي النظام ، والسيد المطلق هو ابليس الشيطان ، واتباعه من شياطين الانس والجن هم المقربون من أصحاب السلطة .. وبقية البشر مجرد عبيد يعظمونه ويسجدون له من دون الله تعالى !

مشاهد بالغة السوء والسواد ، أشبه ما تكون بكابوس مفزع .. هكذا ــ باختصار شديد ــ كانت رؤية ابليس لما يجب أن يكون عليه العالم . وكان قد اختار لمشروعه عنواناً معبراً : **النظام العالمي الجديد !**

كان يعرف هدفه جيداً ، واعياً لكل خطواته المقبلة في سبيل تحقيقه ، كما لو كانت جدول أعمال مرتب .. وكانت خطوته الاولى هي أن يقوم بحشد الاتباع والانصار من حوله ، وذلك بالتبشير لمشروعه وسط أقرانه من بني جنسه : الجن ! ....

وقبل الدخول في تفاصيل ما قام به ابليس بعد ذلك ، يلزم اولاً ان نأخذ لمحة عامة عن عالم الجان . وهو بالنسبة لنا من الغيبيات التي لا ترصدها حواسنا الاعتيادية .. والخوض في الامور الغيبية غالباً ما يقترن بالمجازفة التي لا تكون مأمونة النتائج .. لكن في حالتنا هذه فاننا سنستند الى الاصل الثابت لدينا في ديننا الحنيف : القرآن والسنة .

لذلك .. نقول على بركة الله :
اننا نعيش في كون حافل بالاسرار العظيمة . فيه من القوى والخلائق ما لا نستطيع أن نحصيه برغم كل ما توصلنا اليه من تقنيات وعلوم .. ولقد نبهنا الله تعالى الى ذلك بقوله :

﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً** ﴾ الاسراء ٨٥

وما توصلنا اليه اليوم من علوم وامكانيات يؤهلنا لاكتشاف بعض هذه القوى ، كما يساعدنا على تفسير بعض ظواهرها .. لكننا ما زلنا نجهل الكثير ، وطريق المعرفة امامنا لم يزل طويلاً ونحن نحبو في أوله !

وكان من حكمة الله سبحانه ان جعل قدراتنا البشرية تكون في حـــدود المهمة الموكلة الينا : الاستخلاف في الارض . لذلك ، ومهما زادت اكتشافاتنا في الطبيعة ، ومهما بلغت معرفتنا في مداها ، فان هذا كله لن يخرج أبداً عن الاطار المتاح لنا مسبقاً من قبل الخالق عز وجل .

نحن نعرف البعض من المخلوقات المتواجدة معنا في هذ الكون الفسيح .. منها ما نعرفها بذواتها ، ومنها بصفاتها ، أو منها حتى بآثارها في الوجود من حولنا ... بعضها عرفناه بالتجربة والرؤية المجردة ، وبعضها الآخر عرفناه كغيبيات كشفها الله القدير لنا في خطابه الموجه الينا ..

ومن هنا يأتي إقرارنا بوجود جنس من مخلوقات الله في الحياة يدعى : الجن . إذ اخبرنا الله تعالى انه خلقهم من لهب النار :

﴿ **وَخَلَقَ الجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ •** ﴾ الرحمن ١٥

ما هي معلوماتنا عن هذه المخلوقات ؟ .. نلخص ما نعرفه عنهم بالآتي :

■ انهم مخلوقات عاقلة ، تتصف بالادراك وتمتلك الارادة في سلوكها وتصرفاتها ، ولها القدرة على الاختيار بين الخير والشر.

■ وإن لهم قلوباً وأعيناً وآذاناً وأصواتاً كما تصرح الآية الكريمة بهذا : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ** ﴾ الاعراف ١٧٩

ويقول تعالى : ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ** ﴾ الاسراء ٦٤

■ وهم يعيشون على كوكب الارض .. لكنهم كائنات غير مرئية ولا تستطيع حواسنا البشرية رصدهم أو الاحساس بوجودهم . لذلـــك فان مجتمعهم محجوب عنا . واذا كنا لا نراهم فان بعض الحيوانات قادرة على ذلك ، مثل الكلب والحمار .. كما جاء في حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، فإنها رأت

ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنه رأى شيطانا)) . [صحيح ، البخاري : ٣٣٠٣ ، مسلم : ٢٧٢٩] .
وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((إذا سمعتم نباح الكلاب ، ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنهن يرين ما لا ترون)) . [صحيح ، الالباني في صحيح الجامع : ٦٢٠] .

■ وانهم يأكلون ويشربون .. فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : ((كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات ليلة . ففقدناه . فالتمسناه في الأودية والشعاب . فقلنا : استطير أو اغتيل . قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء . قال فقلنا : يا رسول الله ! فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم . فقال " أتاني داعي الجن . فذهبت معه . فقرأت عليهم القرآن " قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم . وسألوه الزاد . فقال " لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم ، أوفر ما يكون لحما . وكل بعرة علف لدوابكم " . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم)) . [صحيح ، مسلم : ٤٥٠] .
والمذكورون في الحديث هم الصنف المسلم من الجن .. وقد اخبرنا النبي (عليه الصلاة والسلام) أن الصنف الكافر منهم (الشياطين) يأكلون ويشربون بشمالهم ، وأمرنا بمخالفتهم في ذلك ، إذ قال في حديثه الشريف : ((إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه . وإذا شرب فليشرب بيمينه . فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله)) . [صحيح ، مسلم : ٢٠٢٠] .

■ وهم يتناكحون ويتكاثرون . وقد استدل بعض العلماء على امكانيتهم في التزاوج من قوله تعالى : ﴿ **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ** ﴾ الرحمن ٥٦
والطمث في لغة العرب : الجماع .
ثم انهم يتوالدون ولهم ذرية . فقد اخبرنا الله سبحانه أن لابليس ذرية : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً** ﴾ الكهف ٥٠

■ ولهم أعمار محددة تنتهي بالموت ، كما هو الحال لدى الانس . وقد كان من دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((اللهم إني أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت ، أن تضلني . أنت الحيّ الذي لا يموت . والجن والإنس يموتون)) . [صحيح ، مسلم : ٢٧١٧] .
ولا علم لنا بمقدار اعمارهم ، لكن أكثر الاقوال رجحت انهم أطول أعماراً من الانس ، وقد يعيشون لآلاف السنين كما دلت بعض الروايات عنهم .

○ ○ ○

وأصل الجن مجهول لنا ، وإن رأى بعض المفسرين أن ابليس هو أصل الجن ، كما أن آدم (عليه السلام) هو أصل الانس . لكن لا دليل صريح على هذه المسألة . وبعض الآراء

ذهبت الى أن قوله تعالى ﴿ **إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ** ﴾ يشير الى كون ابليس واحداً منهم وليس أصلهم .

وبعض الذين بحثوا في موضوع أصول الجن جازفوا بالاعتماد على رواية مجهولة المصدر ــ ولعلها ترجع الى تراث بني اسرائيل! ــ مفادها أن (سوميا) هو أبو الجن الذي خلقه الله تعالى قبل خلق الانسان بألفي عام ، وكان عبداً صالحاً أسكنه الله عز وجل الارض ... وتوالت بعده اجيال من ذريته سائرة على نهجه في الدعوة الى الخير وتوحيد الله سبحانه ، الى ان استقر الامر بيد أمة كافرة ، بسطت سيطرتها على الارض وأفسدت فيها وسفكت الدماء ! .. فكان العقاب الالهي بحقهم حين ارسل الله اليهم جيشاً من الملائكة لغزوهم وتخليص الارض من شرورهم ... ويتبين بعدها أن طفلا صغيراً من الجن (ابليس) انتشله الملائكة من وسط خراب المعارك واصطحبوه معهم الى السماء حيث تربى ونشأ تحت رعايتهم هناك !

ومرة أخرى لا دليل صريح يسند هذه الرواية ويبقى السؤال عن أصل الجن معلقاً . لكن ما يثير الانتباه حقاً أن قصة مماثلة كانت ــ وما زالت ــ تروى لاجيال متتابعة من أتباع ومجموعات عبدة الشيطان ، وخلاصة منطقها أن على هؤلاء الاتباع والمجموعات تقع مسؤولية التمهيد لعودة الشياطين لتحكم الارض من جديد !

○ ○ ○

وللجن قدرات ليست متوافرة لدى الانس :

■ منها قدرتهم على رؤية البشر والاطلاع على احوالهم ، بينما يظل عالم الجن خفياً بالنسبة للبشر . يقول تعالى : ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ** ﴾ الاعراف ٢٧

■ ومنها سرعتهم المذهلة في الحركة والتنقل . وقد اخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز كيف اعلن أحد اتباع سليمان (عليه السلام) من الجن عن استعداده التام لاحضار عرش ملكة اليمن بلقيس في مدة لا تتجاوز قيام الرجل من مجلسه : ﴿ **قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ** • ﴾ النمل ٣٩

■ ومنهم من يتمتع بالقدرة على الطيران في أجواء الارض .. يقول النبي (عليه الصلاة والسلام) في حديثه الشريف : « الجن ثلاثة أصناف ؛ فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء ، وصنف حيات و كلاب ، و صنف يحلون و يظعنون » . [صحيح ، الالباني في صحيح الجامع : ٣١١٤] .

والمعنى أن صنفاً منهم يطيرون ، ومنهم صنف يتجسدون مادياً في صورة حيات أو كلاب .. ومنهم صنف يقيمون ويرحلون .

■ ومنهم من له القدرة على التشكل مادياً بهيئة الانسان ، أو بصورة الحيوان كما مر بنا في الحديث أعلاه .. ولقد تواترت الاخبار عن حضور الشيطان في موقعة بدر بصورة رجل يدعى سراقة بن مالك بن جعشم .. كان يحرّض المشركين ويمنيّهم بالنصر على جيش المسلمين ، لكنه ولى هارباً مذعوراً حالما وقعت عيناه على جموع الملائكة وقد هبت لنصرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه معه .. ولعل في هذه الرواية تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الانفال ٤٨

وثبت في صحيح البخاري أن حواراً دار بين أبي هريرة (رضي الله عنه) وشيطان تشكل أمامه في صورة انسان .. وهو الحديث المشهور الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك الشيطان : ((أما إنه قد صدقك وهو كذوب ...)) . [الحديث في صحيح البخاري ورقمه : ٢٣١١] .

ومع ذلك يقتضي الانتباه الى أن قدرات الجن في هذا المجال ليس مطلقة ، فحالات التجسد في عالمنا المادي هي حالات استثنائية وليست سياقاً عاماً . فالاصل عندهم انهم باقون ضمن أبعاد عالمهم الخفي ، وانتقالهم الى عالمنا المحسوس عملية بالغة التعقيد .

■ ومنهم من يقوم بتغيير حجمه ــ تصغيراً أو تكبيراً ــ تبعاً لظروف معينة يخبرنا عنها النبي (صلى الله عليه وسلم) .. ففي الحديث أن أحد الصحابة قال : ((كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ، فعثرت دابته فقلت: تعس الشيطان . فقال : لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول بقوتي صرعته . ولكن قل بسم الله فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب)) . [صحيح ، صحيح أبي داود : ٤٩٨١] .

■ ومن جملة قدراتهم السفر لمسافات بعيدة في الفضاء الخارجي .. يحلقون ويتوغلون في أرجاء السماء ليتسمعوا الانباء ويعرفوا بالاحداث قبل وقوعها على الارض . وحدث بعد بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن كثفت الحراسة في السماء ، فكانت الشهب تطارد كل شيطان استرق السمع على خبر من الاخبار فتفتك به :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً • وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً • ﴾ الجن ٨، ٩

وأحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذا الصدد تعطينا صورة عامة لما يحصل فعلاً في السماء عند ورود الاخبار عن الاحداث القادمة واستراق الشياطين لها .. فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((إذا قضى الله الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق ، وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ــ ووصف سفيان بكفه فحرفها ، وبدد بين

أصابعه ــ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا : يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء)) . [صحيح ، البخاري : ٤٨٠٠]
وكانت العرب قديماً في الجاهلية تعتقد ان رؤية الشهب في السماء تعد ايذاناً بحدث خطير ، كولادة احد العظماء أو موت أحدهم .. فجاء النبي (عليه الصلاة والسلام) ليصحح هذه الخرافة ... فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : ((أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار ؛ أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم فاستنار . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم " ماذا كنتم تقولون في الجاهلية ، إذا رمي بمثل هذا ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم . ومات رجل عظيم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته . ولكن ربنا ، تبارك وتعالى اسمه ، إذا قضى أمرا سبح حملة العرش . ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم . حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا . ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال . قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا . حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا . فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم . ويرمون به . فما جاءوا به على وجهه فهو حق . ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون)) . [صحيح ، مسلم : ٢٢٢٩] .
ومعنى يقرفون : أي يقذفون الصدق بالكذب .
وبعض الشياطين لا قبل لهم بتحمل مخاطر التجسس على الاخبار في السماء ، فيعمدون الى طريقة ثانية ، وهي الاختباء في السحب والتنصت على ما تتحدث به الملائكة .. يقول النبي (عليه الصلاة والسلام) : ((الملائكة تتحدث في العنان ــ والعنان الغمام ــ بالأمر يكون في الأرض ، فتسمع الشياطين الكلمة ، فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة)) . [صحيح ، البخاري : ٣٢٨٨] .

■ ومن جملة قدراتهم أنهم يحوزون على حضارة متقدمة في مجالات البناء والصناعة .. والشاهد أن الله تعالى أخبرنا في القرآن الكريم بأنه سخّر الجن بامكاناتهم العلمية الفائقة لنبيه سليمان (عليه السلام) :
﴿ **وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ • يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ •** ﴾ سبأ ١٢، ١٣
وثمة شواهد اخرى عديدة ــ سيجري عرضها ومناقشتها لاحقاً ــ بأن للجن تقنيات تفوق ما عندنا حالياً وتتقدم عليها بمئة سنة أو أكثر !

○ ○ ○

وأعود الى النقطة التي ابتدأت منها هذا الفصل .. الغاية من خلق الانس والجن :
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ • ﴾ الذاريات ٥٦

فالجن ــ مثل الانس ــ مأمورون بعبادة الله وحده لا شريك له .. وهم مكلفون بأوامر ونواهٍ قد تكون مطابقة لما عند البشر ، أو لعلها تكون مختلفة بما ينسجم ويتلائم مع عالمهم وطبيعة حياتهم .. والله أعلم .

المهم انهم مأمورون باتباع الاسلام .. وفي آيات القرآن دليل على تبليغ شرع الله للجن ، وأنه قد أتاهم من يبلغهم وينذرهم .. يقول تعالى مخاطباً كفرة الجن والانس :
﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ • ﴾ الانعام ١٣٠

والجن ــ مثل الانس ــ موعودون بالجنة في حال التزموا بأوامر الله .. والدليل على ذلك في قوله تعالى مخاطباً الجن والانس :
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ • فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ • ﴾ الرحمن ٤٦، ٤٧

وهم موعودون بالنار في حال اختاروا الكفر بأوامر الله .. يقول تعالى :
﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ ﴾ الاعراف ٣٨

ولقد تباينت الاجتهادات في تحديد جنس الرسل الذين بلغوا وحي الله ورسالته للجن .. هل هم رسل من الجن أم أن رسلهم هم رسل البشر أنفسهم ؟

وبالنظر الى الآية الكريمة : ﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ ، فان قوله تعالى (منكم) يحتمل الامرين ..
بعض العلماء رجحوا بأن للجن رسل منهم .. بينما البعض الآخر رأوا بان رسل الانس هم نفسهم رسل الجن ، داعمين رأيهم بما جاء في الآيات الكريمة في قول الجن عند سماعهم القرآن :
﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ • قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ • ﴾ الاحقاف ٢٩، ٣٠

وعلى أي حال فاننا لا نملك نصاً قاطعاً في هذه المسألة .. لكن الذي لا يختلف عليه أحد أن عموم رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) كانت موجهة الى الانس والجن معاً .. هذا ما اجتمعت عليه كل الامة بصحابتها وتابعيها وعلمائها وأئمتها .. يقول تعالى :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً • يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً • ﴾ الجن ١، ٢

وازاء هذا كله كان الجن ــ وما زالوا ــ منقسمين في مواقفهم من رسالات الله سبحانه اليهم الى فريقين : فريق مسلم ، وفريق كافر ... يقول الله عنهم :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً • وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾ الجن ١٤، ١٥

[القاسطون : الظالمون] .

وهم في الصلاح والفــساد درجات ومذاهب :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً • ﴾ الجن ١١

[طرائق قدداً : فرقاً شتى] .

وكان منطقياً أن يجد ابليس ضالته في الصنف الكافر من الجن وهو يقوم بنشر دعوته بينهم على أساس أن يكونوا الشياطين المقربين له ، بينما يصير هو الشيطان الاكبر الذي يقود حملة المشروع المنتظر : النظام العالمي الجديد !

○ ○ ○

وهكذا .. وفي الوقت الذي كانت البشرية فيه تنعم بأزهى عصورها وأنقاها في العالم القديم ، فان مؤامرة كبرى كان يجري الاعداد لخططها في عالم آخر ، وكانت تحضيراتها تسير وتتكامل خطوة بعد خطوة ..

وبعد أن استجابت لدعوة ابليس أعداد من الجن الكافرين اختاروا أن يكونوا له عوناً في مشروعه الشرير ، كانت المرحلة الثانية من الخطة على وشك البدء .. وكان مطلوباً ان يتم توزيع هؤلاء جميعاً ضمن مجموعات تختلف في مراتبها وواجباتها وامتيازاتها .. في منظومة هرمية صارمة يتحدد فيها شكل العلاقات التي تربط بين الجميع .. يتربع ابليس على قمتها بينما يحتل باقي الشياطين مواقع متسلسلة نزولاً من أسفل قمة الهرم وحتى قاعدته ..

هذه المنظومة تعرف باسم : الاخوية Satan Craft !

هل سمعت بهذه الكلمة من قبل ؟ وهل تعني لك شيئاً ؟ ... إن لها تاريخاً حافلاً بالمؤامرات والحروب والمآسي والدماء . ومن يبحثون في موضوع الماسونية والجمعيات السرية القديمة يعرفون دلالتها بشكل تقريــبي ، فحسب التقاليد السائدة في مثل هذه الجمعيات فان من ينخرط في صفوفها يكون ملزماً قبل كل شئ باعلان برائته نهائياً من كل رابطة أو صلة تربطه بحياته السابقة ، كالدم او القرابة أو القبيلة أو الدين أو الوطن ... وتكون النتيجة انه يعلن ولاءه الجديد حصراً للاخوية ، أي أنه بذلك قد أصبح أخاً لكل اعضاء الجمعية السرية ، سواء من تعرف اليهم عند انضمامه ، أو من سيتعرف اليهم مستقبلا عن طريق اشارات أو رموز خاصة لا يفهمها إلا من كان عضواً في هذه الاخوية ... ويكون ولاء الجميع في نهاية المطاف الى شخص واحد : ابليس !

هذا عن الجمعيات والفرق السرية الموجودة في عالم الانس ..
وفيما هو متاح من معلومات فان تنظيما مشابهاً موجود في عالم الجن .. اخوية شيطانية لكفرة الجن .. يجتمعون فيها بالولاء الخالص للشخص ذاته : ابليس !

ماهو مصدر هذه المعلومة ؟ الحقيقة انها جزء بسيط من أمور وأشياء لم تكن معروفة لنا طوال سنوات ــ بل وقرون ــ مضت ، لكن يحدث أنها تتسرب الينا في الوقت الحاضر عن طريق ما نسمع أو نقرأ من نصوص يتم تلقينها لكل أو معظم الذين ينتمون الى فرق ومجموعات عبدة الشيطان .. فهؤلاء لهم عقيدتهم المنفردة في النظر الى الحياة والخلق والتاريخ وغير ذلك ... وهذا كله يتم كجزء من برنامج طويل ومركز ، الهدف منه تهيئتهم للمهمات المرتقبة في خدمة سيدهم ابليس ومشروع نظامه الجديد ..

ومن ناحيتي لا أقول عن هذه الروايات المتسربة بانها يمكن أن تشكل يقيناً غير قابل للرد أو النقاش ، وانما هي تبقى مجرد نصوص مطروحة للتفكير والبحث ، والاقتناع بصحتها أو نفيها من الاساس يظل رهناً بقناعات الشخص نفسه !

○ ○ ○

كان ابليس قد قرر أن يبني مملكته الحصينة .. تلك التي ستكون فيما بعد مقره الخاص الذي تجري فيه عمليات التخطيط ، وهي نفسها قاعدته التي تنطلق منها السرايا والكتــائب ضد بني آدم ..

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سأل ابن صائد وقد لقيه في طرقات المدينة : ((ما ترى ؟ قال : أرى عرشا على الماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ترى عرش إبليس على البحر)) . [صحيح ، مسلم : ٢٩٢٥] .

لم يكن هذا خيالاً أو قصة مفتعلة !

في بقعة نائية من بحار ومحيطات الارض دبّت حركة بناء غير اعتيادية لانشاء مملكة ذات شأن عظيم .. وفيها نصب ابليس نفسه ملكاً متوجاً ، واتخذ لنفسه عرشاً يجلس عليه تشبهاً بالله عز وجل !

وفي ذلك يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((إن إبليس يضع عرشه على الماء . ثم يبعث سراياه . فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة . يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا . فيقول : ما صنعت شيئا . قال ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فــرقت بينه وبين امرأته . قال فيدنـــيه منه ويقول : نعم أنت)) . [صحيح ، مسلم : ٢٨١٣]

ولعلنا نتصور ــ بغير جموح في الخيال ــ أن أعمالاً كثيرة سبقت ــ أو ترافقت مع ــ بعث السرايا الشيطانية الى بقية أنحاء الارض .. وعلى سبيل المثال ، لابد أن مراكز دراسات متخصصة قد انشئــت في مملــكة ابليس ، ومهمتها الرئيسية أن تبــحث ، وتمعن البحث ... ثم تكتب بعد ذلك عن نتائج أبحاثها في موضوع واحد : الانسان ! .. خصائصه ، أفكاره ، تطلعاته ، مكامن قوته ، نقاط ضعفه ، ... الخ !

كان على مراكز الابحاث أن تجيب عن سؤالين أساسيين :
ماهي الاسلحة المتاحة للشياطين في مواجهة البشر ؟
ثم .. ماهي الفرص المتاحة للجن لاستعادة السيادة في الارض ؟

وللاجابة عن السؤال الاول ، كانت التقديرات تقول أن السلاح الوحيد المتاح في ذلك الوقت هو الوسوسة ... قدرة شيطانية يستطيع الجن الكافر من خلالها النفاذ الى أفكار الانسان والتلاعب بها في سبيل اغواءه ودفعه الى الشر والفساد ..

ومع ذلك اشارت الدراسات الى حقيقة مهمة ، وهي ان هذه القدرة (الوسوسة) لا تعطي النتائج نفسها مع كل البشر ، فهي تعتمد في تأثيرها على اسلوب الاغراء وتزيـــين المعاصي ، وبالتالي لا تجبر الناس على المعصية بالضرورة .. فنجاح هذا الاسلوب مرهون بالانسان نفسه إذا ما كان غافلا فيستسلم لهذه الوسوسة ، أو انه كان واعياً بما يكفي ليستعيذ بالله ويطرد الافكار السيئة من الاساس ..

[وهذا صحيح تماماً ، فالسلاح البشري المضاد لوسوسة الشياطين هو الاحتماء بالله سبحانه والاستعاذة منهم . يقول تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم • ﴾ الاعراف ٢٠٠ . ومعنى النزغ : وسوسة الشيطان بالتثبيط عن الخير والحث على الشر] .

إن ابليس نفسه كان يدرك منذ البداية أن لا سلطة له أو قدرة لاجبار الناس على اتباعه وخدمه مشروعه .. فلقد سبق أن اطلعه الله عز وجل على هذا الامر :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً • ﴾ الاسراء ٦٥

ونوهت الدراسات الى حقيقة اخرى مهمة ، فالشياطين ستكون عاجزة أمام صنف من العباد قد استحوذ الايمان بالله على قلوبهم ، بل انها تخشاهم وتفر منهم أينما التقت بهم أو صادفتهم . وهذا بالتالي سيزيد من صعوبة مهامهم ويقلل من فاعلية سلاحهم المقترح !

[وهذا صحيح أيضاً . وقد سبق أن قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لعمر بن الخطاب : « إن الشيطان ليخاف منك يا عمر » . [صحيح ، صحيح الترمذي : ٣٦٩٠] .. كما قال له في حديث آخر : « والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك » . [صحيح ، البخاري : ٦٠٨٥] . أي سلك الشيطان طريقاً آخر .
وهذا الامر ليس خاصاً بعمر (رضي الله عنه) فحسب ، فكل عبد تمكن في الاسلام ورسخ الايمان في قلبه فهو قادر باذن الله على قهر الشيطان . وجاء في الحديث الشريف : « إن المؤمن لينضي شياطينه ؛ كما ينضي أحدكم بعيره في السفر » . [حسن ، الالباني في السلسلة الصحيحة : ٣٥٨٦] . ومعنى ينضي : أي يقهره ويغلبه] .

وللاجابة عن السؤال الثاني ، فان مراكز الابحاث ــ في عالم الجن ــ لم تتوصل الى نتيجة واضحة . واكتفت برفع توصياتها الى ابليس بتأجيل هذا الخيار ، خاصة وأن عوائق عديدة ــ في ذلك الوقت ــ تحول دون تجسد الشياطين في الارض باعداد كبيرة ، وأبرز هذه العوائق الفارق الطبيعي في تكوين عالمي الجن والانس ..

ولم يكن ابليس مقتنعاً بما قدموه له .. فكل ما بين يديه من نتائج الدراسات لا يلبي سوى جزء ضئيل من برنامجه الطموح . وما يقترحه أعوانه عليه لا يحقق له ما يتطلع اليه من اهداف بعيدة .. ولابد أن مشاورات مطولة جرت بين ابليس ومجموعة مستشاريه حول تطوير الاساليب المقترحة الى أكثر من مجرد الوسوسة . ولعل الآراء استقرت في النهاية على ضرورة البدء بالعمل مع إعطاء مجال أوسع للابحاث والدراسات ..

ودخل البرنامج الشيطاني حيز التنفيذ ، واستأنفت مجموعات الاخوية أعمالها !

وكان أن اعطيت الاضواء الخضر للشياطين ليباشروا عملياتهم في الجهات الاربع من العالم .. يجوبون الارض بحثاً عن كل انسان يستمع لوسوستهم وتغريه اكاذيبهم .. فيما صدرت الاوامر للباحثين ليطرقوا المزيد من الابواب في أبحاثهم في محاولات للتفتيش عن ثغرات أكبر في عالم البشر !

○ ○ ○

كان ابليس ــ من مقره الخاص ــ حريصاً على أن يتابع بنفسه تقارير الموقف أولاً بأول . وعلى أساس ما تعرضه هذه التقارير كان يعطي تقييمه للانجازات المحققة .. وبعض نتائج العمليات كانت مرضية بالنسبة له ، وكان يثني على اصحابها ويعدهم برفع درجاتهم في الهرم الشيطاني ، بينما في حالات اخرى كان يوجه نقداً شديداً لاتباعه باعتبار أنهم قصروا في اداء مهامهم ولم يحققوا نجاحاً يذكر !

كانت تقارير المعلومات تصل اليه تباعاً عن آخر المستجدات في العالم !

بعض التقارير الواردة كانت تشير الى أن اعداداً من بني آدم سقطوا فعلاً في الفتن وانطلت عليهم مكائد الشياطين .. فهناك من تحركت فيهم نوازع الشر .. منهم من قتل ، ومنهم من سرق ، ومنهم من ظلم ... وكانت هذه كلها بوادر لنجاحات محدودة تحققت على يد الشياطين ، لكنها على نحو ما ليس بالدرجة الكافية التي تزعزع أركان العالم القديم !

رغم كل شئ ، وبرغم كل أخطاء بني آدم ، فان العالم القديم بقي محافظاً على تماسكه في ذلك الوقت ، وكان الاسلام هو الغالب في عموم الارض ..

لكن الامور لم تكن لتتوقف عند هذا الحد !
ولسوء الحــظ فان غلبة الخير يصعب أن تكون قابلة للدوام الى الابد !
ولابد أن ابليس بذل جهداً مستميتاً للتفكير في وسائل اخرى جديدة !

ولعله توصل في وقت ما الى فكرة ان يضيف عنصر (التجــنيد) الى استراتيجيته المقررة ، بمعنى أن تعدل خططه لكي تستوعب اتباعاً له من البشر الى جانب من يقوم بتجنيدهم من الجن ..

تعبئة شاملة ، تضم جيشاً من العالمين : الجن والانس ... وحسب الخطة الموضوعة فان جيوش الانس ستكون مسؤولة ابتداء عن تمهيد الطريق للشياطين لبسط سيطرتها مستقبلاً على العالم !

[واليوم .. نحن نعرف بالقطع أن خطة ابليس قطعت اشواطاً متقدمة في تعبئة بني آدم !] .

وكقاعدة عامة ــ هكذا أتصور ــ كان ابليس مداوماً على تعزيز خططه بالمزيد من الافكار في كل وقت ، مستعيناً بما لديه من مخزون تجاربه الشخصية في إضلال الانسان ، ومستفيداً من اكوام التقارير التي كانت تضيف الى تجربته المزيد من الخبرات ..

كل تقرير أو معلومة جديدة كانت تخضع لعمليات تحليل مكثفة ، ويجئ الدور بعد ذلك على ما يمكن استخلاصه من هذه التحليلات ... ليتم في النهاية وضع التعديلات اللازمة على بنود الاستراتيجية الشيطانية ..

غير ان تقريراً وصل في وقت ما الى قاعدة ابليس ونال اهتماماً خاصاً أكثر من بقية التقارير ، فلقد كان يحوي خبراً من المتوقع أن يؤدي الى تداعيات خطيرة في مسار الاحداث لصالح المشروع الشيطاني ضد البشر ..

كان مضمون التقرير يتلخص في عبارة واحدة : آدم فارق الحياة !

وكان لهذا الخبر معنى واضح .. ان عدو الشياطين اللدود قد أزيح عن طريقهم ، فلطالما وقف هذا الرجل سداً منيعاً في وجه مشاريعهم وخططهم ، وهو الذي كان الادرى بها بحكم تجربته السابقة التي ذاق مرارتها من قبل في الجنة قبل نزوله الى الارض ..

لقد زال هذا السد من الوجود .. وافترضت الاخوية انها اصبحت طليقة اليد أخيراً وأن الطريق بات مفتوحاً امامها باتجاه تحقيق النظام العالمي الجديد !

○ ○ ○

توفي آدم (عليه السلام) .
وكان الملائكة قد حضروا وفاته وأشرفوا بأنفسهم على دفنه .. واستبد الحزن بجميع الخيّرين في الارض آنذاك ، حتى قيل ان الخلائق بكت عليه سبعة ايام متتالية .
[البداية والنهاية ، ابن كثير : الجزء الاول] .

ومهما يكن الامر ، فان مسيرة الحياة لا تتوقــف عملياً . وغياب رجل واحد عن الساحة ــ مهما كان عظيماً في ثقله ومكانته ــ يلحقه بالضرورة قدوم شخص أو اشخاص على استعداد تام لملء الفراغ وحمل راية الحق ضد صولات الباطل .

وهذا ما كان ينطبق على ابناء آدم (عليه السلام) .. وفيهم أنبياء وعباد صالحون ورثوا عن أبيهم أعباء الحفاظ على رسالة الاسلام .. ولمعرفتهم الوثيقة بعداوة ابليس الازلية لهم فانهم كانوا متحسبين سلفاً لكل التحديات الصعبة التي كانت بانتظارهم ..

لكن مهمتهم لم تكن سهلة .. خصوصاً وأن كل الشواهد في ذلك الوقت كانت تنبئ بما سيشهده العالم من تحولات جديدة على عدة مستويات ، ولعل بعضها كان يدعو للقلق !

كان هناك حالة من الحراك الاجتماعي والسياسي ، وكأن الناس قد بدأت تمل العناوين والقيم التقليدية وراحت تبحث لنفسها عن بعض التجديد !

وكان هناك حالة من التغيير في اساليب الحياة ، ذلك أن (الترف) دخل في حياة الناس كعنصر طارئ .. والحياة المترفة بشكل ما تجعل اصحابها يغيرون وجهات نظرهم في كل الاعراف السابقة ، ومنطقهم أن التطور المطلوب لا يسمح بالاحتفاظ بما هو قديم !

أي ان المفاهيم المعتادة تصبح طرازاً قديماً يتعين استبداله والتخلص منه !

ثم كان هناك التزايد المتسارع في اعداد الناس بعد كل تلك السنوات من عهد آدم (عليه السلام) ، حيث توسع انتشارهم في اصقاع الارض .. وحتماً ان التباعد في المسافات والسنين يقترن بالابتعاد عن الاصول والجذور . وطبيعي أن الاختلالات والانحرافات تبدأ بالوقوع في المناطق البعيدة وليست القريبة من الاصل !

وكان متوقعاً بعد ذلك ان تبدأ مجموعات الاخوية الشيطانية محاولاتها بالهجوم على أهداف لها تجدها في الافراد الشاردين عن مسار الركب الاصلي !

وهنا ـــ كما يحدث في كل زمان ومكان ـــ يأتي الدور على المصلحين ليؤدوا واجبهم في إعادة كل من زاغ وانحرف الى الطريق الصحيح !

انها سلسلة متصلة الحلقات من جولات الصراع بين المصلحين والمفسدين .. وقصصها لا تنتهي عبر تاريخ البشرية الطويل الممتد منذ ذلك الزمان وحتى يومنا هذا .

تدافع مستمر بين جبهتين (الخير والشر) يحقق للحياة توازنها المطلوب .
ومع هذا فان وجود هؤلاء المصلحين لم يكن دائماً ضماناً كافياً للحفاظ على صورة العالم القديم ، إذ تغير وجه الارض ولم يعد نقياً كما كان أيام آدم (عليه السلام) ..

ظاهرة خطيرة لم يعهدها العالم من قبل كانت قد بدأت زحفها في مواقع متناثرة من الارض ، وأخذت بالتالي تهدد استقرار النظام العالمي القديم !

تلك كانت ظاهر **الشرك بالله** ... والتي تجلت صورها آنذاك في ممارسات كان الناس يقومون بها بغرض تقديس القبور والاصنام !

ورغم أن البشرية عاشت من قبل ألواناً متعددة من الخطايا ... الكذب، السرقة، التحاسد، الخصومة، الاقتتال والقتل ... فان الظاهرة الجديدة كانت شيئاً غير مسبوق . والطامة الكبرى التي واجهت المصلحين في ذلك الزمان أن استجابة الناس لتلك الظاهرة كانت سريعة بشكل غير متوقع !

لقد كانت تنمو وتتمدد بطريقة أشبه ما تكون بالاجتياح الغاشم !

○ ○ ○

واذن كانت سلامة النظـــام العالمي القديم تخضع لاختبار جدّي ... هذا ما ادركه المصلحون بسرعة وأيقنوا أن عليهم التحرك دون تأخير ..

وكان أن احتدمت المعركة مع مظاهر الاشراك في مواقع مختلفة من العالم .
ومع انتهاء الجولات الاولى منها كان بادياً أن دعاة الخير قد حققوا الانتصارات المرجوة واستطاعوا مبكراً تطويق الظاهرة ومن ثم قمعها نهائياً .

لكن تبدى بعدها ان تقديراتهم كانت خاطئة في هذا الشأن ، وأن النار بقيت كامنة تحت الرماد تنتظر من يثير لهبها في وقت لاحق !

كانت صورة الموقف كالتالي :
دعوات للاشراك بالله تنشط في مواقع معينة . ومصلحون يهبّون الى هناك لدرء الفتنة وإعادة الناس الى جادة الصواب ... فاذا ما حقق هؤلاء النجاح المأمول في مهمتهم فان نجاحهم يتواصل لفترة ما .. الى ان تنشط الظاهرة نفسها في مواقع اخرى ... واخرى ... وهكذا ، كما لو كانت سرطاناً خبيثاً يعرف كيف يكمن ويتربص لبعض الوقت ثم يحفز نفسه ويجدد ظهوره لاحقاً !

وكما أن أدوية السرطان لا توفر علاجاً حاسماً في كل الحالات فان دعوات التوحيد عانت امراً مماثلاً وهي تواجه مظاهر الشرك !

كان الموقف محيراً ومربكاً ، فحتى مع النجاح الذي كان يتحقق في مواجهة الظاهرة كل حين ، فانه صار معلوماً بتكرار التجربة انه نجاح مؤقت ، ولا تلبث الظاهرة ان تعاود نشاطها في ظروف واماكن أخرى !

وأغلب الظن انه لم يكن خافياً على الدعاة ـــ أنبياء ومصلحين ـــ أن المستفيد الوحيد من كل ما كان يجري في العالم هو ابليس !

○ ○ ○

ويبدو من استقراء الحوادث وتداعياتها في تلك الايام أن استراتيجية الشيطان في الارض كانت تعيش ازدهاراً ملحوظاً .. وكان واضحاً أنه جرى استحداث تكتيك جديد في سياق هذه الاستراتيجية ..

وبلغة الحرب العصرية فان الشياطين كانت تمارس شكلا من اشكال التسلل والالتفاف حول الخطوط الخلفية بدلا من عناء المواجهة المباشرة على الخطوط الامامية !

والمعنى المقصود : لم تكن الشياطين تأمر احداً بالكفر او الشرك بشكل صريح ، بل اعتمدت بدل ذلك اسلوباً آخر يقوم على فكرة أن تخبر الشياطين الناس ببعض الممارسات أو الطقوس التي توحي لهم بان فيها تقرباً الى الله عز وجل .. فاذا هي تدفعهم لا شعورياً الى ترك المبادئ الاصلية للدين والتشبث بالممارسات المبتدعة .

وبطون كتب التاريخ تحفظ لنا قصة تحمل المضمون نفسه .. إذ يحكى ان الشيطان صادف في طريقه يوماً جنازة رجل صالح . كان قومه يجهشون بالبكاء على رحيله وهم على وشك أن يدفنوه في قبره .. ولحظتها لم يأخذ وقتاً طويلا في التفكير بالامر ، إذ عرف انها فرصته السانحة ليوقد شرارة فتنة سيدوم اشتعال نيرانها الى آخر الزمان !

[وهذا صحيح للاسف رغم انقضاء آلاف السنين !] .

وبعد ان قام بمواساتهم وسمع منهم عن مكانة الرجل فيهم ، بادرهم بالنصيحة بأن يقيموا على قبره مقاماً مميزاً لتخليد ذكراه الطيبة .. هذه ستكون الطريقة الامثل لتعويضهم عن فقدانه الاليم ، واذا كان الرجل مثالا يحتذى به في الاعمال الصالحة طيلة حياته ، فالاوجب أن يظل كذلك حتى بعد مماته .. ومن جانبهم فان هذا العمل سيكون تعبيراً خالصاً لوفاءهم لهذا الرجل .. ولم يعترض احد منهم أو يتردد .. بل على العكس ، نالت الفكرة استحسانهم وشرعوا على الفور بتنفيذها شاكرين له اهتمامه ونصحه ..

وكانت تلك الخطوة الاولى على طريق الشرك بالله وعبادة الاصنام !

ولم يتأخر الشيطان حتى شجعهم بعد فترة على الاخذ بفكرة ثانية بعد ان اثبتت الاولى جدواها .. فعرض عليهم أن يكون المقام مزاراً يفد اليه الناس بصفة دائمة لنيل البركات ، ومنطقه المطروح هذه المرة أنه اذا كانت للرجل كراماته وبركاته في سابق عهده ، فلا ضرر ان يكون لاتباعه ومحبيه قسط من تلك البركات والكرامات ..

ومرة اخرى راقت لهم الفكرة . وكانت الخطوة الثانية على نفس الطريق !

ولم يكن صعباً عليه بعد ذلك أن يسير بالناس الى فكرة أبعد ، فتقدم اليهم متطوعاً باقتراح جديد ، بان يصنع لهم تماثيل وصور على هيئة ذلك الرجل الصالح .. فاذا كان

حضورهم مطلوباً في السابق الى المزار لنيل البركات فقد صار متاحاً الآن أن يقتنوا هذه البركات في منازلهم ..

وتلك كانت الخطوة الثالثة .. وكعادة الجماهير في مواقف كهذه فانها لا تتعب نفسها كثيراً في التفكير او التدقيق فيما هي منساقة اليه من مصير !

وهكذا تعاقبت الخطوات بالتدريج ، في نسق أشبه ما يكون بتطبيق عملي ونموذجي لما نعرفه في عصرنا الحاضر بسياسة الخطوة خطوة لمبتكرها المعروف وزير الخارجية الامريكي الاسبق : هنري كيسنجر .. إن لم يكن كيسنجر نفسه ــ وهو اليهودي ذائع الصيت ــ قد توصل الى ابتكاره هذا من نفس القصة ..

وحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) يعطي وصفاً دقيقاً لامثال اولئك القوم : ((إن أولئك ، إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات ، بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)) . [صحيح ، البخاري : ٤٢٧] .

○ ○ ○

ويكفي ان نتصور تكرار هذه المشاهد في أكثر من بقعة ومكان في العالم ، وكأنها قصة كتبها وأخــرجها مُؤلف ومُخرج واحد ! ... لنستوعب حجم المأساة التي ألمّت بالعالم القديم ووضعت المصلحين في ذلك العصر في موقف شديد التعقيد والارباك . ولعلهم لم يدخروا جهداً للتعامل معها وحاولوا السيطرة عليها قبل ان تتفاقم الى ما هو أخطر وأفدح . لكن كان واضحاً أن باباً عريضاً انفتح بوجه الشياطين ، وانهم قد القوا بكل ثقلهم في سبيل اقتحامه والتقدم الى ما بعده !

وبدا أن موازين النصر ظلت تتأرجح بين طرفي الصراع .. وبعد طول الشد والجذب بينهما حدثت المفاجأة على غير انتظار !

لقد تهاوى النظام العالمي القديم وسقط في النهاية بالضربة القاضية .

الفصل الثاني

ما قبـل التاريـخ ٢

سقط النظام العالمي القديم ، وسُمع سقوطه مدوياً في أرجاء العالم كافة .
ولم تتأخر مجموعات الاخوية في استغلال الحدث الكبير .. اندفعت كقطعان من الرعاع تقدموا لاقتحام الخزائن وتسابقوا فيما بينهم لتفريغها من الغنائم !

كان الصورة تدعو الى الاسى .. طرف تنحى فجأة خارج معادلة الصراع مما أدى الى اختلال التوازن في ظرف لحظات عصيبة من عمر التاريخ .. وكان على جماعات الشيطان أن يتحركوا بسرعة لملأ الفراغ الناشئ .. تلك كانت فرصة ذهبية لطالما كانوا في انتظارها على أحرّ من الجمر !

لم يعد عليهم الاختباء كما كانت الظروف تحتم عليهم من قبل .
الخلايا السرية لم تعد سرية .. لقد برز أفرادها من مواقعهم السابقة تحت الارض وتقافزوا على عجل لاحتلال المواقع الجديدة على قمة العالم !

كان الهدف مكشوفاً امامهم : الامساك بزمام الحكم في العالم كله !

ولعل قوى النظام الجــديد كانت مقبلة على ممارسة مهام هذا الحكم بطريقة مفجعة ... قوى محرومة وجائعة منذ دهور ولم تعد تطيق الانتظار ، غير مصدقة انها حازت أخيراً على مبتغاها وأمسكت للمرة الاولى بحلم بدا لها في بعض الاوقات أنه بعيد المنال !

من البداية أحكم أفراد الاخوية قبضتهم على اللحظة الاخطر في التاريخ . وكانوا بقيادة ابليس يتحركون كآلة دارت محركاتها بانتظام وراحت تؤدي ماهو واجب عليها طبقاً للاولويات التي حددها ابليس نفسه ..

وربما وقعت بعض الفوضى لدى الانتشار السريع في المواقع المتفرقة ، كما يحدث دائماً عندما تتقدم العصابات الهائجة للاستيلاء على الحكم أو السلطة .. لكن تدارك الفوضى وترتيب المواقع لم يستغرق وقتاً طويلا ، فكل شئ كان معمولاً حسابه منذ زمن بعيد .. كان ابليس يحمل معه الرؤية الكاملة لكيفية ادارة حكمه في الارض ، مع تصور مسبق لجميع الخيارات والوسائل المتاحة امامه في سبيل تحقيق مشروعه المنتظر .

وكان المطلوب قبل كل شئ أن تزال كل ملامح النظام العالمي القديم من الوجود .. كل آثاره وكل معالمه .. حتى ولو كانت مجرد اشلاء متناثرة هنا وهناك !

وهكذا تحرك جنود الشيطان ــ من الانس والجن ــ كعاصفة مجنونة هبت تلتهم بقايا النظام السابق دون شفقة .

كل القيم والشعارات والقوانين القديمة كانت تمحى نهائياً ، مفسحة الطريق للقادمين الجدد ليفرضوا قيمهم ويرفعوا شعاراتهم ويصوغوا قوانينهم .

كانت هذه هي البداية فقط ، وكان الآتي أفدح وأخطر .. وكانت البشرية تقف على عتبة العبور الى واقع جديد ومختلف .. قاس ومريع !

وقريباً من عواصف التغيير الحاصلة حينذاك ، كانت الجماهير واقفة تراقب ما يجري . وان من الصعب علينا ان نحدد شعورها ازاء ذلك كله ، لكن منطق الاشياء وطبائعها يمكن ان يعطينا لمحة عامة عن احوال الناس وردودهم في مثل تلك الظروف ــ ظروف الانقلابات أو الثورات أو الحروب .. ذلك مما نشهده في عصرنا دائماً ولا أظن أن الجماهير اختلفت كثيراً في طريقة تفاعلها مع الاحداث الكبرى في التاريخ حتى مع مرور آلاف السنين وتوالي العهود وانظمة الحكم !

الجماهير في مثل هذه الحالات تكون مشوشة في تفكيرها ، ضائعة في وجدانها .. مصابة بحالة من الشلل لبعض الوقت ، ثم يتفق بعدها أن تتشكل الانقسامات المعتادة : مع التغيير أو ضده ! بصرف النظر عن صواب هذا التغيير أو خطأه ... كل فرد تتنازعه مواقف مختلطة وممزقة بين نداء المبادئ وإلحاح المصالح .

واذن .. كانت صدمة دهمت الجميع ولم يكن في مقدورهم استيعابها أو التعامل مع مضاعفاتها لاحقاً ... حالة من الاحساس بالفراغ كانت طاغية ، وجماهير هائمة كانت تبحث عن يقين وسط الزحام ، ولقد آثرت في النهاية أن تترك نفسها ومقاديرها لرياح نظام جديد أخذ يبشر بمستقبل مفتوح على مصراعيه لكل الآمال والاحلام !

مستقبل حمل لهم لافتة : النظام العالمي الجديد .

○ ○ ○

اتوقف عن الحديث عند هذا المشهد . لدي بعض النقاط المهمة التي أود عرضها ومناقشتها معك ــ قارئي العزيز ــ قبل الاستطراد في بقية الاحداث ..

أنت تلاحظ معي ان الموضوع محل البحث بالغ التعقيد ، خاصة وانني اتحول بك في كل لحظة من موضوع الى آخر ، ومن أزمنة وامكنة معينة الى أزمنة وأمكنة اخرى .. وأثق في انك تتفهم دواعي هذا الاسلوب في الشرح .

موضوعنا مركب ولا يمكن معرفة كل شئ فيه دفعة واحدة .. إذ تجتمع فيه مجالات الدين مع السياسة مع العلم مع التاريخ ـ وهذا التاريخ يضم خليطاً عجيباً ، فيه الحقائق والمعتقدات والاساطير والمعلومات المضللة ، كلها متشابكة ببعضها الى الحد الذي يجعل الوصول الى الحقيقة الخالصة أمراً شبه مستحيل ... انه موضوع واحد يشمل موضوعات متفرقة ، والتطرق لجميعها واجب قبل معالجة الموضوع الرئيسي ، فهي أشبه بالمفاتيح التي تساعد على حل اللغز وفهمه !

لذلك أعتذر بشدة ، فانني لست ممن يؤيدون الانقطاع أو التوقف في سياق أي قصة أو حديث ، حتى ولو كان هذا من باب اضافة بعض الحواشي أو الهوامش للتوضيح .. لكن تبقى للضرورة أحكامها .

واريدك ان تعرف مقدماً أن ما أنوي عرضه من نقاط ليس بالهيّن ، فهي نقاط عميقة ومثيرة للجدل ويحتمل أن تتعدد الآراء بشأنها ، مع ملاحظة انها قد تبدو للوهلة الاولى بعيدة عن السياق الاصلي للحديث .. ولذلك لا اتوقع أن تأخذ كلامي على محمل الثقة المطلقة من البداية .. سيحتاج الامر منك بعض الجهد لتتأمل وتعاين ما سأعرضه عليك ، كما سيتطلب منك جهوداً اضافية لتبحث بنفسك في الخطوط العريضة لما هو معروض أمامك في هذا الفصل (وفصول اخرى تليه في هذا الكتاب) ..

أرجو ألا تكتفي بما أقدمه لك في هذا الكتاب ... المصادر موجودة ، ومحركات البحث على الشبكة الدولية (الانترنت) موجودة . يكفي ان تختار ما تراه مهماً من كلمات اثارت انتباهك أو دفعتك لطرح التساؤلات ، لتنتقل بها الى محركات البحث وتبدأ بحثك الخاص حولها ، ولا شك انك ستجد العشرات من التقارير والمقالات والنشرات التي غطت الموضوع أو عالجت تفاصيل قريبة منه .

ليس هناك جديد فيما ما أقدمه لك .. كثيرون غيري سبقوني بتسليط الضوء على نفس النقاط ، ولعلهم قاموا بتغطية جوانبها بأفضل مما أفعل هنا . والكثير من نتاجات أبحاثهم ودراساتهم متاحة لمن يرغب بذلك .

كنت قد طلبت منك سابقاً أن تشرع ببحثك الخاص ، وكان ملائماً أن أعيد التذكير مجدداً بما قلت ، فالنقاط المطروحة ليست من النوع المتداول في العادة .. انت بحاجة الى استقراءها بشكل عميق .. ان تقرأها وتراجعها بنفسك ، ذلك أفضل ما يمكنني أن انصحك به وأثق في كونك ستصل بعد ذلك الى نتيجة مرضية باذن الله .

[تنبيه : عند بحثك عن الحقائق ، لا تفتش عنها في التقارير التلفزيونية أو التغطيات الاخبارية . ابحث في الكتب والدراسات ، وقارن بين أكثر من باحث ومؤلف .. تذكر انك لن تجد في التلفزيون ما تبحث عنه ، فحتى القنوات العربية مرهونة بيد شركات العلاقات العامة اليهودية !] .

ولعل من الملائم كذلك أن أكرر ما وصفت به ما أكتب بأنه (نظرية) تحتمل الخطأ والصواب .. وصحيح انها تستند الى حقائق علمية وبديهية ، لكنها اجمالاً لا تخرج عن الاطار النظري ولا ترتقي بالتالي الى مستوى الحقيقة الثابتة ..

وطريقتي في شرح هذه النظرية هي أن نتبادل ــ أنا وأنت ــ حواراً هادئاً ومفتوحاً .. نترك لانفسنا الفرصة لنسير معاً خطوة بخطوة ، وفكرة بفكرة ، ونطرح ما نشاء من اسئلة قد توصلنا الى اجابات شافية ، أو قد تكون مجرد معابر تصل بنا الى أسئلة اخرى !

واذن ، هي وقفة مفيدة برغم كل شئ .. استراحة محارب ، توقف لبعض الوقت ليستجمع قواه ويعيد ترتيب افكاره .

○ ○ ○

لست متأكداً بعد كيف سأجد المدخل المناسب للنقطة الاولى ، انما يخطر في بالي ان اطلب منك ان تنظر حولك ..

أنا اعني ما أقول ... انظر حولك ، ماذا ترى ؟

أستبعد أن يخلو محل تواجدك ــ أينما كنت ــ من احد هذه الاشياء : المصابيح الكهربائية ، الساعــة ، التلفزيون ، الكومبيوتر ، مشغل الاقراص الليزرية ، الهاتف المحمول ، الكاميرا ، الفيديو ، الستالايت ، الانترنت ، جهاز التكييف ، ... ، ...

اظننا نستطيع اختصار كل هذه الاشياء وغيرها في كلمة واحدة : **التقنية** !

ألا تتفق معي في انها الطابع الابرز الذي تتميز به حياتنا العصرية ؟

لقد اعطيتك نماذج معدودة من تقنيات تشكل اجزاء حيوية من حياتنا اليومية ، فاذا ما تحدثنا عن نماذج اخرى في مستويات أوسع ، فاننا نذكر على الفور السيارات والطائرات الحديثة ، المعدات الطبية المتقدمة ، اللقاحات ، الادوات المختبرية ، البواخر العملاقة ، السفن الفضائية ، الاقمار الصناعية ، شبكات الاتصال ، المفاعلات النووية ، ... ، ...

ومعلوم أن التقدم التقني امتد الى ما هو أبعد من المجالات المدنية ، ففي المجالات العسكرية كانت الآفاق أوسع وكانت النتائج أخطر : قاذفات القنابل ، الصواريخ عابرة

القارات ، المقذوفات الموجهة الكترونياً ، الغواصات النووية ، اسلحة الدمار الشامل ، العجلات المدرعة ، القنابل الحرارية ، اجهزة الانذار المبكر ، ... ، ...

[ومن المفارقات الاليمة أن العراق نفسه في حربي ١٩٩١ و ٢٠٠٣ كان ميداناً رحباً جربت فيه آلة الحرب الغربية احدث ما توصلت اليه مصانعها من التقنيات العسكرية ... وكانت مفارقة ثانية أن تقنية الاتصالات في الحربين حرصت على بث مشاهد حية من عروض الدمار في العراق لجماهير تابعت الوقائع من على شاشات التلفاز كما لو كانت دعاية مبهرة لاحدث العاب الفيديو !] .

هذا كله ، والآتي ربما أغرب .. فالتقدم العلمي ـــ كما نرى ونسمع ـــ لم يعرف حدوداً يتوقف عندها منذ بدأ مشواره قبل مئة سنة .. كان أشبه بقطار انطلق بشكل مفاجئ وكانت سرعته آخذة بالتزايد مع مضي الوقت ، حتى وصلت هذه السرعة الى مستويات جنونية يصعب قياسها أو التنبؤ باحتمالات توقفها !

هكذا ... التقنية في حالة حركة مستمرة . كل ما نعرفه من اختراعات يجري تحديثها من وقت لآخر بسرعة كبيرة ، واذا كانت سرعة هذا التحديث تقاس في السابق بسنوات معدودة فانها اليوم تقاس بالاشهر فحسب .

الطراز الجديد من الادوات والاجهزة يزيح الطراز القديم ، وهذا بدوره يصبح بعد فترة وجيزة قديماً بانتظار أن يزاح لصالح طراز أحدث ، وهكذا ... قفزات علمية فائقة تتوالى امام انظارنا .. تفوق كل ما تخيلناه في الماضي وأظنها تفوق كل ما قد نتخيله مستقبلاً ..

لم نكن نتخيل في يوم من الايام اننا سنسمع عن فك شفرة الجينات الوراثية .. ولم نكن نتوقع قبلا امكانية التواصل بين الدول عبر المسافات المترامية في هذا العالم الى الحد الذي صرنا ندعوه بالقرية الصغيرة .. كما لم يصل خيالنا يوماً الى أن مجموعة من الاجهزة والخدمات الالكترونية (الهاتف، الفيديو، المسجل، الكاميرا، الحاسوب، ...) سيكون ممكناً اختزالها جميعاً في أداة بحجم أصغر من الكف : الهاتف النقال !

لم .. ولم .. ولم .. أشياء عديدة كانت بعيدة عن خيالنا قبل سنوات ، لكنها اضحت بعد ذلك واقعاً ملموساً بين أيدينا ، نتعامل معه بصورة اعتيادية دون استغراب . وتقديري الشخصي اننا سنسمع في الزمن القادم عن تطورات مذهلة تفوق كل خيالاتـــنا !

○ ○ ○

ما يعنينا في هذا كله أن نتقصى اجابة شافية للسؤال الاهم : ما هو أصل هذه التقنية ؟ كيف بدأ مشوارها ؟ ومتى كانت البداية ؟

أنت تلاحظ معي انهم هناك في الشرق (روسيا وآسيا) وفي الغرب (اوربا وأمريكا) يتعاطون مع هذه التقنية بطريقة تختلف عما نفعله نحن (كعرب ومسلمين) ..

انهم يتعاملون مع مبتكراتها بصفة (المنتج) ... بينما نحن نتلقى هذه المبتكرات دائماً على دفعات بصفة (المستهلك) !

وبطبيعة الحال ، فان هذا المنتج يكون شديد الحرص على إخفاء (أسرار الصنعة) عن كافة المستهلكين .. ذلك وحده ما يضمن له تواصل الطلب واستمرارية الانتاج ، ومن ثم التسويق بنجاح .

وبقدر ادعائنا باننا نملك شيئاً من المعرفة حول تلك التقنيات ، الا أن حدود معرفتنا هذه لا تتجاوز طرق الاستعمال ، أي اننا نجيد استهلاكها وليس أكثر ، فما زلنا نجهل الكثير من التفاصيل المتعلقة بكل الاختراعات التي تصل الينا من الخارج !

وقد ندعي اننا نعرف بدايات هذه الاختراعات ، لكن هذا ليس صحيحاً ايضاً !

الكثير من المصادر حالياً تفيد بأن تواريخ ظهور الكثير من الاختراعات ليست دقيقة بالمرة .. فتاريخ ظهور اي اختراع هو في الحقيقة يمثل تاريخ تسويقه الى العامة بعد كان لسنوات قبلها مجرد تقنية سرية ليست متاحة إلا لمخترعيها ..

أي ان هناك فارق زمني بين الاكتشاف الحقيقي لاي اختراع وبين اطلاقه علناً الى العالم ، وقد يصل هذا الفارق الى عشرات السنوات !

واليك بعض الامثلة :

■ مصادر متعددة تؤكد مؤخراً أن ابتكارات حديثة مثل الكومبيوتر وشبكة الانترنت والهاتف المحمول كانت موجودة فعلياً منذ ثلاثينات القرن العشرين في حوزة مجموعة محددة من الاشخاص !

■ مصادر اخرى تشير الى ان الاسلحة والمعدات الحربية الحديثة كانت قبل عقود معروفة لاشخاص معدودين في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق ، تم التعتيم عليها كتقنيات سرية ، كانت في الاصل ــ بحسب المصادر ــ جزءاً من الابحاث التي جرى الاستيلاء عليها من مختبرات المانيا النازية بعد سقوط نظام ادولف هتلر في الحرب العالمية الثانية !

■ ... وضمن مجموعات الاوراق والملفات التي عُــثر عليها في المختبرات السرية لالمانيا النازية ، وُجدت تصاوير للكرة الارضية التقطت من الفضاء الخارجي . و لم

يعرف أحد الكيفية التي تم بها هذا الانجاز المتقدم آنذاك . وبقي الامر لغزاً محيراً حتى توصل العلماء الى تحقيقه في أواخر حقبة الستينات من القرن العشرين !

■ ثمة معلومات ترجح ــ في الوقت الراهن ــ وجود برامج عسكرية متطورة (أمريكية وروسية) تتجاوز بمراحل ما نعهده اليوم من الاسلحة الحالية التي في حوزتهم !
ماذا عن الاطباق الطائرة ؟ لعلها تكون جزءاً من تلك البرامج السرية .. فالاخبار تتردد عن توصلهم الى مراحل متقدمة في تقنيات ما يعرف بالجاذبية المضادة ، وهي المبدأ الاساس لتسيير الاطباق الطائرة (هذا اذا سلمنا فعلا بوجودها وبانهم تمكنوا من تصنيع نماذج ناجحة منها !) ...

■ بعض الاخبار تتحدث عن اكتشافات مذهلة لمعالجة مرض السرطان بكفاءة ، وقد تقرر بشكل ما حجب هذه الاكتشافات عن عامة الناس منعاً لاي خسائر متوقعة قد تلحق بالشركات العالمية المتخصصة بتصنيع الادوية الحالية !

■ أحد الباحثين أطلق نظرية خاصة حاول من خلالها تفسير الانفجار النووي الشهير الذي وقع عند وادي تانجسكا في سيبيريا سنة ١٩٠٨ .. بافتراض ان ما حصل وقتها كان تجربة لقنبلة نووية على يد جهة مجهولة كان لها السبق في اكتشاف هذه التقنية قبل ان تتوصل اليها الولايات المتحدة التي ألقت اولى نماذجها على مدينتي هيروشيما وناغازاكي في اليابان اواخر الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ !

[ينبغي الاخذ في الاعتبار ان انفجار سيبيريا تجاوز في شدته ما وقع في هيروشيما وناغازاكي بألف مرة . حتى قيل ان وميض الانفجار وقتها أضاء نصف الكرة الارضية !] .

■ شهادات تاريخية عديدة ــ يتم تجاهلها للاسف! ــ تسجل لنا أشخاصاً (في روسيا والهند وفرنسا والولايات المتحدة) توصلوا الى صنع نماذج ناجحة للطائرة وتمكنوا فعلياً من التحليق بها .. وجميع تلك التجارب كانت سابقة بحوالي خمسين عاماً لمحاولة الطيران التي قام بها الاخوان ويلبر واورفيل رايت في العام ١٩٠٣ !

[اللافت للنظر أن اصحاب تلك السوابق في الطيران اعتمدوا في تصاميم طائراتهم على مخطوطات قديمة يعود تاريخها ــ بحسب زعمهم ــ الى آلاف السنين !] .

■ افلام السينما الامريكية ــ بما فيها العروض الصامتة وافلام الابيض والاسود ــ ظلت لعقود تقدم للعالم تصورات مسبقة لتقنيات وآلات عرفنا بعضها في ايامنا الحالية ، ومع توقع بان البعض الآخر على وشك الظهور فعلا على ارض الواقع .. ذلك ما دفع الخبراء والباحثين الى التساؤل بجدية : هل كان ما تقدمه هوليوود للعالم خيالاً خالصاً فحسب أم

انها كانت اداة دعاية مدروسة بهدف الترويج لتقنيات موجودة فعلاً في مختبرات ومصانع سرية حتى يحين موعد اظهارها علناً الى الناس ؟!

[والشاهد الابلغ على هذا رأيناه في شكل مشهد سينمائي تم الانتباه الى وجوده مؤخراً من قبل بعض الخبراء وقد اثار حيرة الجميع دون ان يجدوا له تفسيراً مقنعاً ... لقطة جانبية خاطفة في الفيلم الشهير (السيرك) للفنان العالمي تشارلي شابلن والذي يعود انتاجه الى العام ١٩٢٨ . وفيها تظهر سيدة تحمل بيدها جهازاً يبدو تماماً كالهاتف المحمول ! ... في وقت لم تكن فيه هذه التقنية أو شبيهاتها متوفرة ولم يكن أحد يتخيل وجودها ، حتى ان احداً لم ينتبه الى تلك اللقطة ايامها !] .

وهكذا مئات من التقارير والشهادات والمعلومات المتسربة من مصادر مختلفة ، وجميعها تتفق على فكرة واحدة :

إن الحقيقة هي غير ما يعرضونه امامنا ... وفيما يبدو ان مجموعة من الاشخاص يتداولون سراً فيما بينهم تقنيات متطورة في كافة المجالات ، ولا يسمحون بنشرها لعامة الناس إلا بعد أن يكونوا قد تخطوها بمراحل نتيجة لتوصلهم الى تقنيات أكثر تطوراً ..

هذه المجموعة الخفية متواجدة في مكان ما هناك !
ولا أحد يعرف أين تقع (هناك) هذه علـــى وجه التحديد !
انها تقع في بقعة ما ، على امتداد المساحات الشاسعة ، في الشرق او الغرب من الارض . وربما كانت في كليهما !

○ ○ ○

اتوقع منك ان تسألني بسلامة نية :
هل يعقل أن يكون هذا كـــله صحيحاً ؟
ما هي احتمالات الخداع في مثل هذه الاخبار والنظريات المتعلقة بها ؟
وهل يجوز الاستشهاد بها اذا لم نكن متأكدين بعد من مصداقيتها مئة بالمئة ؟
وهل من دلائل قاطعة وموثوقة تدعم تلك النظرية ــ نظرية مجموعة الاشخاص غير المرئيين الحائزين على التقنية بصورة خفية ؟!

اعتقد ان علينا ألا ننسى حقيقة مهمة وأساسية ، وهي ان التقنيات واكتشافاتها جاءت الينا من مصدر واحد : هناك !
والفكرة واردة بعدها في ان التقارير والمعلومات حول حيازة تلك التقنيات واخفاءها قد وصلت الينا من نفس المصدر : هناك !

وفي كلتا الحالتين ــ برأيي ــ كنا نلعب دور المتلقين .. ولذلك لا نملك ــ في احسن الظروف ــ سوى ان نقابل ما نتلقاه بوعي وتفكير موضوعي . ولسنا قادرين على اكثر من ذلك .

قد اتفق معك في أن شيئاً من التلفيق أو المبالغة قد حصل في بعض الحالات ، لكن اذا كنا نواجه كماً كبيراً من الشهادات والاخبار يعد بالمئات ، واذا كان هناك فعلا من احتمالات ولو ضعيفة في مصداقيتها فاظن ان تجاهل هذا كله لن يكون مقبولاً .. مجرد محاولة للهروب مما نخشى مواجهته او تعجز مشاعرنا عن تحمله اذا كان حقيقياً بالفعل !

يجب علينا ــ احتراماً لعقولنا على الاقل ــ أن نبذل قدراً من الجهد في التفكير والتحليل بدل أن نتجاهل ما هو ماثل امامنا ، سواء كان حقيقياً او مزيفاً .

بالنسبة لي أترك مسألة المصداقية والكذب جانباً ، فقد تجاوزت هذه المرحلة منذ وقت طويل .. واظنني زودتك برؤوس الاقلام لتتحرى النظرية بنفسك ، فالبحث الشخصي خير وسيلة للتأكد من كل ما قد يصعب فهمه أو قبوله لاول وهلة .

وأجدني مع ذلك متفائلاً في ان احقق معك بعض التقدم في حال كنت ترفض تصديق النظرية المعروضة امامك . فما سأقدمه لك في السطور القادمة ــ هكذا اتصور ــ سيدعم كلامي ببعض المنطق وسيكمل لك الصورة بقرائن أقوى .

لننتقل اذن الى النقطة التالية .

○ ○ ○

إن قصة الحضارة كما ترويها لنا المؤسسات التعليمية ، وكما تأثر بها معظمنا منذ الصغر ــ تستحق النظر والمراجعة :

تفترض الرواية ــ مجرد افتراض ــ ان المسيرة الانسانية ابتدأت قبل مليون عام ..

انسان خطا خطواته الاولى على الارض وهو اقرب في هيئته للوحوش البرية .. وكان هذا الانسان (الوحــش) جاهلاً بكل شئ ، عاجزاً عن النطق السليم . لكن مجموعة من الحوافز الغريزية حثته بقوة على التحرك في سبيل استكشاف الحياة حوله ..

لم يكن لديه الكثير ليتعلمه في البداية ، فنظام الحياة السائد حوله بسيط للغاية ، وعرف من خلاله أن المعيشة هي شغله الشاغل قبل كل شئ ، ووجد كذلك أن دائرة الطمأنينة التي تحيط به شديدة الضيق في حال فكر أو حاول الحصول على عناصر هذه المعيشة ..

كانت الحيوانات المفترسة تترصد له من كل صوب وتقطع عليه سبل ايجاد ما يسد جوعه .. لم يكن هناك قوت يكفي الجميع ، ولذلك ادرك أن عليه القتال لانتزاع طعامه منهم مهما كان الثمن .. وكانت المواجهة حتمية بين الانسان الوحش وبقية الوحوش !

ساعدته قوته اول الامر في التغلب عليهم ، لكن هذا وحده لم يكن كافياً في مواجهتهم كل مرة .. ذلك ما دفعه بعد مدة الى التفكير في وجوب أن يصبح وحشاً أقوى من بقية الوحوش . وكان عليه ابتكار وسائل اضافية للدفاع عن نفسه ..

وهكذا لجأ الى اقرب الاشيــاء اليه في الطبــيعة ، الصخور والاشجار والاحجار والعظام .. منها صنع اولى ابتكاراته الحربية : هراوات تصلح لاغراض الصيد ، كما تكون فعالة اذا لزم الامر وداهمته الاخطار على غير انتظار !

وظلت اهتماماته لفترة طويلة قاصرة على الصيد وتحصيل القوت اليومي . لم يكن يعرف بعد نظام الثلاث وجبات ، فاما انه كان يتخم نفسه دفعة واحدة او يمسك عن الطعام اذا لم يكن متوفراً لديه ما يأكله ..

الحياة بالنسبة له كانت همجية ومملة .. يجوب الغابات في النهار عارياً أو شبه عار ، ثم يأوي في الليل الى كهفه قلقاً من المجهول .. وقد يسهر لبعض الوقت يرسم على جدران الكهف من الداخل ما يتذكره من اشكال وصور انطبعت في مخيلته لاشياء أو مخلوقات لاقته اثناء تجواله في الطبيعة ...

ومع مضي الايام أخذ يستشعر حاجة ملحة الى وجود ضرورات اضافية في حياته .

من ذلك مثلا ، أنه احس بوحدة قاتلة ، وكان عليه بعدها أن يكسر حاجز الخوف ويسعى بكل جهده باحثاً عن أفراد آخرين من بني جنسه (وتم له ذلك فعلا) ...

ثم ان احتياجات (أمنه الشخصي) كانت تزيد هي الاخرى ، فالمخاطر و التهديدات من حوله عديدة .. ولقد حفزته ظروف التنقل والصيد الى اختراع أنماط واشكال جديدة من الاسلحة : القوس والسهم والنصال الحادة والرماح والحبال والمقاليع ..

لازمه شعور دائم بان قدره أكبر من ذلك كله .. فليس عليه أن يطلب الطمأنينة فحسب من الحياة . ان حروبه مع الحيوانات والاخطار هي صراع مصير ستتحدد بموجبه هوية السيد الحاكم في هذه الارض .

واذن كان عليه أن يتعاون مع رفقائه من البشر لتحقيق هذا الهدف .

ومن هنا نشأت الحاجة الى استحداث وسائل للتواصل معهم أكثر فعالية من مجرد التفاهم بالاشارات ... وجرّب هذا الانسان أن يتعلم مخارج الحروف والكلمات ، وأن

يعطي بعد ذلك لكل شئ ماثل أمامه اسماً معيناً لتمييزه عن غيره من الاشياء . وبعد محاولات متكررة توصل الى اختراع : اللغة !

...........................!
...........................!

توالت بعدها اكتشافات اخرى مهدت له الطريق لحياة اكثر رقياً ..

اكتشف اشعال النار بالصدفة البحتة وعرف انها ستكون سلاحه الجديد الذي سيقهر به اعداءه في المستقبل ، كما استفاد منها لاغراض التدفئة والطهي والانارة ... واكتشف ان هناك صنوفاً من الحيوانات ليست ضارة فاستأنس وجودها قربه وكانت تلك بداية انتفاعه من منتجاتها الحيوانية ... ثم اكتشف بالملاحظة ان هذه الحيوانات تتمتع مثله بمعجزة التناسل وانه قادر على رعاية تكاثرها وزيادة اعدادها ، وكانت تلك بداية حياة الرعي بالنسبة له ...

وكان الحدث الابرز في حياته انه اكتشف الزراعة !

كانت تلك هي النقلة النوعية التي اوصلته الى حياة أكثر استقراراً وتطوراً ، إذ تبين له بعد سنوات حافلة بالمتاعب و المطاردات ان زراعة الارض ستكون مورداً للقوت أفضل بكثير من الصيد .. وعليه بدأت طباعه تتبدل بالتدريج ليتأقلم من ذلك الوحش القديم الى انسان أرقى وأكثر تهذيباً .

المجتمعات الانسانية اخذت بالتوسع شيئاً فشيئاً . بنيت المساكن ونسجت الثياب وصنعت العجلات والعربات والزوارق والاواني والادوات المنزلية والطواحين .. وهكذا خطوات تلو خطوات كانت تسير به بانتظام من الهمجية الى المدنية .

ومن واقع ما قد يحدث عادة داخل أي مجتمع من نزاعات بين افراده ، نشأت ضرورة فطرية لاستحداث نظام واضح يعمل على فض الخلافات الناشبة وتقسيم الحقوق والواجبات بين الافراد . وكان الاتفاق بعدها على تسمية احدهم زعيماً مفوضاً يتعهد بمسؤولية تطبيق النظام على الجميع دون تفرقة ..

وهكذا عرف الانسان نظام الحكم .. وكانت القبيلة هي شكله الاول في الارض .

ولما كانت الثروات والموارد الطبيعية لا تتوزع بالتساوي في جميع الاراضي ، فان قبيلة من القبائل قد تنتج داخل رقعتها الزراعية ما يفيض عن حاجتها من منتجات معينة بينما تفتقر الى اشياء ومنتجات اخرى تجدها متوافرة لدى القبيلة المجاورة . فتولدت فكرة ان تتبادل القبيلتان فوائض المنتجات لدى كل منها وبحسب العرض والطلب ..

وكان هذا هو الاساس الذي قامت عليه التجارة .

ومع تنامي المعاملات التجارية وتنوع المنتجات المعروضة في كل منطقة ، تزايدت الخلافات بشأن تقييم كل سلعة وكمياتها بالمقارنة بما سيقدمه الطرف الآخر من سلع وكميات في المقابل . وبناء عليه تقرر أن يكون تنظيم هذه التبادلات وفق نمط جديد يحفظ لكل سلعة قيمتها : النقود .

ولا تلبث المنافسات الحامية أن تندلع بين القبائل . والنزاعات لا تنتهي بسهولة على اراض أو اقاليم او ثروات يرى كل طرف انه الاحق بالاستحواذ عليها .. وفي ظروف تختلط فيها الاهواء مع الاطماع ، تكون الحروب بينهم خياراً نهائياً لا مفر منه !

كل قبيلة تحاول اثبات نفوذها وقوتها امام نظيرتها .. وقد يحدث ان تشترك في الحرب أكثر من قبيلة ، وتظهر بذلك أشكال من التجاذبات والتحالفات تجمع بعض القبائل على حساب قبائل اخرى تخوض نفس الحرب ..

وربما حكمت الظروف لاحقاً ان تكون هذه التحالفات دائمة بين القبائل المتجاورة في حال كانت الاخطار التي هددتهم دائمة الوجود هي الاخرى .. وينتج عن هذا التحالف الدائم نواة لنظام سياسي أكثر تعقيداً في المستقبل : الدولة ... انها الشرعية التي تحفظ القوانين والتقاليد لكل الناس وتتدخل في تفاصيل جمة من حياتهم اليومية !

............................!
............................!

ثم تنتقل بنا قصة الحضارة الى فرضيات أشد غرابة :

الانسان ذاق طعم النجاح في تلبية احتياجاته المادية ، لكن احتياجاته الروحية كانت ما تزال عالقة في ضباب الاوهام !

أنواع من المخاوف كانت تعتريه باستمرار في كل وقت ومكان .. الخوف من الكوابيس ، الخوف من المرض ، الخوف من العواصف ، الخوف من الشيخوخة ، الخوف من الموت ، الخوف من الظلام ، الخوف من المجهول ... ووجد نفسه وسط هذه المخاوف يبحث عن الدين : عبادة روحية تجعله يتعلق بآلهة تفوقه قوة وقدرة وتغذيه بالسكينة والاطمئنان وقتما دعاها لنجدته ..

وكان المطلوب تحديد هوية هذه الآلهة !

راح ذلك الانسان يفتش عن معبودات من كل صنف ولون .. توجه لعبادة القمر والشمس والنجوم والارض والبحر والحيوانات وغيرها ... كان يتضرع لاسترضاء كل ما يراه من مظاهر قوى طبيعية تفوق استيعابه ويأمل أن تمنحه الحماية وتقيه شرورها . وبقدر ما كانت تفزعه فكرة ان يواجه هذه المظاهر وحيداً فان التزامه بعبادتها واخلاصه في تقديم الولاء لها كان يشعره بالارتياح مهما بالغت تلك القوى في غضبها نحوه !

وتطورت التجربة بعد ذلك الى انواع جديدة من الآلهة .. وخطرت له فكرة أن الاشباح والارواح هي المسؤول المطلق عن توجيه كل قوى الطبيعة ، فجعل يعطي اسماء ويوزع مهام وواجبات لكل إله على حسب ما يراه مناسباً : آلهة السماء وآلهة الارض وآلهة البحر وآلهة الحب وآلهة الجنس وآلهة الحصاد ...!

ولما كانت العقيدة الدينية لها كل ذلك التأثير النافذ في حياة الناس آنذاك فان رجال الدين في تلك الظروف اكتسبوا مكانة قريبة من مكانة الآلهة التي يخدمونها ويتوسطون بينها وبين بقية هؤلاء الناس .. وأصبح ذلك بمثابة اتفاق غير مكتوب بين طرفين بقي ساري المفعول عصوراً وراء عصور ..

رجال الدين ــ الكهنة يؤدون دورهم في المحافظة على صلة البشرية بالآلهة التي يتقدمون لها بطلبات التزكية والغفران للآخرين . وهم ازاء ذلك يستحقون امتيازات خاصة لا تحل لسواهم من عامة الناس !

ومن ناحية ثانية وافق الناس طواعية على الخضوع لسلطة الكهنة .. فلا بأس أن يكون هؤلاء تجسيداً لقيم ورموز يستمدون منها الايمان والراحة النفسية مهما ارتكبوا من الآثام ومهما تمادوا في اقتراف الخطايا !

هكذا حسم الانسان القديم موضوع الدين بضمير مرتاح !

............................!
............................!

ثم قادته افكاره الحرة بعد ذلك الى البحث عن وسائل جديدة ليعبر من خلالها عن نفسه ويدوّن فيها تجاربه الثقافية كموروث تنتفع به الاجيال القادمة ..

رؤى وخيالات مفتوحة الافق أوصلته بعد محاولات جهيدة الى ابتكارات ستشكل فيما بعد قواعد اساسية للحضارات الانسانية العريقة : الكتابة ، الرسم ، النحت ، المعمار ، ...

لم يعد انساناً بدائياً كما كان من قبل .. لقد صار فناناً ملهماً يعرف قيمة الحياة .

ولا عجب أيضاً أن العلم الانساني تقدم هو الآخر وكان لابد أن يتم تصنيفه الى علوم وفروع وعناوين : الطب ، الرياضيات ، الكيمياء ، الفلك ، الجغرافية ، الفلسفة ، ...

لقد انقضت العصور الحجرية الى غير رجعة . وآن الاوان لتقوم حضارات عملاقة لها الفضل الاكبر في اعطاء البشرية كل أصول الثقافة والعلوم والقوانين والفنون ..

حضارات تعاقبت عبر فصول التاريخ :
السومريون ـــ الفراعنة ـــ اليهود ـــ الفرس ـــ الاغريق ـــ الرومان ...

الميراث الحضاري كان يتراكم بالترتيب كبناء بعضه فوق بعض . لكن صعود هذا البناء توقف وتعثرت مسيرته دون معرفة الاسباب .. وحين جاءت فترة العصور الوسطى احتفظت البشرية بمستويات ثابتة من العلوم والتقنيات .. لاتقدم ولا تأخر .

وعلى نحو مفاجئ عاود التقدم التقني ظهوره لاحقاً فيما عُرف بعصر النهضة ، وهي فترة الانتقال من العصور الوسطى الى العصر الحديث ـــ من القرن الرابع عشر وحتى اوائل القرن السابع عشر .. حيث شهدت نزوح العلماء والمفكرين الى ايطاليا ، ومن هناك انتشرت النهضة الثقافية والعلمية الى سائر البلدان الاوربية ...

ومع مطلع القرن الثامن عشر تسارع الايقاع أكثر ليصل بالبشرية الى ما عُرف تاريخياً بالثورة الصناعية في أوربا ، عندما حلت (الماكينات) محل العمل اليدوي وانتشرت مظاهرها على امتداد القرن التاسع عشر في اوربا وخارجها .. وكان لهذا الانجاز آثار اجتماعية واسعة ساهمت في تغيير نمط الحياة في كل بلدان العالم ..

ويجئ القرن العشرين في آخر المطاف ليشكل الطفرة الكبرى ... دخلت الانسانية بخطى واثقة عصر المعلومات والتقنيات . وبدا الامر للجميع وكأنها النهاية التي استحقها الانسان المعاصر اخيراً عن جدارة بعد عهود من المعاناة والحرمان والتخلف !

إنها النهاية السعيدة للمغامرة ، كما أرادوا اقناعنا بها ، وكما اقتنعنا بها دائماً !

○ ○ ○

ماذا يمكنني أن أقول ؟
اظنك خمنت مثلي تماماً ان كل ما جاء في هذه الرواية محض افتراء وتلفيق ، لم يحدث أبداً . انما علينا الاعتراف أننا تأثرنا به ـــ كله او جزء منه ـــ على نحو أو آخر . بل ربما سايرناه في وقت من الاوقات او حتى تحمسنا له دون أن تراودنا الشكوك في صحته !

لكنه في كل الاحوال لم يحدث ابداً :

■ لم يحدث أبداً أن استهل الانسان مسيرته على الارض قبل مليون عام ... لايمكن بالقطع التوصل الى الرقم الصحيح بهذا الخصوص ، لكنه أمر مستحيل أن يصل الى حدود المليون أو قريباً منه . فالاجتهادات التي تستند الى ما أطلعنا عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من عهد ابينا آدم (عليه السلام) وحتى يومنا هذا لا تبتعد في تقديراتها عن عشرات الآلاف من السنين . وهي كما ستجدها بناء على بحثي الشخصي ضمن هذا الكتاب تتراوح بين ٢٥٠٠٠ و ٥٠٠٠٠ سنة كحد أقصى ... ورغم أن الاكتشافات الاثرية التي نسمع عنها كل يوم لبقايا هياكل عظمية قديمة ــ لها قول آخر ، فهي تعطي أرقاماً وتقديرات تزيد عن ذلك بكثير ، الا انها لا تعتبر أدلة حاسمة ، فالوسائل المختبرية لتحديد الازمنة والاعمار ما تزال قاصرة ولا يمكن الاتكال عليها في اعطاء نتائج دقيقة وموثوقة .

■ ولم يحدث أبداً أن خطا الانسان خطواته الاولى في هذه الدنيا وهو على هيئة وحش من وحوش البرية .. واذا كان هذا التصور عن الانسان القــديم مجرد فكرة منقولة الينا عن طريق الورق المكتوب ، فان وسائل الاعلام المرئية كان لها الفضل عندما جسدته لاحقاً امام من لم يقرأ أو يطلع ... صورة حية وناطقة عززت الفكرة ورسختها أكثر في عقول الناس : كائن مشوه ، غليظ وكثيف الشعر . وتعابير البلاهة مطبوعة على وجهه بغير مداراة ... أبعاد جسده تفتقد للتــناسق المعتاد .. واذن لا يجمعه أي تشابه مع انسان العصر الحديث . انها صورة شنيعة تناقض ما أخبرنا به الله سبحانه في محكم كتابه :

﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ •** ﴾ التين ٤

■ ولم يحدث أبداً أن كانت مقدمات الحياة البشرية في الارض قد ابتدأت بانسان نشأ جاهلاً لكل شئ ، وعاجزاً كلياً عن النطق السليم ، ثم احتاج الى اكتساب المعارف عن طريق الملاحظة والتجربة . لا! .. الانسان الاول لم يتأخر كل ذلك الوقت ليكوّن فلسفته الخاصة في شؤون الحياة ... قلت لك سابقاً انه جاء مسبقاً بكامل مؤهلاته اللغوية والعلمية الى الارض بعد ان تعلم كل الاسماء ودلالاتها من الله عز وجل . أظنك لم تنس بعد ما ناقشناه في الفصل السابق في معاني قــوله تعالى :

﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ البقرة ٣١

■ ولم يحدث كذلك أن كانت تصرفات ذلك الانسان الاول تميل الى الاضطراب والبربرية كما تصوّرها لنا الرواية المفترضة ... ولا أبالغ اذا قلت أن سلوكيات ذلك الانسان كانت على أعلى درجات التحضر والذوق . فليس منطقياً أن تلصق صفة البربرية بكائن بدأ مشوار الحياة في الجنة قبل الارض . ونحن نعرف أنه كان مطالباً بعدها بان ينقل ما تعلمه في الملأ الاعلى الى ذريته من بعده . وطبقاً لما نعرف فان هذا التعليم كان شاملاً لجميع التفاصيل والمعايير التي تحكم ما يفعل أو يقول .

■ ولم يحدث مطلقاً أن قام ذلك الانسان بتجارب فكرية وتأملات روحية حين كان يتمدد ليلاً في العراء ويحدق مطولاً في النجوم ، ليحاول من خلالها استكشاف هوية الآلهة الخارقة التي لها الفضل الاول والاخير عليه في الوجود ... ولم يحدث أيضاً ان تنقل في عبادته بين أكثر من آلهة ليتعرف الى الاصلح من بينها لولاءه التام ، ومن ثم يقرر آرائه الدينية وفق منظوره الخاص .. لا! .. الايمان السليم لا يحصل بالطرق العشوائية بهذا الشكل ، ولا يسعنا أن نصدق بأن الطريق الى معرفة الله يمر حتماً بكل هذه المطبات والعراقيل .. ان من صاغ فرضيات هذه الرواية أراد الزعم ــ عن سابق قصد ــ بأن الحياة انطلقت بانسان كافر لا يعرف له رباً ، واعتقد أن تفاصيل قصة آدم (عليه السلام) كفيلة وحدها بالرد على كل هذه الترهات ..

○ ○ ○

ألا ترى معي أن القصة أعلاه ــ قصة الحضارة ــ تلتقي في الشكل والمضمون مع ما جاءنا به داروين في القرن التاسع عشر ؟

[تشارلز داروين (١٨٠٩ ــ ١٨٨٢) . عالم طبيعيات انجليزي . وهو صاحب نظرية التطور الشهيرة التي تبنى فيها فرضيات تقوم على فكرة ان جميع الاحياء ــ مهما تعددت في انواعها وفصائلها ــ تنحدر من أسلاف مشتركة .. وبالتطبيق العملي للنظرية على بني الانسان ، لخص داروين آرائه بان البشر الحاليين يعودون في الحقيقة الى سلالة من القرود تكيفت مع تعاقب الاجيال والظروف مما أدى الى تطور هذه السلالة ذهنياً ومنطقياً الى الانسان الذي احتاج بعد ذلك الى أزمنة وعصور اضافية لينضج الى الانسان المعروف بصفاته وخصائصه الحالية !
طرح داروين نظريته بثقة تامة ، لكنه بقي رغم ذلك حائراً في تفسير ما سماه بالحلقة المفقودة التي توسطت بين القرد والانسان ... وتذكر بعض المصادر الحديثة بانه كان ينتمي سراً الى احدى طوائف عبادة الشيطان !] .

وقد نتذكر ان نظرية (الانسان وأصله من القرود) قد واجهتها مواقف متباينة بين الرفض والايجاب في ارجاء العالم ، في حين أننا في العالم الاسلامي قابلناها باحتجاج حازم ، ومازال موقفنا العام منها كما هو حتى هذه اللحظة .. وهذا جيد في حد ذاته . لكننا اكتفينا بهذا القدر ، والمشكلة بعد ذلك ظلت قائمة !

المشكلة اننا انكرنا جزئية محددة من النظرية ، ثم تركنا الباقي منها يتلاعب بأفكارنا !

أنكرنا فرضية (أصل القرد) . ثم أبقينا بعدها على فكرة (التطور بالتدريج) !

وقعنا في اكبر أخطائنا حين انطلت علينا بقية القصة :

ان الانسان قطع اشواطاً صعبة على طريق المعرفة استغرقته لآلاف السنين ، واذا به يصبح بشكل مفاجئ ــ في غضون المئة سنة الاخيرة ــ انساناً ذكياً ومبدعاً ومولعاً بالالكترونيات وبرامج الفضاء والهندسة الوراثية !

حتى لو سلمنا بنظرية التطور التدريجي (مع القبول ببعض الطفرات التي رافقت ذلك التطور!) ، فهل ينسجم هذا التفسير مع ما حدث فعلا : نمو متسارع ومفاجئ في العلوم والتقنيات في غضون عشرات السنين ؟!

ماهو رأيك ؟!

○ ○ ○

إننا بحاجة ماسة ــ كمسلمين ــ الى تحريك عقولنا في اتجاهات مغايرة لما يطرحه علينا الغرب ، او اليهود ، أو غيرهم ، سمّهم ما شئت ... لدينا العقول ، كما هو الحال لديهم .. وسبل المعرفة متاحة لنا كما هي متاحة لهم .. ونزيد عليهم بعد ذلك بنقطة اضافية لصالحنا : المنهج القرآني الذي في متناول ايدينا .

ليست بنا حاجة الى مواصلة الاعتماد على الغير . لابد أن نمارس دورنا بفاعلية لنصوغ افكاراً ونظريات اكثر عقلانية من هذه السذاجات التي يقدمونها لنا !

ومادمنا الآن بصدد الربط المنطقي بين النقطتين السابقتين : أصول التقنية وقصة الانسان القديم .. اقترح النظرية التالية :

لسنا الاجيال الوحيدة التي عايشت التقنية المتقدمة .
لقد شهدت الانسانية هذا التقدم التقني والعلمي من قبل على مدار آلاف السنين ..
شهدته في السابق مرة واحدة على الاقل ، ولعلها شهدته مرات عدة .. من يدري ؟!

اذا كنت ستسألني :
هل تعني بأن القدماء في زمن ما امتلكوا حواسيب وهواتف وسيارات وطائرات ؟!

فساجيبك بغير تردد :
أجل .. ذلك ما أعنيه تماماً . وما نعيشه من تقدم في هذا العصر ليس في حقيقته سوى إعادة طبع لافكار ومشاريع سبقنا بها الانسان القديم من قبل .

طرحت امامك نظريتي بغير تحفظ ، مع انني لست على يقين بعد بانك قد أصبحت مهيئاً لتقبل الفكرة . الى جانب انني لا ألومك اذا كنت تشعر ببعض الانزعاج ، فهذا بالتحديد ما

كان يحصل لي حين اقتربت من الفكرة للمرة الاولى .. الافكار الجديدة تتداخل بعنف مع المسلـّمات القديمة .. ذلك بالضبط ما يحدث بداخلك !

وعملياً ، ليس هناك ادلة دامغة تدعم نظريتي . انه فقط الحدس التاريخي . وتضاف اليه مجموعة من القرائن التي تجعل منه نظرية وجيهة .. هذا كل ما لدي ، وهو في مجمل الاحـــوال أكثر بكثير مما في حوزة المؤيدين لنظريات التطور وبدائية الانسان القديم وغيرها .. تراهم يتعسفون ويقدمون لنا الانطباعات لدعم آرائهم أكثر مما يستشهدون بالحقائق !

ماذا لو احتكمنا الى الماضي ؟ مع الاخذ بالاعتبار أن لا احد منا يملك ان يقول بانه يعرف ما وقع فعلاً في الماضي السحيق ، في عصور ما قبل تدوين التاريخ .. الامر لا يخرج عن نطاق الفرضيات التي يطلقها أصحابها وهم يتأملون ما تركته الحضارات القديمة وراءها .. صروح وأضرحة ومباني ومعابد وقصور ولوحات وكتابات وتحف !

كل هذه الاطلال الباقية .. هل لها أن تعطينا صورة قابلة للفهم عن طبيعة الحياة السائدة في ايامها قبل مئات وآلاف السنين ؟!

وهل كان أصحابها مجرد اقوام متخلفة وجاهلة كما يقولون ، أم ان آثارهم الباقية تدل على تقدمهم علمياً بالقياس الى مفاهيمنا الحالية عن العلوم ؟!

انتقل معك الى النقطة التالية .

○ ○ ○

تعال معي نلقي نظرة فاحصة على آثار الحضارات القديمة .

انشاءات ضخمة وغريبة ، أقل ما يقال عنها انها اعمال هندسية فريدة في تصاميمها واساليب بنائها .. وهي تكاد تكون منتشرة في كل أرجاء الكرة الارضية .. في العراق والشام ومصر والهند والصين وأوروبا وأمريكا اللاتينية .. وأعمارها تعود الى أزمنة موغلة في القدم !

تبدو للواقف امامها انها تتحدى الزمن وتغيرات المناخ بكل عناد .. كتل حجرية عملاقة ما تزال قائمة في السهول والجبال والصحاري والغابات ، وحتى تحت مياه البحار والمحيطات .. وكان من الطبيعي أن تثير هذه الصروح فضول الباحثين والمؤرخين وتجتذبهم الى مواقعها .. يقومون بمعاينتها عن قرب ويسرحون بخواطرهم معها .

والواقع انهم كانوا أمام لغز استثنائي بالغ التعقيد ، فجميع تلك النصب والابنية كانت مجهولة النسب .. لا احد يعرف تحديداً مصدرها أو هوية القائمين على انشائها ، أو حتى الغرض الحقيقي من بنائها وفق تلك الاشكال والتصاميم ، وإن كانت تبدو وفق بعض التفسيرات انها بنيت بايحاء ديني !

ومع ذلك فان بعض الاشياء تبدت للباحثين بشكل مبدئي .. إذ وجدوا بمواصلة البحث والمقارنة بين جميع النصب الحجرية انها متشابهة الى حد ما ، العديد منها على هيئة اهرام أو اشكال مقاربة للهرم ، موزعة بشكل متفرق في اكثر من مئة موقع في العالم ..

[بخلاف ما يعتقده معظم الناس بان الاهرامات متواجدة في مصر وحدها .. حيث ان الاهرامات المعروفة في الجيزة هي الاكبر حجماً قياساً ببقية الاهرام في العالم ، إلا انها ليست الوحيدة على وجه الارض !] .

ثم ان هذه النصب العملاقة متماثلة في مكونات بنائها .. كلها ذات حجارة ضخمة وغير عادية . وكلها منتصبة بحيث تتجه نحو الشمس (مشرق الشمس) أو القمر أو الكواكب أو الابراج السماوية .. وكلها على نحو أو آخر ـ بحسب النظريات الحديثة ـ تتوافق في مواقع تشييدها مع نقاط محددة من سطح الكرة الارضية ، تتركز فيها التيارات أو الحقول الكهرومغناطيسية ..

سارت الابحاث بعد ذلك خطوات نحو الامام ، حين حاول العلماء أن يفكوا أسرار الكتابات والرموز المنقوشة على جدران النصب والمعابد القديمة ..

وكانت مفاجآت اخرى بانتظارهم :
لقد سجلت كتابات الاقدمين كماً هائلا من الانجازات العلمية التي لا تخطر على البال. وتبين منها ان أصحابها برعوا في مجالات الكيمياء والطب والتحنيط والهندسة والحسابات الرياضية المعقدة ، كما ظهر فيها اهتمامهم البالغ بحركة الشمس والارض والكواكب والنجوم .. بالاضافة الى معلومات متقدمة في ميادين الفلك والجغرافيا والملاحة ، مع توصلهم الى رسم الخرائط والمخططات وفق أبعاد متناهية في الدقة !

وكان أن احتوت تلك الكتابات ايضاً على كم مماثل من الثقافات والاساطير الغريبة .. احاديث عن الآلهة الجبارة صاحبة الفضل عليهم والتي منحتهم كل هذه العلوم والمعارف ... وقصص مثيرة تكشف وجود حضارات عظيمة سبقت الحضارات الانسانية بازمنة لا تعرف بداياتها ، وبلغت فيها العلوم والتقنيات درجات تفوق كل التصورات والخيالات .. لكن حدث في حقبة لاحقة أن اختلفت الآلهة فيما بينها لاسباب غير معروفة ، ونتج عن تواصل تلك الخلافات الى وقوع كوارث كونية وطبيعية ابادت كل معالم الحضارة ولم يبق منها شيئاً !

وكان العلماء في حيرة من أمرهم ، يتساءلون : هل يثقون بما كتبه القدماء على انه قصص حقيقية حدثت فعلاً في الماضي ، أم انها كانت مجرد خيالات لمؤلفيها ، أو حتى محاولات من أشخاص أرهقهم الفراغ فصنعوا لانفسهم تراثاً دينياً وألحقوه بأسماء آلهة وقوى خرافية من اختراعهم ـــ أي على طريقة ومنطق قصة الحضارة آنفة الذكر ؟!

ولوقت طويل ظلت المدونات الاثرية تخضع لدراسات معمقة من قبل الباحثين .. الا انه لم تكن هناك اجوبة شافية لكل التساؤلات . فقط بعض الاستنتاجات القليلة التي جعلت اللغز يزداد غموضاً :

إن جميع الحضارات القديمة واطلالها المتفرقة في انحاء الارض ، تعود في الاصل الى منبع واحد مشترك .. الكتابات كلها ـــ رغم اختلاف التعابير احياناً وتباعد المواقع ـــ تشير الى ان أصحابها كانوا يعتـــنقون الديانات نفسها ، ويتوجهون بعباداتهم للآلهة نفسها ، ويستلهمون معارف وعلوم ذات طبيعة واحدة !

وفيما يتعلق بتفاصيل تلك العلوم والمعارف ، فلا أحد يملك اجابة قاطعة تغطي هذا السؤال .. ويبدو أن من كانوا وراء قيام الحضارات السابقة قد تحوطوا سلفاً لهذا الامر وعرفوا جيداً كيف يحافظون على أسرار علومهم ومعارفهم ..

وعلى سبيل المثال ، النصب والانشاءات الحجرية .. نحن نراها قائمة امامنا ، لكننا لا نعرف على وجه اليقين طريقة بناءها ، أو بتعبير أدق .. نجهل الاساليب والتقنيات الهندسية التي اتبعها البناؤون لينجزوا أعمالهم بالشكل الذي نطالعه امامنا !

لنستعرض نماذج من الصروح والابنية القديمة :

■ الهرم الاكبر في الجيزة/مصر Great Pyramid : وهو أكثر الصروح التي حيرت عقول الباحثين وشغلت مخيلتهم حولها . والاعتقاد الشائع خاطئ تماماً بشأن تسميته هرم خوفو ، كما أن قصة تسخير الفراعنة للعبيد لبناء الهرم خلال عشرين عاماً ليست سوى فرضية ثبت بطلانها مؤخراً ... وقد بينت الابحاث بان خوفو كلمة وليست اسماً ، وهي تعني (تعالى) .. يخلو الهرم من المحتويات او الكنوز ، كما لا يوجد فيه ما يدل على انه كان يوماً ما مقبرة ملكية . وعموما ليست هناك فكرة واضحة عمن بنى الاهرام ولا الغاية من بنائها كأضخم صرح معماري في تاريخ الحضارات البشرية على الاطلاق . وتفيد التقديرات بان الهرم الاكبر تطلب لبنائه مليونين ونصف المليون من الحجارة الهائلة التي تزن الواحدة منها أكثر من طنين .. يصل ارتفاع قمته الى ١٤٦ متراً وتحتل قاعدته المربعة مساحة اثني عشر فداناً ، بينما وجوهه الاربعة مثلثة الشكل مضبوطة بدقة عجيبة مع الاتجاهات الاربعة المعروفة : الشمال والجنوب والشرق والغرب .

■ معبد جوبيتر Jupiter temple : ويقع في مدينة بعلبك اللبنانية ، ويعد أضخم المعابد التي بناها الرومان على الاطلاق لتمجيد وعبادة كبير آلهتهم جوبيتر . وبقايا المعبد

الموجودة حالياً مؤلفة من ستة أعمدة هائلة يرتفع كل واحد منها الى ٢٢ متراً ... تقنيات نقل وتقطيع الاحجار الضخمة المكونة للمعبد ما تزال سراً مدفوناً .

■ مدينة البتراء الاثرية Petra : تقع جنوبي الاردن . ويعني اسمها وفقاً للغة اليونانية القديمة : الصخر ، فهي عبارة عن مدينة كاملة أشبه بالقلعة منحوتة في الصخور . وتسمى أيضاً بالمدينة الوردية ، نسبة الى لون الصخور التي شكلت بنائها . ولم يتوصل أحد من الباحثين الى السبل والوسائل التي اتبعها القدماء في تقطيع وحفر معالم المدينة داخل الصخور كما لو كانت قوالب من الزبد .

■ اكروبوليس Acropolis : قلعة حجرية هائلة تضم مجموعة من أشهر المعابد القديمة وتقع على قمة احد التلال في العاصمة اليونانية اثينا . وكلمة اكروبوليس تعني باللغة اليونانية : المدينة العالية .. وكانت تمثل اشهر معالم الحضارة الاغريقية المعروفة .

ـ ستون هنج Stonehenge : اطلال واقعة في جنوب غرب انجلترا . وتتكون من مجموعة دائرية من الاحجار الضخمة ، زنة الحجر الواحد منها ٤٠ طناً وارتفاعه يصل الى ٧ امتار .. ولايعرف حتى اليوم ما يرمز اليه هذا الاثر ، ويرجح بعض الآثاريين انه كان في زمن ما مرصداً فلكياً للتقويم الشمسي .

■ خطوط نازكا Nazca lines : وهي سلسلة خطوط منقوشة بدقة عجيبة على سطح الارض في احدى الهضاب الصحراوية جنوبي بيرو ، وتمتد على مساحة واسعة بحيث لا يمكن رؤيتها أو تتبعها الا من ارتفاعات شاهقة جواً .. بعض الخطوط تتقاطع لتشكل علامات وأشكال هندسية ، وبعضها تمثل رسومات هائلة لكائنات مختلفة مثل البجع والنسر والقرد والعنكبوت والكلب والانسان ! .. وقد تعددت النظريات حول تفسير نشأتها والغاية منها ، وهناك بعض الباحثين رجحوا ان تكون هذه الخطوط بمجموعها خارطة ارضية لتوجيه وارشاد المركبات المحلقة في السماء .

■ موقع تيواناكو Tiahuanaco : موقع أثري يتميز باسواره العملاقة ونصبه الحجرية الغريبة ، يقع على ضفة بحيرة تيتيكاكا في بوليفيا . حجارة هذه الأسوار أغلبها مُحزز بحيث تتحد وتتعشق أيَ حجارةٍ منها (زنة ٥٠ طناً) مع الحجارة التي تحتها والتي فوقها والتي على جانبيها ، وبصورة محكمة بحيث لا تسمح حتى بحشر ورقة بين حجرين! ، مما يدل على إستعمال الليزر أو تقنية دقيقة لقطع كل تلك الصخور وتحزيزها ونقلها وبنائها .. ولم يعرف أحد من الاقوام الذين كانوا وراء هذا الانجاز الكبير .

■ تماثيل المواي Moai : تماثـيل حجرية عملاقة .. مصنوعة من البازلت (الصخور البركانية) ، وهي منتصبة على طول سواحل جزيرة ايستر Easter النائية والمعزولة وسط المحيط الهادي . يبلغ عددها بالمئات ، وهي تجسد ملامح بشرية نصفية دون أطراف (أقدام

أو اذرع) . يتراوح ارتفاع التمثال الواحد بين ٣ ــ ١٢ متراً ، ويزن بحدود ٥٠ ــ ٨٠ طناً .. جميع التماثيل متماثلة الشكل وتتجه بالنظر الى نفس الاتجاه ، وهي منحوتة ومنصوبة بكيفية يصعب انجازها حتى في أيامنا هذه . وقد لاحظ الباحثون بانها موزعة في اماكن تتوافق مع حسابات فلكية معقدة ، لكنها اخفقوا في ايجاد تفسيرات مقنعة توضح هوية صانعيها واسباب وظروف تشييدها .

○ ○ ○

من بنى تلك الصروح الحجرية ؟ وكيف ؟ ولاي غرض ؟

هل بوسعنا أن نتصور اعمالاً عملاقة كهذه تم انجازها فقط باستخدام الشاكوش والازميل ــ على حسب ما نتصور انه كان متاحاً من الادوات لدى القدماء ... الغريب اننا بكل تقنياتنا الحالية وآلاتنا المتقدمة نعجز عن تشييد أشياء مماثلة لبعض تلك الآثار ، فاذا كان القدماء يحوزون على عقليات ذكية وتقنيات تفوق ما لدينا ، فالسؤال اذن :

أين اختفى هؤلاء ؟!
الغموض سيد الموقف . والاسرار تنتظر من يفك طلاسمها .

[هذا ما سنفعله باذن الله في هذا الكتاب . ثق بي والتزم الصبر حتى النهاية !] .

أريد أن استعرض معك نماذج اخرى مختلفة من تذكارات القدماء :
■ في العام ١٨٥٠ كانت بداية استخراج واكتشاف الالواح الطينية السومرية ، أو ما يعرف بالاختام الاسطوانية Sumerian cylinder seals قرب مدينة الموصل في العراق .. رجحت الاختبارات بانها تعود لتواريخ تصل الى ستة آلاف سنة .. وبعد قيام الخبراء بفك رموز الكتابات المسمارية المنقوشة على تلك الالواح ، وجدوا انها تصف تفاصيل حقيقية ومتقنة لكواكب نظامنا الشمسي ومداراتها وتوابعها ، مع انها ــ حسبما نعرف ــ لم تكتشف حديثاً الا قبل حوالي ٣٠٠ سنة .
كيف استطاع السومريون رصد ومعرفة مواقع الكواكب في النظام الشمسي ، مع ان أول تلسكوب تم اختراعه من قبل العالم الايطالي غاليليو في القرن السابع عشر ؟

■ في العام ١٨٩٨ عثر الباحثون الانجليز في موقع سقارة الاثري بمصر داخل احدى المقابر الفرعونية على قطعة غريبة تزن ٤٠ غراماً فقط ، تمثل نموذجاً خشبياً مصغراً لطائرة شراعية Ancient egyptian airplane model ، وقد كتبت عليه عبارة بحروف هيروغليفية دقيقة تمت ترجمتها الى : هدية آمون سيد الرياح .. وقد أهمل الباحثون هذا الاكتشاف اول الامر ، خاصة وان الطائرات لم تكن معروفة في وقتهم ، حتى اعاد الباحثون المصريون اكتشافه في العام ١٩٦٩ .. واشارت نتائج دراساتهم الى ان هذا

المجسم لم يكن عبثياً في تصميمه ، فأبعاده ومقاساته منتظمة وذات نسب مثالية تتطابق تماماً مع أبعاد ومقاسات الطائرات الحديثة ، التي تماثل في شكلها طائرة الكونكورد المعروفة في ايامنا الحالية ..
كيف حصل قدماء المصريين على المواصفات الصحيحة للطائرات ؟ واذا كانوا حقاً يمتلكون العلوم اللازمة لهندسة الطيران فلماذا لم يصنعوا الطائرات نفسها ؟

■ في العام ١٩٠٠ قرب سواحل جزيرة انتيكيثرا اليونانية ، عثر مجموعة من الغواصين اليونانيين على قطعة من البرونز تعود الى أزمان غابرة ، وبعد تنظيفها وفحصها من قبل ذوي الاختصاص ، كان تقديرهم انها تقنية فلكية متطورة ، أشبه بآلة حاسبة أو بوصلة ذات صناعة ميكانيكية معقدة ، ولعلها كانت تستعمل قديماً لاغراض الرصد والارشاد في الملاحة البحرية .. وأشار الباحثون بأن لتلك الآلة خاصيات أدق بكثير من أحدث الساعات السويسرية في عصرنا الحاضر . وصارت تعرف باسم : آلية انتيكيثرا أو كومبيوتر الاغريق القديم Antikythera mechanism ، Ancient greek computer .

■ في العام ١٩٢٤ تم العثور على جمجمة منحوتة من كريستال الكوارتز في احد المعابد المهدمة في هندوراس Quartz crystal skull .. تحمل الجمجمة تفاصيل دقيقة جداً لجمجمة الانسان العادي ، وبعد الدراسة تبين أن لها خصائص ضوئية مميزة في حال تعرضت لنور الشمس .. وما أثار حيرة العلماء أن حجر الكوارتز يعتبر من أقسى واصلب انواع الحجارة على الاطلاق بعد الالماس وبالتالي يصعب نحته . مع العلم أنه لا تظهر على الجمجمة الآثار والخدوش المعتادة عند النحت ، حتى لو تم فحصها ورؤيتها تحت المجهر .. فهل توفرت للقدماء تقنيات متقدمة لنحت تلك القطعة العجيبة ؟

■ في العام ١٩٣٦ كشفت التنقيبات الاثرية في قرية عراقية تدعى خوجه رابو بالقرب من العاصمة بغداد عن ١٢ قطعة فخارية ، طول القطعة الواحدة ١٥ سم ، وفيها اسطوانة من النحاس تضم داخلها قضيباً من الحديد مع بقايا لمواد حامضية .. تبين لاحقاً بعد سلسلة البحوث والتجارب التي قام بها المشرف على المتحف العراقي آنذاك ــ العالم الالماني وليام كونيج ، انها عبارة عن بطاريات بدائية تولد تياراً كهربائياً ، ولقد تم صنعها قبل آلاف السنين . وفيما بعد اشتهر هذا الاكتشاف تاريخياً في كافة المصادر باسم : بطارية بغداد Baghdad battery .
هل عرف قدماء البابليين الكهرباء و تطبيقاتها منذ قديم الزمان ؟

■ قبل سنوات معدودة تنبه مجموعة من الآثاريين الاجانب الى وجود رسومات هيروغليفية غريبة الشكل منقوشة على جدران معبد ابيدوس Abydos temple الشهير في جنوب مصر .. الرسومات تشير الى مركبات متطورة ، احد الرسوم يمثل غواصة حديثة ، والآخر على هيئة طائرة هليكوبتر ، لايمكن لاحد أن يراها إلا ويستعيد على الفور صورة

مروحية الاباتشي الامريكية .. اما الرسم الثالث فهو أقرب ما يكون لشكل الطبق الطائر (اليوفو UFO) على وفق النمط الذي يشاهده الناس مراراً في افلام الخيال العلمي ..
هل يجوز التفكير بان الفراعنة تنبؤوا فعلا بمجئ تلك التقنيات الفائقة في زمان لاحق ؟ أم انهم عرفوها في زمانهم على ارض الواقع ؟

○ ○ ○

اخترت لك عينات من بين عشرات الامثلة التي احسبها مؤشرات قوية تدعم وجهة نظري بشكل كاف حول تقنيات الماضي . والى جانب ذلك كنت حريصاً على ان ألحق كل عنوان أو اسم بما يقابله باللغة الانجليزية ، وتقديري في هذا الشأن انها ستكون كلمات مفتاحية Key Words تسهل عليك مهمة البحث في شبكة المعلومات ــ الانترنت بغرض المزيد من الاطلاع ..

إن نخبة من الاشخاص في كل حضارة من حضارات الماضي السحيق ــ بما فيها حضارات سومر وبابل والفراعنة والمايا والإنكا والاغريق والرومان ــ عرفوا التقنية وتطبيقاتها في كافة مجالات الحياة .. هذا ما أريد قوله اجمالا . على انني لا أريد أن نقفز بالاستنتاجات الى أبعد مما يلزم ، ولذلك أكون أكثر تحديداً فأقول : انهم عرفوا التقنية في عصورهم ، لكنهم لم يستخدموها فعلياً على نطاق واسع !

إن حيازة التقنية واختراعاتها تتطلب حتماً توفر عنصرين أساسيين : العلم وموارد الطاقة . أي أن تتوفر العلوم اللازمة بكيفية صناعة التقنية مع توفر موارد الطاقة التي تحوّل هذه العلوم الى واقع ملموس في متناول اليد ..

[وعلى سبيل المثال .. النفط هو المورد الرئيسي للطاقة في حضارتنا المعاصرة .. إذ تحتاج اليه كافة قطاعات الصناعة والنقل والكهرباء . فلو حدث في الزمن اللاحق ان تم استنفاذه كلياً ــ وهو ما يتوقعه الخبراء مستقبلا في السنوات الخمسين القادمة ــ فلا يمكن تعويضه مجدداً ، وبذلك تتحقق الفكرة نفسها : نضوب الموارد مع بقاء العلوم عنصراً عقيماً لا يوفر لاصحابه أدوات الحياة المرفهة التي تمتعوا بها من قبل !] .

وهكذا فان اصحاب الحضارات المذكورة أعلاه قد حازوا على عنصر العلوم ، لكنهم افتقدوا العنصر الثاني : الموارد .. ويمكن القول ان حضاراتهم كانت في حقيقتها محاولات لاستعادة التقنية ... استعادة تقنية ضائعة كانت في وقت ما موجودة من قبل تحت سيطرة حضارة كبرى كانت سابقة لهم جميعاً ، وقد تسنى لها في زمانها أن تجمع بين العنصرين معاً : العلم وموارد الطاقة .

[لو صحت هذه النظرية فان ذلك سيؤكد مصداقية ما جاء في كتابات القدماء عن الحضارة العظيمة التي كانت في زمن سحيق سائدة عالمياً ومتفوقة تكنولوجياً ، ثم اصبحت بعد زوالها بعصور المصدر الاوحد الذي زوّد الحضارات السائرة على أثرها بالعلوم والمعارف !] .

وبرغم ما تقوله الكتابات القديمة ، فان سجلات التاريخ المدوّن لا تحفظ لنا أثراً صريحاً لمثل هذه الحضارة المنقرضة .. ومع ذلك فان الاساطير الشعبية التي تناقلتها الذاكرة البشرية أجيالا وراء أجيال اخبرتنا عن قصة تتطابق حرفياً مع ما قلناه .. قصة حضارة غابرة حكمت العالم بتقنياتها المتقدمة ثم تلاشت تماماً بين ليلة وضحاها !

القصة معروفة على مستوى حشد غفير من الباحثين والمثقفين .. وحتى بالنسبة لمن لا تعنيهم روايات الاساطير القديمة فانهم لابد قد سمعوا يوماً ــ ولو حتى بالمصادفة ــ باسم تلك الحضارة :

اطلانتس Atlantis !
هل يعني لك هذا الاســم شيئاً ؟!

انتقل الى النقطة التالية .

○ ○ ○

كلمة الاسطورة في اللغة العربية تعني الاخبار القديمة المسطورة . وهي احدى اشتقاقات جذر الفعل الثلاثي (س ط ر) الذي يفيد معنى الكتابة والتدوين .. ومنها تطورت لتصبح كلمة (ستوري) أو (ستوريا) في عدة لغات اخرى بمعنى القصة أو التاريخ .

وتختلف الآراء بشأن الاساطير القديمة .. هل يمكن التعامل معها على انها وقائع تاريخية وقعت فعلا في زمن ما ، أم انها مجرد خرافات صاغتها عقائد ونسجتها خيالات مجموعة من الحالمين ، ثم تناقلتها الاجيال من بعدهم دون معرفة أصولها ؟!

يجوز كذلك ان تكون الاسطورة خليطاً من الاحتمالين .. حقيقة اختلطت بشئ من الخيال مع تقادم الزمن . ولعل هذا ما ينطبق على اسطورة اطلانتس التي ظلت دائما لغزاً مستعصياً بوجه العلماء والباحثين الآثاريين . ولم يستطع أحد منهم حتى اليوم أن يثبت أو ينفي وجودها على نحو قاطع !

القصة ــ باختصار شديد ــ أن حضارة عظيمة أقامت دولتها على امتداد مساحة المحيط الاطلسي (الاطلنطي) ــ والذي اخذ اسمه منها فيما بعد .. حيث كانت اليابسة تشغل معظم المساحة الواقعة بين قارات اوربا وأفريقيا وأمريكا قبل ان تغرق فيما بعد بالمياه !

وجاء وصف تلك الحضارة على انها كانت الارقى على مر العصور .. توصل شعبها الى امتلاك تقنيات بالغة التطور وخبرات علمية وهندسية لا توصف .. تجسدت معالم العمارة فيها من خلال المعابد والابنية الشاهقة والطرقات والجسور وقنوات الري وأرصفة الموانئ والابداعات الفنية الفريدة في نحت التماثيل الضخمة .. كما ظهر تفوقها التقني من خلال خطوط الاتصال السريعة ووسائل النقل المتقدمة ــ بما فيها وسائل الطيران !

وكانت دولة اطلانتس مقسمة ادارياً الى آلاف الولايات . وقد دفعها تفوقها التقني وترسانتها العسكرية الضخمة الى التفكير جدياً بغزو العالم بأسره .. ولعلها سارت أشواطاً في مشروعها هذا قبل أن تتعرض في النهاية الى كارثة طبيعية أغرقتها بالكامل ودفنت كيان حضارتها في أعماق المحيط الاطلسي !

اندثرت في يوم وليلة .. ولم تبق منها شواهد مادية تدل على وجودها !

تلك كانت النهاية لاكثر الاساطير غموضاً واثارة !

يعود الحديث عن اطلانتس الى زمن بعيد . وكانت أقدم المصادر التي وصلتنا عنها ما كتبه الفيلسوف اليوناني الشهير افلاطون في القرن الرابع قبل الميلاد ، ضمن محاوراته الشهيرة تيماوس وكريتياس Timaeus & Critias .. والتي ذكر فيها معرفته لقصة اطلانتس عن طريق أحد احفاد السياسي اليوناني المدعو (صولون) ، الذي سمعها بدوره من كهنة الفراعنة حين كان مسافراً الى مصر .. وتدور القصة حول جزيرة اطلانتس التي كانت بحجم قارة تقع وراء اعمدة هرقل (مضيق جبل طارق حالياً) .. وفي تلك الجزيرة الهائلة أقام سكانها امبراطورية جبارة ، واستطاعوا بعد ذلك أن يجوبوا العالم ويهزموا العديد من الاراضي المحيطة بهم .. ثم زاد طغيانهم عقب كل الانتصارات التي حققوها وشاع فيهم الفساد والجشع ، الى ان تدمرت الامبراطورية بفعل ثوران البراكين المفاجئ وما تلاه من ارتفاع مخيف في امواج البحار ، أفنى حضارتهم كلياً وابتلع معالمها في اعماق البحر ..

وكان افلاطون حريصاً على ان يؤكد في كتاباته صحة هذه القصة بالقول انها حقيقة وليست خيالاً ، على الرغم من غرابة احداثها وغموض نهايتها . وقد حدد تاريخ الغرق بأنه حدث قبل زمنه بحوالي ٩٠٠٠ عام .. غير أن العديد من الباحثين أنكروا مجمل روايته حول اطلانتس ، بافتراض انها اقرب الى نظرية مثالية وضع فيها الفيلسوف الاغريقي احلامه ورؤاه لما يجب ان تكون عليه صورة المدينة الفاضلة (اليوتوبيا) التي اشتهر ذكرها في بقية كتاباته .. يضاف الى ذلك ان ما تم العثور عليه من السجلات المصرية لم يسجل حرفاً مما اخبر به صولون عن اطلانتس !

ومع ذلك فان مسألة محيرة بشأن الرواية المذكورة ظلت معلقة دون تفسير مقنع ، ذلك ان افلاطون اعطى وصفاً دقيقاً لمدن اطلانتس ... الارصفة البحرية ، ومنظومات الري في المدن وشبكات المياه الموصولة بالبيوت ، والمعابد والتماثيل والابنية الشامخة ، والملاعب الرياضية ، واساليب الزراعة المتقدمة ، وتقنيات الانارة دون اشعال النيران !

وكأن افلاطون كان يصف مدينة من مدن المستقبل .. كيف تسنى له ذلك وهو الذي عاش في زمن بالغ القدم كانت فيه التقنيات والرؤى محدودة لغاية .. ولم يكن منطقياً أن يقترب خيال أي شخص وقتذاك من وصف معالم المدنية في عصرنا الحديث ؟!

○ ○ ○

ولم تنته القصة عند هذا الحد . فمع مرور الوقت وتراكم الابحاث والدراسات في شتى المجالات ، ظهرت قرائن جديدة كان لها أن تعزز رواية افلاطون عن القارة الغارقة ..

بينها ذلك التشابه البيئي والجغرافي الذي لاحظه العلماء في كل من قارتي أفريقيا وأمريكا .. وجود نفس الانواع من النباتات والحيوانات فوق بقعتين تفصل بينهما مساحة مائية شاسعة ، إلا ان كان هناك ارض وسيطة كانت تصل يوماً بين القارتين !

وبينها ذلك التشابه المدهش في آثار الحضارات القديمة في كلا القارتين .. نفس الكتابات والابنية الغريبة ــ الاهرامات ــ والرموز والعقائد والآلهة والمخططات العمرانية !

وبينها ما بات معروفاً عن تقاليد الفراعنة انفسهم .. وكيف ان كهنتهم اعتادوا على الاحتفاظ سراً بكل العلوم والاخبار الحساسة دون تدوينها او حتى السماح لغيرهم بالاطلاع عليها .. والارجح أن قصة بأهمية اطلانتس ينطبق عليها هذا المنطق !

وهكذا تحفزت رغبة الكثيرين في اثبات وجود اطلانتس . وراح العلماء يبحثون في كل مكان واتجاه .. ونشرت عشرات المقالات والكتب تتحدث عن الموضوع في اطار نظري يفتقر الى الادلة العلمية . وكان السيناتور الامريكي اغناتيوس دونللي أول من نجح في أن يحول اطلانتس الى موضوع أكاديمي قابل للنقاش بين الخبراء والمثقفين وحتى عامة الجماهير ، وذلك بسبب كتابه الذي اثار ضجة كبيرة وقت صدوره في العام ١٨٨٢ : اطلانتس ــ عالم ما قبل الطوفان Atlantis, the Antediluvian World . وكان ما قدمه في الكتاب بمثابة صدمة من العيار الثقيل ايقظت في الاذهان عشرات التساؤلات والاعتراضات ..

قدم دونللي نظريته حول اطلانتس كالتالي :

■ إن اسطورة القارة المفقودة كانت حقيقة واقعة بلا شك !

■ وانها كانت بالفعل امبراطورية مزدهرة في يوم من الايام .. احتلت معظم مساحة المحيط الاطلسي قبل ان يغمرها الطوفان !
■ ثم انها اصبحت الاساس المعرفي والعقائدي الذي قامت عليه في حقب لاحقة كل حضارات العالم القديم !
■ وان حضارة الفراعنة التي برزت للعالم بشكل مفاجئ كانت صورة طبق الاصل مما كانت عليه اطلانتس في علومها ورموزها ودياناتها !

وكعادة ما يحدث حين يتجاوز شخص حدود التفكير المألوفة في عصره ، انقسمت المواقف حيال دونللي .. من ناحية ، كان قديساً في نظر مؤيديه .. وشيطاناً من ناحية اخرى بنظر معارضيه ..

ولم يُحسم الخلاف حول القضية ، حتى ظهر شخص آخر بعد سنوات وقدم دليله على وجود اطلانتس باسلوب مدهش لم يتوقعه احد ..

في صيف العام ١٩٤٠ ، أعلن احد المنتمين الى جماعات عبادة الشيطان ، وهو العراف الامريكي المعروف إدجار كايس Edgar Cayce ــ أن اطلانتس حقيقية وانه تمكن عبر (وساطة روحانية قوية!) من استبصار احوال اطلانتس في العام ١٠٠٠٠ قبل الميلاد .. وزعم ان سكانها كانوا أصحاب حضارة تكنولوجية متقدمة وسخروا الطاقة النووية لخدمتهم في مجالات وانشطة متعددة .. ثم تنبأ بحدث هام سيقع بعد موته بفترة : بروز أجزاء منها من قلب المحيط الاطلسي في العام ١٩٦٨ أو العام ١٩٦٩ .. وكان قد حدد ظهور تلك الاجزاء قرب جزر البهاما !

كان كايس قد توفي في العام ١٩٤٥ ، ولم تلق نبوءته تلك اهتماماً كافياً من قبل الباحثين في ذلك الحين ، خاصة وانهم كانوا مأخوذين بتطورات الحرب العالمية الثانية .. ومرت السنوات ، وتحققت النبوءة .. في المكان والزمان اللذين حددهما كايس منذ ما يزيد على ربع قرن !

في العام ١٩٦٨ حبس الأمريكيون انفاسهم وهم يطالعون الصور التي التقطتها كاميرات الطائرات الامريكية لاطلال حجرية قديمة طفت فوق سطح الماء قرب جزر البهاما .. لكنها لم تبق في موضعها وقتاً طويلا ، إذ سرعان ما غاصت الاطلال مجدداً عائدة الى اعماق المحيط الاطلسي !

[هل كان الامر حدثاً مدبراً بشكل مسبق ، أم خبراً تخطفته الشياطين في السماء فألقت به على لسان واحد من اتباعها ؟ ... اترك لك حرية التخمين !] .

يمكن القول ان نبوءة كايس عملت على تغيير قواعد اللعبة ، فلم يعد المؤيدون لاطلانتس مطالبين كالسابق بتقديم مرافعات الدفاع أمام معارضيهم على شكل نظريات وتكهنات يعجزون عن اثباتها .. هاهو الاثبات الصريح قد ظهر امامهم سواء اقتنع به الجميع أم لا .. وأكثر من هذا ان تقنيات الغوص الى الاعماق قد شهدت تقدماً ملحوظاً منذ ذلك الحين ، فلم يعد ضرورياً ان ينتظروا ادلة جديدة تشق طريقها اليهم .. الاوفر ان يبادروا بانفسهم للوصول اليها تحت الماء !

وهكذا بدأت حملات الغوص والتفتيش في اعماق الاطلسي . وكانت النتائج التي تبدت للغاطسين مثيرة بحق .. في مناطق متفرقة من المحيط جرى اكتشاف آثار واضحة لا يمكن ان تكون الا من صنع الانسان ... طرق حجرية مرصوفة ، اسوار متناسقة ممتدة لمسافة عشرات الكيلومترات ، مباني قديمة ، بقايا اهرامات ، سلالم منحوتة ، ...

!!

○ ○ ○

قالوا الكثير عن اطلانتس . ولطالما كان اصحاب المقولات يقدمون نظرياتهم بشأنها للناس على شكل أخبار ومقالات ودراسات وكتب وحتى قصص وأفلام سينمائية .. لكنني اعترف ان الموضوع لم يكن قبلاً داخلاً في دائرة اهتماماتي . والى وقت قريب لم أكن متحمساً لاخصص له قسطاً من جهدي وبحثي لولا أن صادفني عنوانه ـــ وتكررت المصادفات بعد ذلك ـــ لدى قراءتي لبعض الادبيات الماسونية !

اكتشفت بعدها ان اطلانتس عندهم ليست مجرد قصة ، وليست مجرد اسطورة !
انها عقيدة مقدسة بالنسبة لهم ، يتواصل تلقينها وتوريثها لاجيال متعاقبة من المنتمين لمجتمعات الاخوية السرية !

هؤلاء يعرفون اطلانتس على انها أصل الحضارة والعلوم والتقنيات منذ فجر التاريخ ، وانها الانجاز الاكبر لآلهتهم على وجه الارض .. عاشت عصرها الذهبي في الماضي ثم تعرضت للدمار الشامل اثر اختلاف تلك الآلهة فيما بينها .. واليوم ، تقع على عاتق أفراد الاخوية مهمة إعادة اطلانتس من جديد !

من هنا ، بدأت اولي اهتماماً خاصاً بامر الامبراطورية المفقودة ، ومن ثم جذبتني قصتها بعد ذلك .

نقاط عديدة في قصتها أثارت انتباهي . وآثرت تأجيل ذكرها حتى تعرض النقاط نفسها بنفسها مع المجرى الطبيعي للاحداث اللاحقة في فصول هذا الكتاب .. فقط أكتفي بعرض نقطة واحدة تتصل ببحثنا الحالي .. انت تذكر اننا ابتدأنا بسؤال :

ما هو أصل التقنية ؟ كيف بدأ مشوارها ؟ ومتى كانت البداية ؟

وأخشى أن ما سبق لي تقديمه عن احتكارات التقنية وأطلال الحضارات القديمة ، مضافاً اليه العرض المختصر لقصة اطلانتس ــ يوحي على نحو ما بفكرة مفادها ان الامبراطورية المفقودة كانت عملياً الأصل الاوحد لكل علومنا وتقنياتنا الحالية ..

أخشى ان هذا ما يبدو لاول وهلة .. لكنه ليس صواباً بالمرة . ولذلك أقول تصحيحاً : ان اطلانتس كانت بالفعل اصل العقائد التي قامت على اساسها الحضارات في سومر وبابل والفراعنة والمايا والانكا ... ، ... الخ ، وبالتالي كانت منبعاً وحيداً لعلوم ومعارف تلك الحضارات . لكنها لم تكن يوماً اصل العلوم للبشر .

والحقيقة ان نبينا آدم (عليه السلام) كان هو الاصل الحقيقي للعلوم ، ومعه بالتواكب بدأ مشوار التقنية التي عرفها الانسان فيما بعد ..

وقد لايمكننا الجزم بتفاصيل هذا الامر على صورته وظروفه التي حدثت فعلا قبل آلاف السنين ، غير اننا نستطيع ان نخلص ــ بالحدس ــ الى ان التقنية وتطبيقاتها قد سلكت طريقها في الارض من أحد احتمالين :

الاحتمال الاول : ان آدم (عليه السلام) جاء الى الارض وبحوزته مسبقاً المعرفة الشاملة لكل الاشياء والمخترعات فضلاً عن سبل صناعتها والانتفاع بها ، وهكذا فانه شهد تطبيقات التقنية ومجالاتها خلال عصره مع أبناءه وأحفاده .. وهذه الفكرة ــ إذا صحّت ــ قد تدعم مصداقية الحديث المنسوب الى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : ((لما أخرج الله آدم من الجنة ؛ زوده من ثمار الجنة ، وعلمه صنعة كل شيء)) . [أورده الالباني في السلسلة الضعيفة : ٦١٩٣] .

[يبدو ــ قارئي العزيز ــ انك موعود في هذا الكتاب بغرائب الافكار .. اتصور حتماً انه يصعب أن يتلائم التفكير التقليدي مع نظرية الانسان الاول وحيازته لمبتكرات التقنية على اختلافها ، لكني متفائل بانك ستعتاد مع الوقت على مثل هذا النوع من الطرح !]

الاحتمال الثاني : ان آدم (عليه السلام) تعلم من ربه الاسماء كلها ، وهو بذلك كان مطلعاً على الاشياء ومعانيها فحسب ... كان ملماً بأسماء المخترعات ومكوناتها الاساسية دون ان تكون لديه فكرة شاملة عن تركيبها النهائي . ووفقاً لهذا المنطق فانه كان يعرف مثلا فوائد السيارة وهيئتها مع وظائف وأشكال مكوناتها الرئيسية : المحرك ، الغطاء ، المقود ، العجلات ، الصندوق ، ... الخ . ويستقيم التفكير بعدها بأن ابناء آدم أخذوا هذا القدر من المعرفة عن أبيهم ، وهو كاف بحد ذاته ليجتهدوا بعدها في المحاولات والتجارب حتى يهتدوا الى ايجاد الاختراعات المطلوبة .

[لاحظ معي أن كلمة تكنولوجيا Technology بصيغتها الانجليزية تعود في الاصل الى الكلمة العربية تقنية ــ من الفعل الرباعي أتقن !] .

○ ○ ○

ما علاقة هذا كله بحديثنا الاصلي ؟!
أجل ، صحيح .. أعلم انني أطلت عليك كثيراً ، انما ستعرف الجواب حالاً .

لقد انتهيت للتو من شرح ما أريده من نقاط . وبوسعنا الآن العودة الى متابعة القصة من حيث توقفت بنا أحداثها .. واني على ثقة بانك ستتابع مجرياتها بعد كل الذي قلناه وناقشناه معاً برؤية أكثر وضوحاً واستيعاباً من ذي قبل ..

ستشهد على ذلك بنفسك !

○ ○ ○

سقط النظام العالمي القديم ..
وفي ظروف ما بعد ذلك السقوط كانت الموازين الدولية في حالة انقلاب كامل ، وكانت الجماهير مع تسارع الاحداث امامها مصابة بالدوار وعاجزة عن الفهم !

وسواء كانت الجماهير في انحاء العالم تدرك أم لا ما كان ينتظرها من كوابيس مظلمة ، فان ابليس وكبار مستشاريه في جماعة الاخوية كانوا واعين تماماً لأهمية ذلك الحدث الكبير والتداعيات التي ستترتب عليه ، متحفزين أشد ما يكون التحفز لاستغلال تلك اللحظة من عمر التاريخ ..

كانوا يعرفون يقيناً ان قواعد الصراع قد تغيرت عما كان قبلها ، في غياب أي خصم محتمل يحسبون له حساباً ، وان مشروعهم سيكتسب ــ بعد هذا الذي حصل ــ قوة دفع وسرعة غير عادية ..

وجد أفراد الاخوية أنفسهم مقبلين على عهد جديد ، لن يكونوا مضطرين فيه الى الاختباء بعيداً والتخطيط سراً للسيطرة على العالم ... الساحة باتت مكشــوفة امامهم بالكامل ، وجدول أعمالهم السري لم يعد سرياً ، وحركتهم لم تعد مقيدة كالسابق ... لقد صار بامكانهم أن يطلقوا دعوات مشروعهم الى العلن دون مواربة أو خوف .

كانت احتفالات النصر تعكس نشوة هستيرية . وكانت صيحاتهم تتعالى مستبشرة بقرب خروج الشياطين لاستعباد كل من في الارض !

وحيث كان ابليس يمد بصره الى الآفاق من قلب حصنه المنيع في البحار والمحيطات ، كان يرى ضرورة أن يقدم مشروعه العالمي الى عوام الجماهير باسلوب يتلائم مع المرحلة الجديدة .. ليس على شكل شبكات وجماعات تمارس نشاطها بنشر العقائد الشيطانية في العالم على نحو متفرق .. كان رأيه يقتضي أن يتم تقديم المشروع الجديد على نطاق أوسع وأكثر تنظيماً ، مما يتطلب قيام دولة كبرى عالمياً تلتزم دعواته التبشيرية من ناحية ، كما تتكفل جيوشها وترسانتها العسكرية المهولة من ناحية اخرى بالرد على كل الاصوات المعارضة وقمعها في الحال ..

لن تكون هذه مجرد دولة كبيرة تتنافس مع بقية الدول على النفوذ في الارض .. بل هي امبراطورية عظمى ترفع راية ابليس واخويته الشيطانية .. ستكون الدولة الاقوى والاكبر والاعظم دون منازع ، تلتهم كل ما حولها من دول وممالك ، ليعيش ابناؤها في ظل النظام العالمي الجديد ..

هكذا كانت صورة المستقبل كما تخيلها ابليس في ذلك الحين !

وكان طبيعياً أن يجري البحث عن مساحة من الارض تصلح لاقامة المشروع الامبراطوري المقبل ، ولعل الاختيار كان واقعاً مسبقاً على أكثر بقاع العالم جمالاً وأكثرها غنىً بالخيرات والثروات الطبيعية .. أرض ذات موقع جغرافي فريد يشكل ملتقى القارات والمحيطات معاً ..

كانت المواصفات المطلوبة تنطبق على اطلانتس ... الارض المختارة لتكون مركز الامبراطورية الشريرة ومنطلق النشاط العالمي لابليس وأعوانه ..

وهكذا حزمت الاخوية امرها وقصد أفرادها بالجملة ارض الميعاد .

توجه ابليس الى هناك وبصحبته كبار الشياطين الذي سيصبحون مستقبلا (الآلهة) التي يعبدها الناس من دون الله تعالى .. وكان بصحبتهم كذلك جنود الاخوية من الانس .. صفوة منتقاة من عبدة الشيطان ، أشخاص فائقو الذكاء والمواهب ، لكنهم دون شفقة ومتغطرسون الى حد لا يوصف . سلموا ولاءهم ومصيرهم نهائياً الى الشيطان من أجل أن يخضع العالم لسلطانهم ويحكموا جماهيره التي يرونها جاهلة وأدنى مرتبة منهم !

هؤلاء جميعاً حطت رحالهم في اطلانتس .. وكانت بداية العهد الاطلنطي !

○ ○ ○

على ارض اطلانتس ، ولاول مرة في التاريخ البشري ، تكونت ما يمكن تسميته المعرفة أو الثقافة الشيطانية ... طقوس وتعابير وممارسات مشينة تعبر عن خضوعها للشيطان بصورة صريحة لم يعرفها العالم من قبل !

هناك ، لم تعد العبادات الوثنية على شاكلتها السابقة : اناس يعتقدون بقدسية القبور والاصنام لكونها رموزاً تمجد قدماء الصالحين الذين تركوا وراءهم الكرامات لمحبيهم !

القضية لم تعد تحتاج لكل هذا القدر من التورية والتلاعب .. لقد ظهر الكفر الصريح اخيراً وكانت اطلانتس البيئة المناسبة لظهوره بغير خفاء :

كانت الشياطين تتجسد امام الناس بصورة مباشرة ، أو تحدثهم من خلال الاصنام التي تجسدهم بأبهى الاشكال والهيئات ، فيعبدها الناس من دون الله عز وجل ويتضرعون لنيل رضاها ويبذلون اموالهم واولادهم لنيل بركاتها .. إلا ان مقدرة الشياطين على التجسد كانت مقيدة بمواسم ومواقيت معينة وليست مطلقة في كل الاحوال . ومن هنا نشأت الحاجة الى توظيف أشخاص من الاخوية أطلقت عليهم تسمية (الكهنة) ، كوسطاء مهمتهم التعامل مع العوام لحمل امانيهم وحاجاتهم الى الآلهة عسى ان تلبيها لهم !

[يعود أصل كلمة كاهن Cahen الى اللغة السرية التي كان اعضاء شبكات الاخوية السرية يستخدمونها فيما بينهم !] .

وعلى ارض الواقع دأب الشياطين على تقديم انفسهم لعامة الناس تحت اسماء وصفات مستعارة ... الآلهة ، الارواح ، الاشباح ، أسياد الحكمة ، ملائكة السماء ، الهابطون من الجنة ، الجنس الآتي من الفضاء الخارجي ، ...

[وبرغم انقضاء آلاف السنين وتوالي العصور ، فان المسميات نفسها ما تزال سارية المفعول ولم تتغير .. وما يزال عبدة الشيطان في عصرنا الحاضر يعبدون آلهتهم بالاسماء ذاتها !] .

هكذا سارت الامور ، وأثبتت الدعوات الوثنية قدرتها على اغواء الناس واجتذابهم كما هو حالها دائما ... شياطين وكهنة ، ليس عندهم ما يعطوه سوى وعود كاذبة بالغفران وحياة دنيوية حافلة بالسعادة والرفاهية !

مجرد سراب ليس إلا .. لكنه مع ذلك لاقى استجابة عريضة من الناس . ولعل الامر لم يخل من بعض الاستثناءات ، افراد احتجوا على هذه الاوضاع ورفضوا الاعتراف بالوهية الشيطان ، لكن افراداً معدودين في مطلق الاحوال لا يستطيعون الوقوف طويلا بوجه التيار

الجارف .. كانت غالبية الجماهير في حالة اشبه بالغيبوبة وكان السراب المعروض امامهم مغرياً ، وكانت الاماني طاغية على كل صيحات العقل !

ومع الانتشار السريع لعبادة الشيطان في اطلانتس ــ وربما في اماكن أخرى من العالم فضلا عن المركز الذي اختارته الشياطين لنشاطها الرئيسي ــ اخذت اشياء من نوع غير مألوف تنتشر هي الاخرى مقترنة مع اماكن وطقوس العبادة الوثنية .. طراز هندسي غريب من المباني الحجرية ، كانت الاخوية تقيمها تحديداً في مواقع تختارها (الآلهة) بنفسها ، لتكون التعبير الامثل لسلطان الآلهة على اتباعها .. على الاقل ، هذا ما كان الكهنة يخبرون به عامة الناس !

جميع المباني كانت متطابقة تقريباً من ناحية الشكل ، ولو ان احجامها كانت تختلف من مكان لآخر ... قاعدة حجرية مربعة ، ومن اضلاعها تبرز أربعة وجوه مثلثة الشكل ، ترتفع مائلة حتى تلتقي رؤوسها عند القمة بصورة متناسقة ..

عرفت هذه المباني بالاهرامات !

وحتى اليوم لا أحد من علماء الآثار يعرف على وجه التحديد مصدر كلمة هرم ، ولو ان بعض المصادر فسرتها كمصطلح مركب (هار ــ رام) ، ومعناه في اللغات القديمة الجبل العالي ..

وبحسب بعض النصوص في البرديات المكتشفة فان قدماء المصريين كانوا يصفون الهرم بأنه : نافذة مخاطبة السماء وتلقي التعاليم من الآلهة ..

[تذكر اننا نتحدث عن الاطلنطيين وليس عن الفراعنة .. لكن أصول الحضارة لديهم مشتركة ، وان سبقت اطلانتس الحضارة المصرية ببضعة قرون !] .

ما هي حكاية تلك الاهرامات ؟

السؤال ليس مقصوراً على تلك الموجودة في مصر فحسب ، بل يشمل جميع الاهرامات المبنية في اماكن متفرقة من كوكب الارض وفي عصور مختلفة من الزمن .. والاجابة عنه مشكلة عويصة تنطوي على العديد من العقبات ، خاصة وانني ساطرح نظريتي الخاصة حول خواص الهرم والغاية من بنائه ، وما فيها يخالف جذرياً كل النظريات السابقة ويطيح بما جاءت به من أفكار !

قيل عن الاهرامات انها مقابر ملكية !
وانها ساعات شمسية ضخمة !
وانها مخازن بناها القدماء بغرض تخزين المواد الغذائية !

ولو دققنا النظر جيداً في جميع تلك النظريات ، لوجدنا انها لا تعطينا أفكاراً منطقية .. فليس معقولاً ان القدماء أنفقوا جهودهم واموالهم ــ وربما اعمارهم ــ فقط لبناء ساعات عملاقة !

فاذا افترضنا انهم حازوا على التقنيات المتقدمة ، فان امتلاكهم للساعات الدقيقة والمراصد الفلكية المتطورة يغنيهم عن كل ذلك الجهد والوقت !

وحتى اذا افترضنا انهم افتقروا لمبتكرات التقنية ، فنحن نعرف ايضاً انهم امتلكوا اساليب عملية أبسط تحدد الوقت بدقة نسبية ، كالساعات الخشبية او المائية !

لا سبب يدعونا للتفكير بانها كانت ساعات أو مراصد .. كما لا توجد شواهد كافية تدل على انها كانت مدافن ملكية او حتى مخازن لحفظ الاغذية .. إن هناك دوافع أقوى بكثير دفعت القدماء الى انشاء تلك الصروح الغريبة !

لفت انتباهي خلال دراستي لموضوع الاهرامات انها ركن أساسي من المعتقدات المقدسة لدى مجتمعات الاخوية السرية ، ومن هنا بدأت محاولتي لفهم أسرارها ..

[غالباً ما تدور احاديثنا عن الاخوية بوصفهم كشبكات سرية أو مجموعات خفية .. هذا ما نعرفه عنهم في أيامنا . لكنهم لم يكونوا كذلك زمن اطلانتس .. إذ كانوا أيامها القوة الحاكمة على المستوى الدولي .. كما أصبح حالهم لاحقاً في عهود بابل والفراعنة وفارس واليونان والرومان !] .

○ ○ ○

قبل ان أعرض نظريتي حول الاهرامات ــ وهي بالتأكيد نظرية مبتورة وغير كاملة بالمرة .. مجرد محاولة على طريق الفهم والوصول الى الحقيقة! ــ فانه من الضروري أولا ان نقترب من موضوع آخر ، وهو موضوع الطاقة .

يمكن تعريف الطاقة بانها : كمية فيزيائية غير مرئية بذاتها ، إلا انها تظهر على شكل نشاط أو فاعلية معينة ، كالحرارة أو الحركة أو الضوء ...

ثمة انواع متعــددة من الطاقة .. الطاقة الكيمائية ، الطاقة الميكانيكية ، الطاقة الكهربائية ، الطاقة النووية ، الطاقة الشمسية ، ...

والانسان نفسه على مدى الحياة يظل محتاجاً لانواع أربعة من الطاقة :

■ الطاقة الجسدية : ويحافظ المرء عليها من خلال نظام متوازن من التغذية والتمارين الرياضية والراحة لساعات نوم محددة .

■ الطاقة الفكرية : ويتم شحنها بالمداومة على التعليم والقراءة والتمارين العقلية .
■ الطاقة العاطفية : وهذه يتم شحنها بالحفاظ على ديمومة المحبة والمشاعر الصادقة مع الآخرين .
■ الطاقة الروحية : والتي تعتبر الشريان الحيوي الذي يحفظ للشخص مبادئه وقيمه في الحياة . ويمكن تغذيتها باستمرار من خلال العبادات والاذكار والطاعات الخالصة لله سبحانه .

أتحدث هنا عن الطاقة بمفهومها الايجابي ، أي كل ما يحث المرء على الخير .

اليك الجزء المهم في موضوعنا .. ان الشياطين يحتاجون الى نوع مغاير من الطاقة ، وهي الطاقة الكهرومغناطيسية ، ولعل طبيعة تكوينهم النارية هي ما تحتم عليهم باستمرار تلبية احتياجاتهم الحيوية منها ..

تتوزع هذه الطاقة على كوكب الارض ، غير انها تتركز بكميات كبيرة في نقاط ومواقع محددة من سطحه .. واذا كنا نتحدث بشكل نظري عن هذه النقاط فاننا لا نملك فكرة قاطعة عن وجودها ، الا ان الشياطين يملكون خرائط دقيقة وشاملة لاماكن تلك النقاط وكميات الطاقة المتوافرة فيها .. ويبقى بعد ذلك ايجاد الوسيلة المناسبة لضمان انتفاعهم بها .. وهنا يجئ دور الاهرامات كمحولات للطاقة الكهرومغناطيسية ..

وعلى سبيل المثال ، فان الطاقة الشمسية تصل الينا كاشعاعات مبعثرة ، مما يتطلب توفير تقنية الخلايا الشمسية لتجميعها والاستفادة منها .. تقوم الاهرامات بدور مماثل للخلايا ، حيث تتركز فيها وحدات الطاقة الكهرومغناطيسية ، ومنها يحصل الشياطين على حاجتهم ويجددون نشاطهم ..

وقد نأخذ في الاعتبار ان الشياطين يبحثون عن ضالتهم في النوع السلبي من الطاقة ، أي كل ما يشحنهم بالقوة على الاعمال والتأثيرات الشريرة . وهذا يتحقق لهم اذا ما اقترنت المعاصي والافعال المشينة للانسان بوجود الاهرامات كنواقل لاستقطاب الطاقة السلبية !

[الفكرة صعبة وليست سهلة الاستيعاب ، بل لعلها تبدو خيالية لمن يطلع على الموضوع للمرة الاولى .. ومع ذلك فهي تبقى في اطار النظرية المطروحة للنقاش والبحث !] .

وقد نأخذ في الاعتبار ــ مرة اخرى ــ هوس الشياطين بعملية الانتقال من عالمهم الخفي الى عالمنا المرئي ، مخالفين بذلك نواميس الطبيعة التي قدرها الله سبحانه في هذا الكون .. انه الهدف النهائي الذي وضعه ابليس ضمن مشروعه لغزو الارض واستعباد من فيها . واذا عرفنا أن مسألة التجسد مادياً بالنسبة لهم عملية بالغة الصعوبة وتستهلك مقادير

هائلة من الطاقة المركزة ، فاننا نفهم أهمية وجود الاهرامات لعمليات التحول المذكورة ، مبنية على وفق المجالات المحددة للطاقة الاستراتيجية في كوكبنا !

وربما أضفت ان مفهوم الطاقة السلبية بالشكل الذي عرضته ، قد ينطبق بالمثل على نمط ثان من المباني التي كان أصحاب العبادات الوثنية يقيمونها للاغراض ذاتها ، وهو النمط المعروف بالمسلات .. والمسلة هي عمود صخري ذو جوانب أربعة ، ينتهي برأس مستدق على هيئة هرم صغير .

[لا تقل لي ان رأسك قد بدأ يدور ، فما زلنا في أول الطريق !] .

○ ○ ○

بالاضافة الى الاهرامات ، تعرف الاطلنطيون ــ ومن بعدهم شعوب العالم ــ الى ظاهرة ثانية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالديانة الشيطانية ، ألا وهي عبادة الشمس !

وصحيح أن العبادات الوثنية بوجه عام اقترنت بتقديس أصحابها للعديد من موجودات الطبيعة الاخرى ، كالقمر والنجوم والرياح والبحار والاشجار والنيران ، إلا ان الشمس في نظرهم بقيت الرمز الاقوى في تجسيد القوة الالهية .. بالنسبة للشياطين ، الشمس هي المولد الاعظم للطاقة الصافية . ثم انها تظل أصلح الرموز في الطبيعة لتجسيد سيطرتهم على اتباعهم .. وبالنسبة لهؤلاء الاتباع فان وهجها يمثل النور والدفء ونضوج المحاصيل الزراعية ، كما ان كسوفها يعني لهم غضب الآلهة عليهم !

ما لبثت هذه المفاهيم المنحرفة أن سيطرت على عقول الناس ، وانتظمت في حياتهم على شكل قواعد ومناسبات اكتسبت قدسيتها في عرفهم مع مرور الوقت ، وشكلت بذاتها بديلا عن كل المناسبات والطقوس الاصلية للانسان على وجه الارض !

[وكنا قد عرفنا مسبقاً ان هذا الانسان في الاصل كان مسلماً موحداً متبعاً لدين الاسلام وفق مناهجه الصحيحة بعيداً عن كل تحريف أو تبديل !]

وهكذا لم يعد يوم الجمعة هو العيد الاسبوعي للناس ، وبدلاً منه حل يوم الاحد الذي أصبح يعرف بيوم الشمس Sunday . وفيه يفد الزائرون الى المعابد ومن ثم يجددون ولائهم امام الكهنة !

وبدلا من الاعياد المعروفة للمسلمين ، كانت الاحتفالات تجري في اطلانتس ــ قبل ان يتم تعميمها على مستوى العالم فيما بعد ــ في مناسبات لها صلة بحركة الشمس . فتحدد لدى عبدة الشيطان يوم الخامس والعشرين من ديسمبر/كانون الاول كأعظم الايام التي يتم

فيها تقديم الولاء للشياطين . فهو التاريخ الذي يصادف الانقلاب الشتوي للشمس ، وهو بالنسبة لهم عيد الميلاد ، أي ولادة الشمس ... وفي هذا التاريخ أيضاً وثقت الاخوية مولد العديد من كبار آلهتهم الشيطانية ..

[انه عيد الميلاد الذي يتوهم معظمنا انه يوافق تاريخ ولادة عيسى (عليه السلام) !!] .

ومن واقع ما تسنى لي قراءته من الادبيات الفرعونية والماسونية ، وغيرها مما يتصل بالموضوع ذاته حول الاهرامات وعبادة الشيطان ، خرجت أخيراً بالنظرية التالية :

في ذلك اليوم كان الناس يقصدون الاهرامات .. يتجمعون حول الجهات الاربع لكل هرم منها ، بانتظار لحظة بعينها يظهر فيها احد آلهتهم عند قمة الهرم ، في مشهد نوراني هائل ومخيف ، أشبه بنور الشمس الساطع ، فيسجدون للشيطان المتجسد امامهم !

المشهد نفسه كان يتكرر في مناسبة سنوية اخرى لا تقل اهمية لديهم .. في يوم الحادي والعشرين من آذار/مارس ، وهو موعد الاعتدال الربيعي للشمس . وقد كان يرمز عندهم الى بعث الحياة ، إذ كان الكهنة يخبرون العوام دائماً بان ذلك اليوم يصادف اول الزمان أو بدء الخليقة ، وأن كبير الآلهة ــ أي ابليس ــ هو خالقهم !

[وهو اليوم أكثر الاعياد شعبية في العالم ... عيد الربيع أو شم النسيم !] .

○ ○ ○

كانت الترتيبات جارية على قدم وساق ، لتتحول اطلانتس من مجرد أرض بحجم قارة تحتضن علناً أول الجماعات الشيطانية ، الى امبراطورية كبرى ، تخرج الى العالم للتبشير بالنظام العالمي الجديد !

جماعات تتحد مع جماعات اخرى من نفس المعتقدات الوثنية .. وولايات تندمج مع ولايات مجاورة لها .. وشبكات تتصل بشبكات اخرى ... كل ذلك كان يتم تحت اشراف وتنسيق قيادات الاخوية في اطلانتس ..

كانت النظم الادارية للدولة معدة سلفاً ، بما فيها شرائع الحكم والعقائد الدينية والانظمة المالية والاجتماعية والتعليمية ، وحتى النموذج الحضاري الذي سيتم تقديمه للعالم كدعاية ضخمة تليق بمشروع الامبراطورية الموعودة ..

وعليه كانت عبادة الشيطان تتخذ امام العالم طابعها الرسمي المقبول .. مجموعة من الاراضي والممالك ، وفيها تظاهر افراد الاخوية بانهم الآباء المؤسسون الذين قرروا توحيدها واعلنوا ميثاق دولة تنادي بالحرية والعدل والمساواة بين الناس ...

دولة اطلانتس .. أو الولايات المتحدة الاطلنطية ، على غرار القصة الرسمية التي قدمتها لنا الاخوية بعد آلاف السنين حين أسست الولايات المتحدة الامريكية !

ومع اعلان ميلادها ، كانت كل الاجواء العالمية في تلك الحقبة مهيئة لاستقبالها .

كان العهد قد بعد بزمن آدم (عليه السلام) ورسالته الانسانية العظيمة . وكانت البشرية في انحاء العالم تعاني فراغاً روحياً وفكرياً واخلاقياً ، وهكذا فان الشعوب على اختلاف انتماءاتها كانت متعطشة لمن يلهم رغباتها واحلامها ولو بالخيال .. ودون شك فان ابليس كان واعياً تمام الوعي لاحوال الناس وما وصلت اليه أفكارهم وطبائعهم ، جاهزاً بكل ما لديه من ادوات التأثير المطلوبة ليقودهم على وفق مقاصده وأهدافه الشريرة .. ولقد كانت التقنية هي مفتاحه الى ذلك كله ..

في تلك الايام كانت التقنية تعيش عصرها الذهبي في الارض ، إذ قطعت الاختراعات والاكتشافات اشواطاً متقدمة في كافة المجالات ، وخاصة في ميادين الطب والمعمار والاتصالات والنقل .. ويمكن القول ان التقنية وصلت آنذاك الى مستويات تضاهي ما وصلت اليه البشرية اليوم !

[واجازف بالقول انها بلغت وقتها حدوداً تفوق حتى ما نشهده في عصرنا الحالي !] .

وكان على الاخوية أن تضمن من البداية تفوق دولتها الناشئة علمياً وتقنياً ، وان تصبح بحق في نظر العالم (الاقوى والاكبر والاعظم دون منازع) كما كان مخططاً لها .. وفي سبيل ذلك كان لابد من استقدام فريق من العلماء قادر على تحويل التصورات الى حقائق مهما كان جموحها !

ولذلك كانت اطلانتس ــ كما هو الحال في كل الامبراطوريات التي أسستها الاخوية في الحقب المتعاقبة ــ مركزاً أوحداً يضم نخبة من أرقى العقول في العالم واكثرها تفانياً في سبيل الاكتشافات العلمية ..

لم يكن مطلوباً فقط ان تكون اطلانتس الاولى في العالم علمياً وتقنياً ، بل ان تكون الوحيدة على الساحة .. ولقد كانت الاخوية حريصة كل الحرص على ان تكون مقدمة ظهور الامبراطورية وخروجها الى العالم مقترنة بعنصر (الابهار) !

عبر وسائل الاعلام الحديثة ، كان العالم يرى كل يوم ما يعجز عن مقاومته من الانبهار بالاكتشافات العلمية التي كانت تتوالى على يد العلماء الاطلنطيين .. ابتكارات مدهشة كانت تنفذ الى عقول الناس وتتوغل الى اعماقهم بفكرة واحدة : انها صورة المستقبل الزاهر امامكم لو وافقتم الانضمام الى النظام الجديد ... كان هذا يحدث في ظروف مالت فيها غالبية الناس الى الخمول والاتكال على مبتكرات التقنية وما كانت توفره لهم من راحة وترف يزيد الطلب عليهما يوماً بعد يوم !

كانت العملية ببساطة ترويجاً صاخباً لثقافة الاستهلاك الى حد الشراهة .

وهكذا فان عنصر الابهار كان يمارس تأثيراته بقوة على كل الشعوب التي اثارتها البضاعة المعروضة أمامها ، دون وعي منها ان ذلك كله مجرد واجهة تخفي وراءها نوايا وأشياء أخطر .. وبالفعل فان قيادات الاخوية مارست كل فنون الاعلان باقصى ما تستطيع في سبيل ان تقدم الى شعوب العالم نموذج الحياة على الطريقة الاطلنطية ... السيارات الفارهة والطائرات الحديثة والوجبات السريعة وقناني المشروبات المنعشة والسينما وقصص الحب والمسابقات والجوائز الباذخة ...

وفي المحصلة ، فان جميع المشاهد والصور المعروضة كانت تفعل فعلها في الناس كافة ، وكأنها تخلق الاوهام خلقاً امامهم !

غير ان (الابهار) لم يكن الاسلوب الوحيد الذي اعتمدته الاخوية لتسويق مشروعها وضمان انتشاره في العالم . فمع الذين كانوا يرفضون النموذج الاطلنطي ويقاومون اغواءه فان اسلوب (القوة الكاسحة) كان كفيلا بان يجعلهم امثولة وعبرة امام غيرهم ، الى أن يستقر في اذهان الجميع ان كل الجهود لوقف الانتشار الامبراطوري الجديد ستكون محض محاولات يائسة لا جدوى منها ..

ومثلما تداخلت التقنية مع عنصر الابهار ، فانها كانت متداخلة مع عنصر القوة ، فلم تكن الحروب التي خاضتها اطلانتس في مواجهة أعدائها أو منافسيها الا استعراضاً للقوة المفرطة امام العالم .. في تلك الحروب ــ على فرض اندلاعها ــ كان الاجهاز على العدو يتم سريعاً وكان يجري سحق قوته العسكرية بأحدث التقنيات والاسلحة التي استخدمتها جحافل الجيوش الاطلنطية ..

ولعل اكثر مشاهد تلك الحروب بشاعة ، ما حصل حين قررت الاخوية ان تقدم للعالم أقوى اسلحتها واكثرها فتكاً وترويعاً : القنبلة الذرية ... وسواء كانت الامبراطورية الاطلنطية قد اقدمت فعلاً على استخدامها في ميدان الحرب او تمادت اكثر الى تجريبها على احياء ومدن سكنية ــ كما حصل حين أقدمت الامبراطورية الامريكية على القاء قنبلتها الاولى على مدينتي هيروشيما وناغازاكي ... فان الرسالة الواصلة الى شعوب العالم كانت واضحة ومقنعة بأكثر من اللازم :

الاعصار الاطلنطي قادم لغزو العالم بأسره ، وهو قادر على ذلك بكل الوسائل ، من الابهار الى الاغواء ، وحتى بالقوة الكاسحة اذا لزم الامر.. وهذا الاعصار ليس غزواً تقنياً أو عسكرياً فحسب .. انه اسلوب حياة عصرية ، وعقيدة يجري فرضها على الجميع دون مناقشة أو تساؤل !

ومن هنا فان الموجة الاطلنطية اندفعت الى ما حولها وجرفت في طريقها كل قيم وبقايا الماضي السابق لها .. كانت موجة عاتية ، راحت تسحق وتقتل في طريقها كل بوادر الرفض أو الاحتجاج ضدها ، حتى انه لم يعد في العالم رافضون لقدومها أو انتشارها في بلدانهم لانه لم يتبق منهم أحد . وهكذا فان من تبقى كانوا زمر المؤيدين لها ، الذين فتنهم نمط الحياة الاطلنطية وآثروا ان يبيعوا الماضي طمعاً بمستقبل حافل بالاحلام !

لم تعد اطلانتس مجرد دولة او قارة . لقد اتسعت رقعتها لتشمل العالم بأسره . فعلى امتداد الجهات الاربع حول مركز الامبراطورية ، كان الناس على اختلاف اجناسهم واوطانهم يهتفون باسماء الآلهة المزعومة !

وتبين مع الوقت ان الوعود بالفردوس الارضي التي اطلقها دعاة اطلانتس لم تكن حقيقية ، ليست سوى دعوات وشعارات أدت دورها كمغناطيس اجتذب الجماهير لفترة معينة ثم افسحت المجال بعدها لمجئ الكابوس الحقيقي !

لقد عمّ الكفر ، وتفشى الظلم والفساد .
مكارم الاخلاق اصبحت شبه معدومة ، والحياة في ظل النظام الجديد لم تكن الا جرياً لاهثاً وراء المادة ، فالمواطن غارق في هموم المعيشة اليومية ، مشغولا بتسديد اقساط كل قطعة من منزله ، مضافاً اليها الفوائد المستحقة لصالح البنوك الاطلنطية ، وليس له الا المأكل والمشرب ، مع بعض الترفيه الذي يبقيه ساكتاً وخاضعاً للهيمنة حتى اشعار آخر !

تلك كانت صورة المأساة التي تفاقمت في كل العالم .
تفككت عرى الاسر والمجتمعات ، وانحطت القيم والمبادئ التي كانت تقود أفكار الناس وتحكم توجهاتهم ونظرتهم في الحياة !

كانت الارض تستغيث ، وتتحرق الى بطل منقذ ... وهكذا ، في ذروة تلك الاجواء العصيبة ، بعث الله عز وجل أول الرسل الى الارض ... نوح (عليه السلام) .

الفصل الثالث

الطــــوفـان

نحن الآن على بعد عشرة قرون منذ انقضاء عهد آدم (عليه السلام) ..

عن أبي امامة الباهلي أن رجلا قال : ((يا رسول الله أنبيا كان آدم ؟ قال : نعم ، مكلم . قال : كم كان بينه وبين نوح ؟ قال : عشرة قرون)) . [صحيح ، الالباني في السلسلة الصحيحة : ٣٥٩/٦] .

وثمة خلاف في تحديد مقدار القرن ، هل يساوي مائة عام كما قد يتبادر للوهلة الاولى وفقاً للقياس الشائع ، وبالتالي تبلغ الفترة المقصودة ألف سنة .. ام انه يشير الى الجيل من الناس ، وفي هذه الحالة يصعب حساب عدد السنوات في تلك الحقبة ، والمعروف أن معدل أعمار الاجيال فيها كان كبيراً ، فقد يعمّر احدهم ألف عام . وعلى هذا قد تكون الفترة المقصودة عشرة آلاف سنة ، والله أعلم .

وأياً كان الفارق الزمني ، فان ملامح النظام العالمي مع بعث نوح (عليه السلام) رسولاً مصلحاً لاهل الارض ـــ كانت شيئاً مختلفاً ، ليست له علاقة البتة بما كان عليه قبلاً في عهد آدم (عليه السلام) .. ولعل نوح (عليه السلام) نفسه كان مدركاً لصعوبة المهمة الملقاة على عاتقه ، عارفاً لكل المعطيات والاجواء التي تحيط به مقدماً ..

كنا قد ألقينا نظرة على جزء من الصورة بعد اكتمال سيطرة الاخوية على العالم ، وتستدعي الحاجة ان نستكمل النظر في ما تبقى منها ، في مرحلة من أخطر مراحل التاريخ الانساني على الاطلاق ، ولعلها المرحلة الوحيدة ـــ حتى اليوم ـــ التي استطاعت فيها الاخوية ان تتوصل الى تحقيق النموذج النهائي للمخطط الشيطاني في الارض كما كانت تحلم به منذ البداية ..

كان النظام العالمي الجديد قد أصبح أخيراً واقعاً ملموساً في كل أرجاء الارض .. كل دول العالم وأقاليمه وقاراته باتت رقعة موحدة بلا حدود فاصلة ، وشعوبه خاضعة بالجملة لسلطات (حكومة عالمية واحدة) تدير شؤون العالم من مركزها في اطلانتس .

ومن هنا يمكن لنا ان نتحسس اجابة لسؤال كان شاغل الكثيرين في الآونة الاخيرة حول عالمية رسالة نوح (عليه السلام) : هل كان مبعوثاً لدعوة اهل الارض جميعاً ، ام ان دعوته

اقتصرت على قومه حصراً ، كما تعطي الانطباع بذلك آيات القرآن الكريم في عدة مواضع ؟!

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ ﴾ الاعراف ٥٩
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ ﴾ المؤمنون ٢٣
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ ﴾ نوح ١

[وبناء على هذا التساؤل ترددت الشكوك كذلك بشأن عالمية الطوفان المعروف ، بزعم أنه اغرق الكافرين من قومه فحسب ولم يبتلع كل الارض كما كان يتصور قدماء المفسرين !] .

وعندما نراجع ما عرضناه حول أخوية اطلانتس نجد أن الامرين قد تحققا معاً بشكل استثنائي .. رسول مبعوث الى قوم من الجبابرة الكافرين الذين تمكنوا من بسط سيطرتهم على كل الارض .. ولما كانت تلك السيطرة شاملة على كل الشعوب ، فان مساحة التحكم فيهم كانت شاملة كذلك لكل مجالات الحياة .. الدين والتاريخ والمفاهيم والعادات ... التعليم والاعمال والترفيه والاقتصاد والسياسة والاعلام والتكنولوجيا !

في كل المجالات وعبر جميع الوسائل المتاحة ، كانت الاخوية الشيطانية حريصة على ان تمرر عقائدها الكافرة الى عقول الناس وتغزو بها أفكارهم ومشاعرهم .. تشطب من الذاكرة كل مفردات الاسلام والتوحيد والايمان ومكارم الاخلاق ..

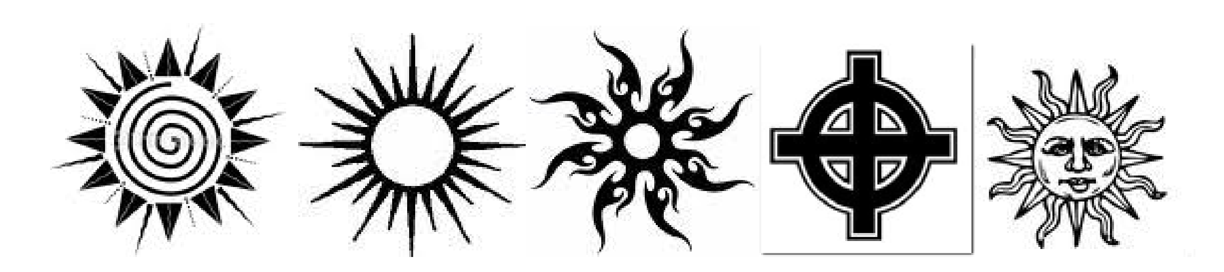
كل روابط النظام العالمي القديم كانت تقطع وتمحى من الوجود . وكان الجزء الاهم مما تم محوه من ذاكرة الناس ووعيهم هو معرفة الله سبحانه وحقيقة ربوبيته ..

في ذلك العصر لم تعد الناس تعرف إلهاً يدعى (الله) في قاموسهم . فقد كان الكفر طاغياً في كل أرجاء الارض ، والعبادة بكل أشكالها وطقوسها كانت مخصوصة لمجموعة محددة من الآلهة المزيفة : شياطين قدموا أنفسهم الى كافة البشر على أنهم (الهابطون من الجنة) او (القادمون من المريخ) ، وبصحبتهم كل العلوم والتقنيات .. المعرفة المتطورة وأسباب السعادة في الحياة !

آلهة الباطل في ذلك الزمان كانت عبارة عن قائمة طويلة من الشخصيات الخارقة التي يحسب الناس كلاً منها متحكماً في شأن ما من شؤون الحياة .. ثمة آلهة للخلق واخرى للمحاصيل الزراعية واخرى للموت واخرى للحب .. آلهة للبحر واخرى للسماء واخرى للحرب واخرى للسلام !

وضع ابليس نفسه على رأس لائحة المعبودين .. لم يعرف الناس له اسماً محدداً يدعونه به .. كان بمثابة الآلهة الكبرى التي تتفوق على جميع الآلهة الاخرى ، فهو (أبو الآلهة) أو (الآلهة الخفية) .. ومع ذلك فان الاخوية قدمته للناس على انه خالقهم وصاحب التأثير الاكبر في حياتهم ، والعبادة السليمة له من منظورهم تتحقق من خلال عبادة وتقديس الشمس . ولهذا السبب ارتبطت صورة الشمس واشعاعاتها المنيرة كرمز معبر عن قوة ذلك الآله المزعوم وعظمته .

واليك نماذج من تصاوير لرمز الشمس المقدس لدى شعوب اطلانتس ، حيث كانت تزين جدران المعابد والقصور وتتصدر شاشات الاعلان في ذلك الوقت :



[هل لفت انتباهك يوماً ان قرص الشمس يحتل غالباً خلفية معظم الصور الافتراضية التي تجسد المسيح على جدران الكنائس ؟! .. أظنك الآن قد عرفت مصدر هذه الرمزية !] .

أما عن الطريقة التي قدمت بها الاخوية كبير آلهتهم امام عامة الناس ، فانها وزعت تماثيله وأصنامه في كل مكان في العالم ، وصوّرته على هيئة ملك أو شيخ قوي ، يفيض حكمة وهيبة ، ويحمل في يده رمحاً يمثل اقتداره وسلطته في الارض :



لاحظ تطابق الرمح أو الشوكة ثلاثية الرؤوس المحمولة في يده مع تلك التي تظهر عادة في الصور التي تجسد ابليس .

○ ○ ○

ثم تتواصل اللائحة ، ويجئ بعد ابليس خمسة من الشياطين الذين احتلوا سوية الترتيب الثاني من حيث قدسية الآلهة واهميتها بالنسبة لشعوب اطلانتس وبقية العالم .. هؤلاء كانوا معروفين في ذلك الزمان بالاسماء التالية : **ود** ، **سواع** ، **يغوث** ، **يعوق** ، **نسر** .

وفيما يلي وصف موجز لكل واحد منهم :

■ **ود** : ويشير اسمه الى معنى المودة والمحبة . وهو إله الحب والخصوبة الذكرية لدى عبدة الشيطان في اطلانتس .. صوّرته التماثيل على هيئة رجل او فارس عظيم مزهواً بالشباب والقوة ، متقلداً سيفه ومتنكباً قوسه وجعبة سهامه ، ومرتدياً لباس الحرب كما يليق بالملوك أو الامراء ، فهو إله الحب والحرب معاً بالنسبة للاطلنطيين . ومثلما كان ابليس يتخذ الشمس شعاراً لالوهيته ، فان ود اتخذ الهلال المقلوب رمزاً له على الهيئة التي يبدو عليها اواخر الشهر القمري قبل مرحلة المحاق :

■ **سواع** : وهي شيطانة انثى ، ولقد كانت تعتبر لدى اتباعها الاطلنطيين النظير الانثوي للاله ود ، فهي آلهة الحب والجنس .. وطبقاً لما جاء في معجم لسان العرب فان كلمة سواع تعني المذي ، وهو السائل اللزج الذي ينزل من الرجل قبل المني ، فكأن اسمها يرمز لاستثارة القوة الجنسية لدى الرجل .. وقد كان لها تماثيل تصورها على هيئة امرأة جميلة وشامخة ، وعلى جدران الهياكل المخصصة لعبادتها كانت النجمة خماسية الرؤوس رمزاً مرتبطاً بالتعبير عن الوهيتها :



وغالباً ما كان رمزا (ود وسواع) يظهران معاً كتعبير عن زواجهما او ارتباطهما الابدي :



[للتذكير فقط ... لابد انك قد شاهدت في السابق هذا الرمز المزدوج مرسوماً على اعلام بعض الدول أو المنظمات !] .

■ **يغوث** : ولفظ اسمه يدل على الاغـــاثة وتلبية المحـــتاجين ومساعدتهم . وهو عند الاطلنطيين إله الخير والحماية والمدد ، وكان تمثاله على صورة الاسد .

■ **يعوق** : واسمه يدل على الاعاقة. ، ولفظه مشتق من الفعل أعاق ، أي ثبط ، فهو الاله المعيق أو إله الشر المقابل للاله يغوث . وكان عبدة الشيطان الاطلنطيون يعتقدون أنه الروح الشريرة التي يتعين تقديم الولاء لها على الدوام لكي يتقون شرورها وثورتها عليهم إذا ما كانت غاضبة منهم . وقد كانوا ينحتون تماثيل يعوق على هيئة الفرس .

■ **نسر** : وهو شيطان اتخذ صورة طائر النسر كرمز خاص به ، اعتبره الاطلنطيون إله القوة والسيادة . وكانت تماثيله وصوره على هيئة نسر بجناحين هائلين ، اتخذته معظم المؤسسات السياسية والعسكرية والحكومية في ولايات أطلانتس شعاراً لها ، كرمز لتأكيد قوتها وعلوها في الارض ..

[وفي الحقيقة فان النسر لا تنطبق عليه صفات من قبيل الشجاعة أو السمو او الكرامة ، فهو يتسم بالجبن ولا يهاجم فريسته حتى تخرج روحها ، ولهذا السبب فانه لا يتعامل إلا مع الجيف . بينما تنال انواع اخرى من الجوارح (كالصقر والعقاب) احتراماً وتقديراً أكثر من النسر ، كونها لا تأكل إلا من صيد مخالبها . ولعل الشياطين قد وجدت في صفات النسور ما يلائم طبيعتها أكثر !] .

ويبدو من الاسماء المذكورة ومعانيها أن اللغة العربية ولهجاتها قد حافظت على كيانها واستمراريتها في ذلك العهد ، فكانت بذلك الناجي الوحيد من بقايا النظام العالمي القديم برغم كل التغييرات والاجراءات التي احدثتها الاخوية الاطلنطية في العالم وقتذاك .

○ ○ ○

إن ما عرضته حول حقيقة الآلهة الخمسة لقوم نوح (عليه السلام) يتعارض بشدة مع ما جاءت به كتب تفسير القرآن الكريم من قبل .. اعلم ذلك ، وبالقطع فان تعارض الاجتهادات لا يعني أنني أقلل من شأن ما تفضل المفسرون السابقون بتقديمه حول شرح وتحليل هذه الجزئية ..

احاول ان أبدي رأياً فحسب ... نظرية موضوعة على مائدة النقاش الجاد .. مقارنة بين ما اخبرت به التفاسير السابقة وبين ما يجري طرحه في هذا الكتاب .

وتكاد الاخبار الواردة في كتب التفسير تجمع على ان وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً كانوا رجالاً صالحين . البعض رجح انهم عاشوا في زمن نوح (عليه السلام) او قبله بقليل ، وهناك من ذكر انهم كانوا ابناء آدم (عليه السلام) ... احبهم الناس وبالغوا في تقديرهم ، الى الحد الذي دفعهم بعد وفاة الخمسة جميعاً الى صناعة التماثيل التي تمجدهم

وتحيي ذكراهم .. ومع مرور السنين وتوالي الاجيال نسي الاولاد والاحفاد أصل هذه التماثيل ، وكان ابليس جاهزاً لانتهاز هذه الفرصة ، ذلك انه أخبر الاجيال الجديدة انها آلهة اجدادهم ، فصدقوه وعبدوها !

سبق أن تناولنا هذه القصة في الفصل الاول ، ولا يسعني القول انها ملفقة ، فالمشكلة ليست في ما ورد في مضمونها ، إذ ان منطقها لا يبتعد عما نعهده غالباً في طبائع البشر وميولهم الى الشرك منذ الازل .. المشكلة تنحصر في طبيعة الأسماء الخمسة المذكورة وما تخبئ وراءها من أسرار !

الآن أصبحت تعرف معاني هذه الاسماء ودلالاتها لغوياً .. إن معانيها لا توحي بانها أسماء لبشر أو اشخاص قيل انهم عاشوا بين قومهم أعزاء مكرمين ، فهل يعقل ان يطلق انسان على ولده ــ سواء كان صالحاً أم لا ــ اسماً من هذه الاسماء ؟! .. ليس معقولا ان نفكر بامكانية أن يسمي احدهم ولده سواع ، أو ان يطلق عليه لقب نسر ، فالعرب عموماً يحتقرون النسر ويتباهون بالصقر .. ثم ان الفطرة السليمة لا ترتاح الى أسماء من طراز يغوث أو يعوق !

قد تكون القصة صحيحة ، لكن الاسماء الخمسة على الارجح قد الصقت بها الصاقاً في فترات او عهود لاحقة .

اسمح لي ان اتناول معك الموضوع من زاوية ثانية :
كلنا يعرف أن الاصل في الاسلام انه جاء ليبطل كل مفاهيم الباطل ويزيل كل أثر لآلهة الشرك والكفر .. والحقيقة اننا ما كنا لنسمع بأسماء تلك الالهة في زماننا الحاضر لولا ان اخلد الله ذكرها وأثبتها بأسمائها في قرآن يتلى الى يوم الدين ..

لماذا ــ برأيك ــ أخلد الله عز وجل أسماء هذه الآلهة المزعومة في كتابه العزيز وهي ابغض الاسماء عند سبحانه ؟! .. لا شك ان هناك أسباباً أكثر عمقاً مما كنا نعتقد بشأن ذكرها في القرآن الكريم !

[بالاضافة الى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، ذكر الله في كتابه اسماء اخرى لآلهة الشرك المزعومة ، وهي : بعل ، اللاة ، العزى ، مناة] .

﴿ وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَداًّ وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً • ﴾ نوح ٢٣
﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالقينَ • ﴾ الصافات ١٢٥
﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى • وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى • ﴾ النجم ١٩، ٢٠

لماذا أرادنا الله عز وجل ان نتعرف الى تلك الاسماء تحديداً دون غيرها ، مع أن الانبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام) قارعوا أسماءً كثيرة غيرها من الاصنام وآلهة الشرك في ازمانهم ؟!

لان عبادة هذه الآلهة وأصنامها لم تنته بمجرد هلاك اقوامها في الازمان الغابرة كما كنا نعتقد دائماً .. تلك هي الرسالة التي نفهمها مما أراد الله لنا أن نتذكره من كلامه سبحانه في القرآن الكريم ، وما فيه من خلاصة قصص السابقين في الماضي يجيب على التساؤلات الكبرى في الحاضر !

إن عبادة آلهة اطلانتس ـ ابليس ومعه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ـ لم تنقطع بوقوع الطوفان وهلاك الاطلنطيين قبل آلاف السنين ، فشياطينهم ظلت باقية بعد ذلك وانتحلت لنفسها أسماء اخرى لتغوي بعد ذلك أمماً وأقواماً آخرين ..

وعلى سبيل المثال فان ابليس ـ سيد الآلهة المزعومة ـ توصل في وقت من الاوقات بعد قرون من حدوث الطوفان الى استدراج الفينقيين لعبادته تحت اسم : بعل Ba'al ، بصفته إله الشمس .. ثم ان عبادته أصبحت معروفة كذلك في الحضارة اليونانية حين توّجه الاغريق ملكاً على جميع آلهتهم الاسطورية باسم : زيوس Zeus .. ثم حدث ان تجـــددت عبادته في الامبراطورية الرومانية تحت اسم : جوبيتر Jupiter .

انها ذات الديانات الوثنية ، تستنسخ نفسها عملياً عبر كل العصور ، بحسب الثقافة السائدة في كل عصر .. تجدد عناصرها وطقوسها دائما على أيدي الشياطين انفسهم ، ويتم ذلك بمساعدة اجيال متعاقبة من عبدة الشيطان وأعضاء مجتمعات الاخوية السرية .

وهكذا .. أينما كانت الارض ممهدة لاعادة بعث الديانة الوثنية وعبادة ابليس فان عبادة أعوانه من الشياطين كانت تعاود الظهور تحت أسماء مختلفة ...

الشيطان ود ... تغير اسمه في الحضارة الفينقية الى أدونيس Adonis ، ثم حمل الاسم ذاته في عهد الامبراطورية اليونانية .. الى أن تحول من جديد الى اسم آخر مع قيام الامبراطورية الرومانية ، فلقب نفسه بالاله مارس Mars .

الشيطانة سواع ... بدلت أسمها زمن الحضارة الفينقية فصارت تعرف بالالهة عشتاروت Ashtart .. وبالنسبة للاغريق كانت تعرف باسم افروديت Aphrodite ، ثم استعارت لنفسها اسم فينوس Venus في عهد الرومان .

[لم أتوصل بعد الى استنتاجات نهائية بشأن الاسماء المستعارة التي اختبأت وراءها بقية الآلهة المزعومة في الحقب والامبراطوريات اللاحقة لاطلانتس ، لكن أبحاثي تسير قدماً في هذا الصدد !] .

○ ○ ○

إن عبادة نفس الآلهة لم تزل ناشطة حتى اليوم !

هل تعلم أن مشاهداتنا تكررت لتماثيل وصور تجسد شياطين اطلانتس القديمة دون ان تكون لدينا أدنى فكرة عن هويتها الحقيقية ؟!

هل تصدق ذلك ؟ .. كانت تحت انظارنا دائما دون ان نفطن الى المغزى الحقيقي الكامن وراءها . فقد كان تقديم صور ورموز الآلهة الوثنية على شكل تحف وفنون ذات جماهيرية واسعة ، مع اخفاء هويتها الاصلية ، جزءً من اساليب العمل المتبعة من قبل شبكات الاخوية بما يتلائم وطبيعة نشاطها السري في عصرنا الحالي . والامثلة على هذا الامر يصعب احصاءها ..

والاعمال التالية هي أبرز ما يمكن ان استشهد به :

■ انك تنظر الآن الى هذا التمثال العملاق ، البالغ طوله ٣٨ متراً تقريباً ، والمنتصب فوق قمة احد الجبال المطلة على مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية ، على سواحل المحيط الاطلسي ... يرجع تاريخ بناءه الى اواخر العام ١٩٣١ . وهو على شكل رجل هائل يبسط ذراعيه جانباً على شكل صليب وكأنه يقوم بدور الحارس ، ويقف شامخاً على قاعدة حجرية ترمز الى العالم الجديد . وعند اسفل التمثال بنيت كنيسة صغيرة مخصصة للتعميد والاحتفالات الدينية ..







استقر في اذهان عامة الناس ــ والنصارى بالاخص ــ ان هذا هو تمثال المسيح الفادي أو يسوع المخلص Christ the Redeemer .. حسناً ، انه ليس كما كنا نعتقد ، ففي الحقيقة انه أحد النماذج التي تمثل صورة الاله ود ، أحد أقدم الآلهة المبجلة لدى عبدة الشيطان !

■ انتقل الى النموذج الثاني ، وهو على الارجح أوسع شهرة من الاول .. ولطالما نظر اليه العالم على انه التجسيد السياحي الابلغ للقيم والمبادئ التي يبشر بها الحلم الامبراطوري الامريكي .. انه تمثال الحرية القائم فوق جزيرة صغيرة عند خليج نيويورك في الولايات المتحدة الامريكية ، ويذكر ان اسمه الكامل Liberty Enlightening the World او الحرية تنير العالم . وهو على شكل امرأة تحمل مشعلاً . أشرف مهندسوا المحفل الماسوني في فرنسا على تصميمه وكان مقرراً في البداية ان يتم انشاء التمثال على ضفاف قناة السويس المصرية ، ثم تغير الموقع المقترح ليكون في الولايات المتحدة على شواطئ المحيط الاطلسي . وكان الافتتاح في العام ١٨٨٦ . يبلغ ارتفاعه الكلي من الأعلى الى أسفل القاعدة ٩٣ متراً ..



بخلاف الرواية الرسمية فان هذا التمثال هو النسخة الاحدث من الآلهة المعروفة لدى عبدة الشيطان بـــ (الانثى المقدسة) على اختلاف مسمياتها عبر العصور : سواع ، عشتاروت ، افروديت ، فينوس ، ... !

■ استغرقت بعض الوقت قبل أن أكتشف اخيراً النموذج الاحدث من صورة الشيطان يغوث .. انه شعار احدى أكبر امبراطوريات الشر قبل عقود ، صورة الاسد الذي يظهر عظمة الملكية البريطانية British Lion Symbol ...





[وهكذا ترى بنفسك ان القوى الامبراطورية في العصر الحديث قد نذرت نفسها لعبادة نفس الآلهة المذكورة في القرآن ، فرموزها وشعاراتها ليست الا اعادة طبع لما عبده القدماء في اطلانتس !] .

■ إن رموز وشيفرات الاخوية تبدو غامضة بلا تفسير اذا لم نقم بالاطلاع على الفلسفات او العقائد التي تقف وراءها ، باعتبار انها ذات الفلسفات والعقائد الكافرة التي جرى تناقلها من جيل الى آخر .. وبتطبيق هذا على ما يقدسه عبدة الشيطان من ثنائية الارواح الطيبة والشريرة ، فان اقتران الاله يعوق بيغوث يقودنا الى الاستنتاج منطقياً بانه الصورة الرديفة لشعار الاسد على درع الملكية البريطانية : الفرس وحيد القرن ..





■ النموذج الاخير للشيطان نسر لا يحتاج الى شرح كثير .. انه ذلك النسر المرسوم على احد وجهي ختم الولايات المتحدة الامريكية ــ الطراز الاحدث من دولة اطلانتس .. والذي يمكن رؤيته على الورقة النقدية من فئة الدولار الواحد .



○ ○ ○

كان الظلام جاثماً على كل انحاء الكرة الارضية .
وفي الوقت الذي اعتقدت فيه الاخوية الشيطانية Satan Craft بان نجاحها صار تاماً الى حد الكمال ، وان انتصارها على قوى الخير أصبح أبدياً بعد ان ولى عهد الانبياء والمصلحين الى غير رجعة ، فان شيئاً ما حدث خارج كل التوقعات والحسابات ..

اشعاع باهت من النور ومض فجأة وسط الظلمة الحالكة ، رجل واحد خرج من اعماق المجهول ، وراح يدعو الى شعارات أصيلة تعود الى زمن قديم ..

تحركت اخوية اطلانتس بسرعة لاجراء التحريات اللازمة وتقصي المعلومات عن هذه القصة ، وتبين على الفور انه شخص يدعى نوح ، كان شريف النسب وصاحب حضور بين الناس ، لكنه كان بمفرده دون اتباع يحيطون به أو قوة تدعمه ، وينادي بعبارة لم يتوقع أحد منهم انه سوف يسمع اصداءها من جديد في العالم ، خاصة بعد مرور كل هذه السنوات : **لا إله إلا الله .**

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ •** ﴾ الانبياء ٢٥

انطلقت دعوة نوح (عليه السلام) ، وبدأ يدعو الناس الى عبادة الله الواحد الاحد ونبذ الاصنام وعبادة الآلهة المزيفة .. كان يخاطب عقولهم محاولاً استرجاع الفطرة السليمة في داخلهم ... حدثهم عن وجوب عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، والايمان باليوم الآخر الذي سيكون يوماً عصيباً أليماً على من يأبى الايمان ويكابر ...

﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ •** ﴾ الاعراف ٥٩

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ •** ﴾ المؤمنون ٢٣

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ • أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ •** ﴾ هود ٢٥، ٢٦

كانت صدمة كبرى للاخوية الاطلنطية ، فمن أين جاء هذا الرجل بكل هذه المفاهيم وكيف تمكن من استعادتها ؟ ... كانوا على ثقة تامة بانهم أتلفوا نهائياً كل الوثائق والتسجيلات التي كانت تضم معلومات أو كلمات تشير ولو من بعيد الى النظام العالمي القديم ... فالوثائق والتسجيلات الحديثة لم تكن تحتوي على مفردات من الماضي ... الله ، رب العالمين ، التوحيد ، اليوم الآخر ، الحساب ، المغفرة ، العذاب ، ...!

كيف تسنى له أن يطلع عليها ، بل ويعيد بعثها مجدداً .. إلا اذا ...!

كانت حماسة الرجل في دعوته واضحة للعيان .. بدت عليه الثقة فيما كان يصرّح به وهو يدعو الناس ويتنقل بينهم على اختلاف طبقاتهم ، الاغنياء والفقراء ، رجال الاعمال وذوي المهن المتواضعة ، المثقفين والعمال ... لقد كان حريصاً على ان يختلط بجميع الفئات ، صعوداً من قاع المجتمع وحتى صفوته . يتحدث ويناقش ويأخذ ويعطي في صبر غير مسبوق !

كانت التقارير تشير الى اصرار الرجل على إيصال صوته الى كل الناس ، وان دعوته لن تقتصر على بضعة أشخاص فحسب . وصحيح أن احداً لم يقتنع بعد بما كان الرجل يدعو اليه من مفاهيم ، لكن من يدري ! ... قد ينجح في لفت الانتباه اليه اذا لم يجد من يتصدى لدعوته قبل أن تستفحل ..

وما لبثت قيادات الاخوية أن اتخذت قرارها بشن حملة مضادة ، وكانت أفضل الطرق من وجهة نظرهم أن يعقدوا سلسلة مناظرات تجمعه مع مجموعة مختارة من كهنة اطلانتس وكبار حكماء الاخوية ، سيتكفل هؤلاء بجعله أضحوكة امام الناس ...

﴿ **قَالَ المَلأُ من قَوْمه إنَّا لَنَرَاكَ في ضَلالٍ مُّبِينٍ • قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بي ضَلالَةٌ وَلَكنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ العَالَمينَ • أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ منَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ •** ﴾
الاعراف ٦٠ ــ ٦٢

ثار الكهنة غضباً ، فلقد تحققت مخاوفهم فعلاً .. وكان المعنى الوحيد لما أخبرهم به أنه تلقى رسالته من الله وليس مجرد ناقل لتعاليم وكتابات يفترضون انها قد أتلفت بالكامل .. واذن فان معركتهم ستستأنف جولاتها مجدداً مع غريمهم القديم : الاسلام !

وكانت أقرب الحجج الى تفكيرهم هي ان يطعنوا في مصداقية رسالته ، كونه واحداً من بني البشر ، فالمفهوم السائد لدى الاطلنطيين ان الآلهة هم (ملائكة السماء) ، فليس من المقبول منطقياً ــ عند عامة الناس! ــ أن يضع الملائكة ثقتهم في شخص بشري ليتولى مهمة تبليغ الرسالة السماوية ..

﴿ **فَقَالَ المَلأُ الَّذينَ كَفَرُوا من قَوْمه مَا هَذَا إلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائكَةً مَّا سَمعْنَا بهَذَا في آبَائنَا الأَوَّلينَ •** ﴾ المؤمنون ٢٤
﴿ **فَقَالَ المَلأُ الَّذينَ كَفَرُوا من قَوْمه مَا نَرَاكَ إلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا** ﴾ هود ٢٧

كانوا يعيّرونه ببشريته .. فبادرهم بالرد :

﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُـــلٍ مِّنكُمْ لِيُنـــذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ • ﴾ الاعراف ٦٣

○ ○ ○

لابد هنا من وقفة نتعرف من خلالها أكثر الى طبيعة الجو العام الذي دارت فيه ملحمة نبي الله نوح (عليه السلام) وما كان يواجهه من عقائد وأفكار هدّامة تلاعبت بعقول معاصريه وهيمنت على تفكير المجتمع وانتماءاته في ذلك الحين .. وعلى هذا فان معاني الحوارات المتبادلة بين نوح (عليه السلام) وقومه ستكون مفهومة أكثر بالنسبة لنا .

كانت مسألة احتقار الجنس البشري احدى أخطر الافكار الشاذة التي شاعت في عهد اطلانتس ، حتى غدت من جملة المعتقدات التي كان سكان العالم يؤمنون بها كثوابت لا تقبل المناقشة ، حيث كانوا يعتبرون بني جنسهم المرتبة الادنى بين المخلوقات .. فعلى مدى سنوات نجحت الاخوية في ازالة كل أثر لتاريخ آدم (عليه السلام) حتى اندثرت ذكراه تماماً ، فلم تكن الناس تعرف شيئاً عن القصة الحقيقية لخلق الانسان وحياته الاولى في الجنة وواقعة التكريم الذي حظي به في الملأ الاعلى وسجود الملائكة له ...

لم يكن هذا كله معروفاً بالنسبة لهم ، ففي كتب التاريخ وبقية مناهج التعليم في المدارس الاطلنطية ، كانت تروى قصة مغايرة عن أصول الانسان وحياته في الارض ... قصة مشوهة المعالم ، وكانت في مجملها تحمل خليطاً من قواسم مشتركة مع ما عرفناه أو سمعنا عنه في زماننا الحالي عن (نظرية التطور) و (قصة الحضارة) !

تزعم القصة ان الحياة البشرية ابتدأت بسلالة من القرود .. تركهم (كبير الآلهة) يهيمون في الارض على نحو همجي لعشرات أو مئات السنين . كان ذلك الانسان الاول قبيحاً وشديد الغباء وجسده مكسو بالشعر ، أشبه بمظهر الغوريلا ... ثم حدث ان حضرت الى الارض مجموعات من الملائكة قادمين من الفضاء الخارجي على متن أطباقهم الطائرة وسفنهم الفضائية ، هؤلاء كانوا أسياد الحكمة وأصحاب المعرفة المتقدمة في كافة الميادين ، وبفضل قواهم الخارقة وقدراتهم العلمية في الهندسة الوراثية فانهم تمكنوا من تحويل ذلك الانسان الغوريلا الى كائن أرقى ذكاءً وأكثر تحضراً ، علاوة على تزويده بكل المعارف والعلوم اللازمة لبدء حياته الجديدة ، كما قاموا بعمليات تصنيف لبني جنسه الى رتب متفاوتة المواهب والامكانيات والمناصب ، وذلك بحسب المهام الموكلة اليهم مستقبلاً لخدمة وعبادة أسيادهم الملائكة !!

[القصة مكشوفة وساذجة في بناءها وحبكتها .. لكن حجم المأساة يبدو مهولاً حين نتصور أعداداً واجيالاً من البشر تداولوا هذه القصة على انها حقيقة مسلـّم بصحتها ، وآمنوا بانها تؤصل جذورهم

الاولى في الارض .. ويزداد هول المأساة اذا عرفنا انها القصة ذاتها التي تروى في الزمن الحاضر للاجيال الجديدة من أتباع الجمعيات السرية وزمر عبادة الشيطان !] .

لم يكن جهل الناس بحقيقة خلقهم وبدايات نشأتهم واستقرارهم في الارض هو العقبة الوحيدة التي واجهت نوحاً (عليه السلام) خلال دعوته لدين الاسلام ، فلقد كانت (نهايات) الجنس البشري مجهولة بالنسبة لهم فضلاً عن جهلهم (للبدايات) !

الدار الآخرة ، القبر ، النعيم والعذاب ، ، البعث والنشور ، الحساب ، الثواب والعقاب ، الجنة والنار ... كل هذه كانت مفاهيم غائبة ومغيّبة عن علم الاطلنطيين ، وعوضاً عنها غطت الاخوية الشيطانية هذه الفجوة في الدين الجديد بطرح فكرة بديلة عبر جميع قنوات التعليم والمؤسسات الاكاديمية ووسائل الاعلام وارشادات الكهنة في المعابد ... عقيدة مبتدعة حول مصير الانسان بعد الموت ... حفنة من التفاصيل الكاذبة التي ابتدعها ابليس وحرص على تلقينها لاتباعه ، لكي يقوم هؤلاء بدورهم ــ كلٌ حسب موقعه وترتيبه ضمن هرم الاخوية ووسائل التواصل المتاحة له مع الناس ــ بنشرها بين العوام والجهلة !

أطلقت الاخوية على هذه العقيدة اسماً ما تزال اصداؤه تتردد بقوة الى يومنا هذا : تناسخ الارواح ــ أو تقمص الارواح ... هل سمعت بهذا الاسم من قبل ؟!

ومضمون هذه العقيدة الخرافية ان روح الانسان هي جوهر خالد ، تنتقل بعد موته من جسده الفاني لتحل في جسد انسان آخر جديد ، وقد يحدث ان تتم عملية الانتقال الى جسد أحد الحيوانات أو حتى النباتات اذا لم يكن صاحب الروح من زمرة الاشخاص الصالحين ، فالمسألة أشبه ما تكون بتغيير الثياب .. وتتكرر هذه العملية مرات عدة في أجساد وازمنة واماكن مختلفة ، فيعطى المرء بذلك فرصاً لا تنتهي ليعيش مجدداً ويسخّر نفسه واعماله لخدمة الآلهة !

دورة الحياة أبدية مستمرة ، تكرر ذاتها ... لا آخرة ولا بعث ولا حساب ... وعلى اساس ما كان يجري تلقينه للاجيال في مدارس اطلانتس وقنوات الاعلام ، فان الفكرة التي غلبت على تفكير الناس مفادها : ان الدنيا هي الدار الحقيقية والوحيدة للحياة التي يجب أن يشبع الانسان كل رغباته ونزواته فيها حتى الثمالة !

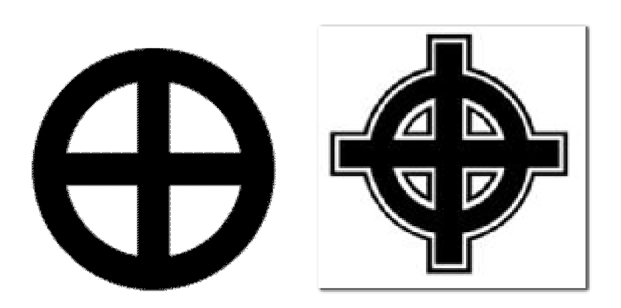
[ويذكر ان هذه الافكار المنحرفة هي اساس الاديان البوذية والهندوسية لدى شعوب الشرق الاقصى في عصرنا الحالي !] .

○ ○ ○

خزعبلات واوهام انطلت على شعوب العالم آنذاك ... كل ما في اطلانتس كان يعبّر بصورة او باخرى عن تلك العقائـــد الكافرة ، ويعمل على ترسيخ اركانها على نحو أعمق في عقول الناس وتصوراتهم عن الحياة والموت والدين والالوهية ... الكتب المدرسية والالعاب الالكترونية والصحف والدراسات الجامعية والنصوص التراثية والبرامج التلفزيونية والافلام والازياء والتقليعات العصرية ... وحتى الرموز والعلامات !

كانت الاخوية الشيطانية مولعة بالرموز والعلامات الى حد لا يوصف . فهي بمثابة تواقيع تؤكد وجودهم وسيطرتهم على كل شئ ... كنا قد تناولنا في السابق بعضاً منها شرحاً وايضاحاً ، ولا بأس أن نسلط الضوء على البعض الآخر ...

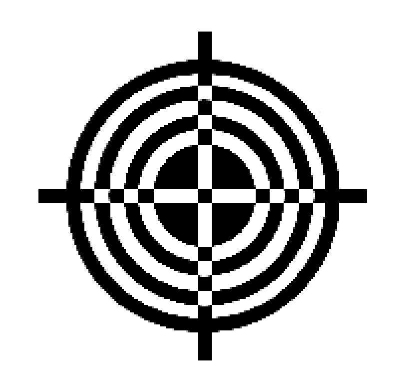
والبداية مع الرمز ادناه :



انه رمز مزدوج ، يتألف من رمزين متداخلين ... الاول هو الدائرة التي تمثل قرص الشمس ــ سبق ان أشرنا الى قدسية الشمس في عقيدة الاخوية الاطلنطية وجماعات عبدة الشيطان ــ ويتوسطها الصليب المسمى : صليب اطلانتس !

الصليب ــ وترجمته باللغة الانجليزية تعني تقاطع Cross ــ يمثل اختصاراً عملياً لفلسفة العبادة الشيطانية ، ويدل على تقاطع بعدين أو عالمين : الانس والجن .. ومن منظور الاخوية فان هذا التقاطع أو الاتحاد بين العالمين هو الضمان لبقاء لقوتهم واستمرارية نفوذهم في الارض !

في قلب منطقة الاطلسي ، قامت الاخوية بتصميم وتشييد طرقات ومعالم عاصمة الامبراطورية بشكل مطابق تماماً لذلك الرمز ... مساحة شاسعة من كتل القصور والمعابد وناطحات السحاب والشوارع والجسور والقنوات المائية ، جميعها مبنية فوق أراض محددة على هيئة حلقات او دوائر متعاقبة ومتحدة المركز مع صليب اطلانتس .. ليبدو منظر المدينة عند رؤيتها من الارتفاعات العالية كما في هذا المخطط :



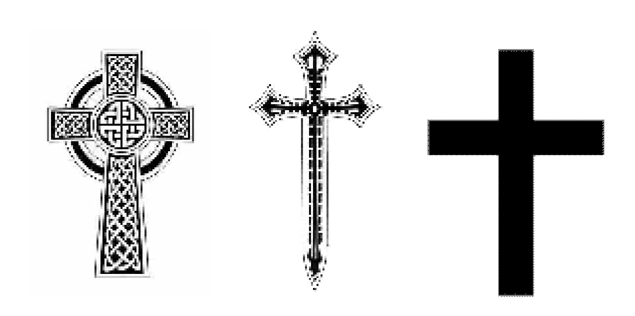
[عرفت العاصمة بالتسمية ذاتها : اطلانتس أو اطلس .. على اسم احد الآلهة التي عبدها اعضاء الاخوية ، وهو كما كانوا يصفونه في كتاباتهم بانه ابن كبير الآلهة ــ ابليس !] .

ثاني أشهر الرموز في اطلانتس هو (مفتاح الحياة) :



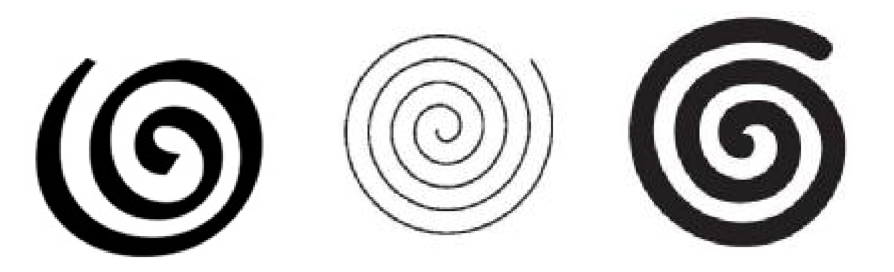
اخترعت الاخوية هذا الرمز الديني ليكون الاقوى تأثيراً في عوام الناس ... حشود غفيرة من عبدة الشيطان كانت تتسابق وتلهث وراءه لعلها تنال ولو قسطاً من بركاته وكراماته . فقد كان يمثل حسب عقيدتهم مفتاحاً لاسرار الكمال والخلود الانساني مما يمكن أن تمنحه لهم الآلهة في الحياة ... صنعت منه نماذج كمفاتيح ذهبية مجسمة كان كهنة معابد اطلانتس يحملونها في أيديهم .

ولقد تطور الشكل أعلاه بعد آلاف السنوات من عهد اطلانتس ، حين أجرت الاجيال اللاحقة من الاخوية دمجاً للرمزين معاً ــ صليب اطلانتس ومفتاح الحياة .. ضمن حملاتها المكثفة لترويج كافة المظاهر والتواريخ والطقوس الوثنية ، وذلك عبر تمويهها ودسّها في عناصر الاديان الموضوعة على يد البشر ، لتصنع في النهاية ما يعتقده معظم الناس حالياً الشعار المتعارف عليه عالمياً والذي يعبر عن المسيحية ... الصليب :



[كما ترى .. لكي تفهم تناقضات الحاضر ، عليك ان تنبش في خفايا الماضي .. فالحقائق مخبأة في مكان ما هناك ، تحت طبقات من الانقاض والتراكمات !] .

الرمز التالي يعتبر أكثر غموضاً من كل الرموز السابقة ، فالنصوص والادبيات الماسونية ــ وهي مصدر أساسي لفهم الفلسفة الكامنة وراء الرموز ــ لا تعطي إلا تفاصيل مبهمة حول معناه :



يطلق عليه اسم (اللولب) أو (الحلزون) Spiral . يبدو مشابهاً للرقم 6 أو 9 مكتوباً بالانجليزية ، وملتفاً حول نفسه عدة مرات .. انه الشعار الرئيسي الذي كان يزيّن رايات اطلانتس في زمانها ... ونظريتي لشرح معناه تتلخص بالآتي : الرسم يمثل نقطة من النقاط التي تتركز فيها حقول الطاقة الكهرومغناطيسية على كوكب الارض ، موجات تدور حول محور معين يشكل ذروة الطاقة التي يحصل عليها الشيطان ليكون قادراً على التواصل البعدي Contact مع الانسان ، سواء كان هذا التواصل فكرياً أو صوتياً ، أو حتى بالتجسد الكامل مادياً للشيطان .. انها نقطة التقاطع ذاتها التي يرمز لها الصليب وفقاً للمفاهيم الشيطانية السرية . وقد يكون هذا شكلاً أو مخططاً نظرياً لتجمعات الطاقة المحيطة بالاهرام أو المسلات !

○ ○ ○

لم تكن مهمة نوح (عليه السلام) سهلة على الاطلاق . كان الجانب العقائدي والديني في حياة الناس منهاراً تماماً .. ثم ان الجانب الاخلاقـــي لديهم كان يشهد هو الآخر سقوطاً مستمراً ..

في عهد اطلانتس تفشت كل مظاهر الفساد والعنف ... الجريمة والتحرش والاغتصاب والاباحية الجنسية ... وظفت الاخوية كل اجهزة الاعلام المرئي كأداة لنشر الانحلال ومحاربة القيم والاخلاق ... افلام ودعايات تلفزيونية ذات تقنية عالية ، كانت تترك آثارها الفادحة على عقول الجماهير وتتلاعب بانفعالاتهم . غير ان الابهار الصوري لم يكن العنصر الوحيد ضمن برنامج الاخوية للسيطرة على العرق البشري .. ثمة عنصر آخر اكثر خطورة ، وهو : صناعة وترويج المخدرات !

كانت المخدرات ــ ومازالت حتى اليوم ــ من اعتى الاسلحة التي استخدمتها الاخوية في حربها لتدمير المجتمعات البشرية ، فهي ليست نشاطاً حديثاً كما قد يتصور معظمنا ، بل ان جذورها وأعمالها ضاربة منذ القدم .

كانت الحكومة العالمية في اطلانتس ترعى خطة منظمة لتجارة المخدرات ــ وخاصة الافيون بمشتقاته ، والذي اطلقوا عليه تسمية نبتة السعادة ــ وتشجع على تعاطيها بين الناس ، حتى راج تداولها واصبح متاحاً على نطاق واسع عالمياً.. وكان الهدف النهائي من ذلك كله ، خلق أجيال من المدمنين ، مسلوبي الارادة والوعي ، وفاقدي الاخلاق والمبادئ .. مجرد أشخاص آليين ومسيّرين ، يسهل الاستحواذ عليهم .. ينفذون ما يُطلب منهم ولا يفكرون أو يعترضون على شئ !

قد تتضايق ــ قارئي العزيز ــ من غرابة الربط بين مشاهد العصر الحالي واحوال العالم في عهد نوح (عليه السلام) قبل آلاف السنين ... ان التفكير في عالم الامس على انه كان شبيهاً ــ بدرجة ما ــ بنمط أو تقنيات عالمنا اليوم ، يشكل تحدياً صعباً لاسلوب التفكير المعتاد !

لا أدعي انني أقدم الحقيقة الخالصة ، انها نظريتي الشخصية التي سمحت لنفسي بعرضها على الملأ بعد اشواط واشواط من البحث والدراسة . ذلك ما أكرر قوله دائماً .. ومعرفتي لاحداث من الماضي البعيد ، رغم افتقارها الى ادلة مادية او اخبار موثقة تؤيد وقوعها فعلاً ــ ليست آتية من فراغ ... انها معرفة راجعة في الاساس الى الاطلاع على الخطوط العريضة في برنامج الاخوية الشيطاني (النظام العالمي الجديد) ، وما يشتمل عليه من أحوال وأمور كانت تتكرر دائماً عبر التاريخ : عبادة الآلهة أو الملائكة المزيفين ، قصة الانسان القرد ، تناسخ الارواح ، المخدرات ، الرموز والعلامات المشفرة ، مشاريع السيطرة على العقول ، مظاهر الفساد ، ... الخ !

انها الاحوال والامور نفسها من جملة ما كان يتحقق على يد الاخوية في كل زمان استطاعت فيه شبكاتها فرض سيطرتها على نظام الحكم ، في دولة من الدول أو أمة من الامم ... لكن ، يبقى ذلك المثال الذي حققته في عهد اطلانتس هو أنجح التجارب الشريرة وأطولها عمراً لمشروع نظامها العالمي الجديد في الارض .

وهكذا ، كان على نوح (عليه السلام) أن يشق طريقاً محفوفاً بالمخاطر ، حافلاً بكل أنواع العراقيل ، ومواجهاً لتراكمات هائلة من الجهل والتخلف .

○ ○ ○

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِه أَنْ أَنذرْ قَوْمَكَ من قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ • قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذيرٌ مُّبِينٌ • أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ • يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّه إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ • ﴾ نوح ١ ــ ٤

تواصلت الدعوة الى الاسلام رغم كل الصعوبات .. كان نوح (عليه السلام) في حركة دؤوبة لا تهدأ ولا تنقطع .. عمل يصل الليل بالنهار ، والنهار بالليل ... تحدث الى الناس فرادى وجماعات .. استخدم كل ملكاته في الاقناع والتأثير مع من التقى بهم ، وتحمل كل ما ناله منهم من ردود افعال ، مهما كانت قاسية أو مستفزة .

كان تقدير قيادات الاخوية وحكمائها أنه لن يجني طائلاً من دعوته هذه مهما بذل من جهود ، إذ بدا أن الناس جميعاً كانوا ينفرون من دعوته ، وان ما كان يدعوهم اليهم قد أصبح مع الوقت محل سخرية واستهزاء ، حتى من صغار القوم ... والواقع انهم أصابوا في تقديراتهم لفترة ما ، لكن ... لم يخطر ببالهم مطلقاً أن الدعوة ستجني أولى ثمارها على غير ما يشتهون !

مجموعة قليلة من الاشخاص استجابت لدعوة نوح (عليه السلام) . كانوا من فئة المستضعفين والمقهورين في مجتمع اطلانتس .. عانوا من مرارة الظلم وأنكروا الاوضاع الفاسدة التي سادت من حولهم ، فآمنوا بما جاء به نوح (عليه السلام) وانضموا الى صفه .

جنّ جنون الاخوية ، وبدا جلياً أن المواجهة ستزداد ضراوة عن ذي قبل ... وهبت الآلة الاعلامية العملاقة ، كي تستغل الحدث للتشهير بنوح (عليه السلام) وتشن عليه حملات شعواء .. كانت وكالات الانباء الاطلنطية تصوّر الرجل كما لو كان زعيماً لزمرة من المتشردين أو الصعاليك ، ومن شأن هذا ــ حسب اعتقادهم ــ أن يزيد من نفور الناس تجاهه ويدفعهم لتجنب الاستماع اليه ، كما يمنعهم من التورط معه بأي شئ !

وبناء عليه ، تجددت المناظرات بين نوح(عليه السلام) وقيادات الاخوية :

﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا من قَوْمِه مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا من فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ • قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَة مِّن رَّبِّي وَآتَاني رَحْمَةً مِّنْ عنده فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ • وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّه وَمَا أَنَا بِطَارِد الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ • وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي منَ اللَّه إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ • وَلاَ

أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ • ﴾ هود ٢٧ ــ ٣١

[أراذلنا : ناقصو القدر من الضعفاء والفقراء ، بادي الرأي : لا رأي لهم ، بينة : بصيرة وحجة ، أنلزمكموها : أنرغمكم عليها ، خزائن الله : خزائن الرزق ، تزدري : تحتقر] .

دون جدوى ، جرب نوح (عليه السلام) مع قومه كل سبل الاقناع وساق لهم كافة البراهين المنطقية على صدق رسالته السماوية .. لكن صلفهم كان يزداد كل لحظة :

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون • قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ • قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ • وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ • إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ • ﴾ الشعراء ١٠٦ ــ ١١٥

واستقر رأي الاخوية على اتهامه بالجنون .. لن يعيروه اهتماماً ، فدعوته ستتآكل مع الوقت ويتم تصفيتها :

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ • ﴾ المؤمنون ٢٥

[جنة : جنون ، فتربصوا : انتظروا وترقبوا] .

○ ○ ○

وانقضت سنوات ثقيلة الخطى على أهل الخير في الارض .. لم يكف نوح (عليه السلام) عن الدعوة الى الحق ، لكن الضغوط عليه كانت تتزايد .. مجال الحركة من حوله أخذ يضيق شيئاً فشيئاً .. كان يعيش ويواصل نشر رسالته وسط محيط من العداوة والكراهية العمياء .. كان الناس يقابلون كلماته واحاديثه معهم بالرفض الصارم ، وغالباً ما كانوا يمطرونه بوابل من السخرية والشماتة .. وفي بعض الحالات كانت الاخوية تحرض مجموعات من الرعاع لمطاردته والاعتداء عليه بالضرب المبرح ..

لم يثنه هذا كله عن تبليغ الدعوة .. وكانت نداءاته لاهل الارض تتلاحق بلا انقطاع :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً • يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً • وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً • مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً • وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً • ﴾ نوح ١٠ ــ ١٤

[مدراراً : مطراً غزيراً ، وقاراً : تعظيماً ، أطواراً : درجات في الخلق] .

وقوبلت كل نداءاته بالانكار التام . فهؤلاء هم القوم الذين وصفهم الله تعالى :
﴿ **وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى •** ﴾ النجم ٥٢

كما وصفهم سبحانه في موضع آخر من كتابه العزيز :
﴿ **وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ •** ﴾ الذاريات ٤٦

لم يكن أحد من الاطلنطيين على استعداد لسماع ما كان نوح (عليه السلام) يردده على اسماعهم ليل نهار .. كان العالم غارقاً في ماديته الى أبعد الحدود . تمادت الاخوية في طغيانها وسيطرتها أكثر من ذي قبل ، لكن الجماهير لم تعد تكترث بما كان يدبر لها أو بمن كان يحكمهم ويسيّر حياتهم ، فبينما كانت تحذيرات نوح (عليه السلام) تتوالى لتنبيههم وإفاقتهم مما كانوا مستغرقين فيه ، وفي وقت كانت ضغوطات الديون لصالح البنوك الاطلنطية تتراكم عليهم ، والخوف من الغد يتغلغل الى قلوبهم كل لحظة ، فانهم ــ رغم ذلك كله ــ تعاملوا مع الامر بلا مبالاة ... تجردوا من كل إيمان أو قيمة معنوية أو روحية بعد أن كرسوا ولاءهم للشياطين وخضعوا لنظامها ، انغمسوا في نواحي الترفيه بشراهة وجنون .. كانت اسعار السجائر والمشروبات الكحولية وفضائح النجوم ، أكثر اهمية بالنسبة لهم مما كان يدور في الحياة الاوسع على كوكب الارض !

كانت حمى الجنس والعلاقات العشوائية المحرمة تجتاح ذلك العالم المجنون ... اقبل الاطلنطيون بنهم وحشي على ارتكاب الفواحش ، وتمادوا في رذائلهم وفجورهم الى حد الاشباع ، فليس هناك من روادع اخلاقية أو دينية تردعهم عن تلك الافعال .. ولقد وصفهم الله سبحانه في الآيات الكريمة بانهم كانوا قوم سوء :
﴿ **وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ •** ﴾ الانبياء ٧٧

ولم يصف الله تعالى في القرآن الكريم قوماً بهذا الوصف إلا قوم لوط :
﴿ **وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَتِي كَانَت تَّعْمَلُ الخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ •** ﴾ الانبياء ٧٤

قاوم نوح (عليه السلام) كل ما واجهه من احباط ولم يستسلم .. واستمر يذكــّر قومه بنعم الله عز وجل وآياته الماثلة ازاءهم :
﴿ **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً • وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً • وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً • ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً • وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً • لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً •** ﴾ نوح ١٥ ــ ٢٠

[طباقاً : بعضها فوق بعض ، سُبلاً فجاجاً : طرقاً واسعة] .

كانت حدة الموقف تتصاعد .. وبدا ان الاخوية قد ملــّت تبادل الحجج والمناظرات مع نوح (عليه السلام) ...

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ • وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • ﴾ هود ٣٢ ــ ٣٤

كان واضحاً ان الاخوية لم تعد تطيق سماع المزيد منه . فقد وجهت اليه تهديدات جدية في حال لم يوقف دعوته الى الاسلام ..

﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ • ﴾ الشعراء ١١٦

وتوترت الاجواء في الافق !

○ ○ ○

مضت سنوات منذ انضمت الى نوح (عليه السلام) تلك القلة من المؤمنين .. لم تنجح الدعوة بعد ذلك في استقطاب أي انصار جدد .. وخلال تلك الفترة العصيبة ، كان الخناق يضيق حولهم عاماً بعد آخر . وكان نوح (عليه السلام) هدفاً مكشوفاً لكل انواع المكائد والمؤامرات من قبل الاخوية واتباعها ... تعرض لاعتداءات من كل صنف ولون ، بالسب والقذف والتعذيب والضرب معاً .. ودبروا له عددا من محاولات الاغتيال ..

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ • فَإِن تَوَلَّيْــتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ • ﴾ يونس ٧١، ٧٢

[مَقامي : أي طول مقامي ولبثي فيكم ، غمة : خفياً مستوراً] .

ومع الملاحقة والاذى استمرت الاخوية تطلق دعايتها السوداء للتشهير به :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ • ﴾ القمر ٩

[ازدُجر : أي زجروه ومنعوه عن تبليغ رسالة ربه] .

وشكا نوح (عليه السلام) الى ربه قائلاً :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً • فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً • وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً • ﴾
نوح ٥ ـ ٧
[استغشوا ثيابهم : وضعوا الثياب على اعينهم] .

○ ○ ○

كانت السنوات تطوي بعضها بعضاً في جمود قاتل .. وبدا وكأن كل المؤشرات تقود نوحاً (عليه السلام) ودعوته الى طريق مسدود !

كان الغرور قد ركب رؤوس الاخوية وأتباعها الى أقصى الحدود .. العلوم والتقنيات المتاحة بين أيديهم جعلتهم يتصورون ـ ! ـ حتمية بقائهم واستمرار هيمنتهم في الارض الى ما لا نهاية .. كانت تجاربهم وابحاثهم العلمية تتقدم بسرعة جنونية .. ويوماً بعد آخر ، كانوا يتوصلون الى اكتشافات مذهلة في شتى المجالات ، في الاتصالات والالكترونيات والطب والكيمياء والزراعة وغزو الفضاء والهندسة الوراثية ... اكتشافات ، يصعب على أي شخص ـ حتى من أبناء هذا العصر الحالي ـ أن يقف على تفاصيلها أو يتخيل شكلها ومدى ما وصلت اليه من تطور وازدهار .. وفي وقت من الاوقات بلغ الكفر والاستكبار بالاطلنطيين الى حد انهم فكروا باستغلال امكانياتهم العلمية لاجراء تجارب تهدف الى التلاعب بالخلق والتكوين الوراثي للانسان وبقية المخلوقات .. وكان طبيعياً ان تخفق تلك التجارب العابثة وتكون حصيلتها صفراً !

لا شك انها كانت الحضارة الاسبق في تكنولوجيتها على امتداد التاريخ البشري .. لكن أصحابها وشعبها سخروا هذا كله لاغراض الكفر والشر .. !

اندفع اعضاء الاخوية يبنون ويعمرون ويصنعون ويخترعون ، يقومون بكل ما يساعد على تكريس النظام العالمي الجديد في العالم ... توسعوا في بناء المعابد في كل الولايات والاقاليم ، وملؤوا بقاع الارض بالاصنام والاهرامات والمسلات وناطحات السحاب واللوحات والرموز والشعائر الوثنية ... وعلى صعيد التعامل مع الجماهير ، جندوا كل اعلامهم لاثارة وتهييج الرغبات الدنيوية في صدور الناس .. كانت الدعايات التلفزيونية تزيد من شغف الناس بالانفاق والتبذير على احدث الصرعات الشاذة في ارتداء الملابس واقتناء السيارات والمبتكرات الحديثة وأساليب الكلام الفاحش !

كل الاشياء كانت تنطق بالحقيقة المرّة : العالم بأسره يسير نحو هاوية سحيقة .. وكان بادياً بما لا يقبل الشك ان برنامج الاخوية ـ اذا لم تتدخل المشيئة الالهية ـ ماضٍ في طريقه حتى النهاية ، برنامج شـــرير يتواصل انتقاله دورياً من جيل الى جيل آخر يليه .. وراثة متصلة لا تنقطع للعقائد الشيطانية !

ووصل نوح (عليه السلام) ــ بعد كل تلك السنوات من الجهد والتفاني والمعاناة والسهر والقلق والتفكير والعذاب ــ الى نتيجة حتمية ...

﴿ **قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً • وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً • وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً • وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً • مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً • وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً • إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً • رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً •** ﴾ نوح ٢١ ــ ٢٨

[تذرنّ : تتركن ، مما خطيئاتهم : بسبب خطاياهم ، ديّاراً : أحداً يسكنها ، تباراً : هلاكاً] .

وتوجه نوح (عليه السلام) الى ربّه بالنداء والدعاء :

﴿ **فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ •** ﴾ القمر ١٠

﴿ **قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ • فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ •** ﴾ الشعراء ١١٧، ١١٨

﴿ **قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ •** ﴾ المؤمنون ٢٦

﴿ **وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ •** ﴾ الصافات ٧٥

وتأتي الاشارة من الله تعالى :

﴿ **وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ •** ﴾ هود ٣٦

وتلقى نوح (عليه السلام) من ربه الخبر الرهيب .. طوفان عظيم على وشك الوقوع ... أمواج هادرة من المياه سوف تتدفق بلا حساب لتجرف في طريقها كل صروح الظلم والكفر في الارض .. وفوق هذا كله ، فانه سيكون طوفاناً من الاحداث والانقلابات السريعة المتلاحقة ، والتي ستغير وجه العالم الى زمن لا يعلم مداه إلا الله تعالى . وكان على نوح (عليه السلام) أن يستعد للحدث الكبير !

﴿ **وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ •** ﴾ هود ٣٧

ولقد يبدو الامر بسيطاً للوهلة الاولى ، لكنه في الحقيقة لم يكن كذلك .. كان على نوح (عليه السلام) ان يصنع سفينة ذات مواصفات وشروط خاصة ، وهي ليست تلك التي أسرفت الكثير من المصادر والكتب في وصف شكلها وأبعادها ، استناداً الى ما جاء حولها في نصوص التوراة الحالية : سفينة خشبية مطلية بالقار ، طولها كذا وعرضها كذا وارتفاعها كذا ، وعدد طوابقها ثلاث ..!

لا أحد منا يقيناً يمكنه الزعم انه يعرف المواصفات الحقيقية للسفينة .. ولا نملك سوى الاستنتاج العام بشأنها فنقول : انها سفينة (فوق العادة) .. مركبة بحرية بالغة التطور ، هائلة الحجم والمتانة ، بما يكفي لتطفو صامدة وسط طوفان غاضب سيغمر الارض من أقصاها الى اقصاها ، وهي ذات طاقة استيعابية عملاقة لتحمل على متنها جمع المؤمنين في ذلك الزمان ، وسيحمل معهم على نفس السفينة من كل صنف من الحيوانات اثنين : ذكر وانثى ...

ستكون هذه أكبر حديقة حيوانات عرفها الانسان على مرّ التاريخ !

وانصرف نوح (عليه السلام) الى العمل ..

﴿ **وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ • فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ •** ﴾ هود ٣٨، ٣٩

○ ○ ○

في ذلك الوقت ، كان العالم لاهياً في واد آخر ، وكانت الاخوية تعيش ذروة علوّها واستكبارها في الارض ... شارفت امبراطورية اطلانتس على إتمام عامها الالف منذ اعلان تأسيسها على يد الاخوية الشيطانية ، وهي نفس المدة تقريباً التي استغرقها نوح (عليه السلام) في دعوته الى اولئك القوم الكافرين ..

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ •** ﴾ العنكبوت ١٤

بدت الدنيا أيامها وكأنها تعاني اجهاداً مفرطاً من كثرة الظلم والفواحش المرتكبة فيها .. كانت الاستعدادات جارية على قدم وساق لاقامة احتفالات باذخة بذكرى الالفية ... وكانت الآمال العريضة تداعب خيال أفراد الاخوية ــ من الجن والانس ــ في المكوث على الارض أبد الدهر .. بدأت مقدمات الاحتفال المرتقب ، فترك الاطلنطيون لأنفسهم حرية الاستمتاع بكل انواع الملذات ، امتصتهم الاضواء والالوان الصاخبة ، وتوهجت الالعاب النارية في السماء لتضئ ليالي السمر والمجون في اطلانتس ... تعالت الاصوات

والضحكات المستهترة ، واريقت الخمور في الشوارع ... الجميع كان يلهث وراء المتع المحرمة كما لو كان يريد أن يلتهمها التهام من يظن نفسه راحلاً عن الحياة بلا رجعة !

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ • ﴾ يونس ٢٤

كان نوح (عليه السلام) قد فرغ تماماً من بناء السفينة . ولم يكن عليه سوى انتظار الاشارة الدالة على قرب وقوع الطوفان ، ليتصرف بعدها كما أمره الله تعالى ..

وظهرت الاشارة المتفق عليها !

فوران التنور ... وهي لا تعني غليان الماء كما ركنت الى هذا المعنى العديد من الاجتهادات والتفاسير السابقة . التنور كلمة مركبة تعني وفقاً للعربية القديمة : جبل النار أو الجبل المشتعل .

[وتقديري أن التنور هو التعبير الاصلي في اللغة العربية الذي استخدمه العرب اولاً لوصف ذلك الشكل من التضاريس المخروطية التي تنفث الابخرة الحارة والمواد المنصهرة . وما كلمة البركان إلا تعبيراً حديث العهد في اللغة العربية الدارجة !] .

كانت هذه هي العلامة المرتقبة ، بركان ثار فجأة .. تصاعدت من قمته سحب الابخرة الساخنة ، وراحت فوهته تقذف بحممها المنصهرة قريباً من تخوم العاصمة اطلانتس ، وأدى هذا الى خراب عدد من المنشآت والقواعد العسكرية الاطلنطية ، بالاضافة الى ما تسبب به من أعطال جسيمة في محطات الطاقة الكهربائية !

وهرول نوح (عليه السلام) مسرعاً ..

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ • وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ • ﴾ هود ٤٠، ٤١

ذعر الاطلنطيون لمشهد البركان الثائر ، ذلك المارد الذي ظل هامداً لسنوات طويلة قبل أن يعلن فورانه بهذا الشكل المخيف .. ولقد صاحبته هزات أرضية عنيفة زادتهم رعباً وهلعاً .. تعطلت خطوط الكهرباء وتوقفت جميع رحلات الطيران .. تمكنت الاخوية من تأمين مصادر بديلة للطاقة الكهربائية في العاصمة بعد تدمير كافة المحطات الرئيسية ، كان هذا حلاً مؤقتاً بانتظار ان تنتهي الازمة ... ولكن هيهات !

[ولعلها كانت ثورة براكين في الارض وليس بركاناً واحداً .. والله أعلم !] .

تواصل خروج الغازات الحارة من فوهة البركان بكميات مخيفة ــ ويشكل بخار الماء أكثر من ٧٠% من مكوناتها ــ وارتفعت الابخرة لتتكاثف ضمن نطاق الغلاف الغازي للارض ، مكونة طبقة من الغيوم المثقلة والمعبئة بالامطار .

[وهذه حقيقة ثابتة علمياً بشأن تكون السحب والامطار من أبخرة البراكين !] .

﴿ **فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ** • ﴾ القمر ١١

ومع هطول الامطار الغزيرة بلا توقف ، نهضت الارض تفرغ مخزونها من الماء العذب ، وفجرته عيوناً وسيولاً كاسحة ، وكأن السماء والارض قد اتفقتا في توقيت واحد على طاعة أمر الله تعالى ..

﴿ **وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ** • ﴾ القمر ١٢

والملاحظة التي تستحق ان تكون محل تفكير مطول ، هي أن القوم الكافرين من الاطلنطيين ، وبرغم ضخامة الحدث الدائر امامهم وتسارع وتيرته ــ ذلك ان كل شئ كان يجري في لمح البصر ــ لم يفكروا ولو للحظة بالربط بين ما كان يجري من اهوال وانقلابات كارثية في الطبيعة ، وتحذيرات نوح السابقة لهم من غضب الله القوي العزيز وعذابه الاليم ... لم يتدبروا ولم يتراجعوا ، ولم يتغير مجرى تفكيرهم السابق .. قرروا الامعان في التحدي ، ظناً منهم ان علومهم وتقنياتهم ، ومن وراءها آلهتهم المزعومة ــ الشياطين ، ستتكفل بحفظهم حتى تنجلي الكارثة !

وهكذا هرع الاطلنطيون الى أحدث طراز لديهم من المواقع والقنوات العازلة ــ ربما كانت ملاجئ حصينة أو غواصات او بواخر عالية التقنية ، أو غير ذلك !

والتقى الماءان ... وراحت التيارات المائية العنيفة تدمر كل معالم الحضارة الاطلسية في الارض : القصور والابراج والجسور والعمارات والابنية الشاهقة ... التماثيل العملاقة لآلهة الباطل والمعابد والاهرامات والمسلات ... الاساطيل البحرية والرادارات والطائرات والمفاعلات النووية ... مراكز الابحاث والمختبرات العلمية والمصانع والرقاقات الالكترونية ... كلها غاصت وتلاشت ، كأنها لم تكن !

طافت سفينة نوح (عليه السلام) فوق الامواج المتلاطمة برحمة الله ورعايته ، ولاح من بعيد تجمع للاجئين الاطلنطيين في واحد من المواقع العازلة ، وكان بينهم ابن نوح الذي أبى ان يكون مؤمناً واختار طريقاً آخر ..

﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الكَافِرِينَ •** ﴾ هود ٤٢

ويبدو انهم كانوا يعتقدون حتى اللحظات الاخيرة أن مراكبهم ووسائلهم التقنية ستصمد بوجه الطوفان ..

﴿ **قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ** ﴾ هود ٤٣

كانت مستويات المياه ترتفع في سرعة مذهلة . ولا يمكن ان نتصور ان ابنه كان ينوي الهرب الى قمة الجبل أو سفوحه العالية سيراً على الاقدام ... والثقة التي كان يتحدث بها في تلك اللحظات المرعبة تدل على اطمئنانه مع بقية القوم الى ما كانوا يستخدمونه من وسائل نجاة أو وسائط نقل ــ بواخر جبارة او غواصات أو وسائل نجاة منيعة ، أياً كانت !

وردّ عليه نوح (عليه السلام) :

﴿ **قَالَ لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ •** ﴾ هود ٤٣

في الاجواء المظلمة من عالم أو بعد آخر ، كانت الشياطين واقفة تراقب بفزع ذلك المشهد الذي كانت رؤيته كافية لطحن أقوى الاعصاب وأكثرها تحملاً .. براكين غاضبة تثور ، وامواج عملاقة كانت ترتفع كالجبال لتبتلع صروح امبراطورية اطلانتس ، ذلك البناء الذي انفقت الاخوية الكثير لبناءه .. وكان كبيرهم ابليس يصيح متوعداً :

((لا! .. لم ينته الامر.. سأعيد بناء الحضارة التي زالت ، وسأرجع لأحكم العالم بنظامي .. النظام العالمي الجديد)) .

○ ○ ○

يقول تعالى :

﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ •** ﴾ الاعراف ٦٤

واصلت المياه ارتفاعها حتى بلغت أقصى مستوياتها .. طوفان غمر العالم على مد البصر ، حتى بدا وكأن الماء يملأ الارض ولا شئ سواه ــ ولقد كان كذلك فعلاً في تلك اللحظات العاصفة والخاطفة من عمر التاريخ الانساني ... لا شئ يدل على وجود الحياة سوى سفينة كان بدنها يتهادى عائماً فوق الموج كنقطة صغيرة وسط فيضان من مياه ليس لها أول ولا آخر ..!

﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الفُلْكِ فَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ • وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ • ﴾ المؤمنون ٢٨ ــ ٣٠

انتهى كل شئ . ولم تكن هذه النهاية إلا بداية لعالم جديد ومختلف !

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • ﴾ هود ٤٤

[أقلعي : أمسكي عن المطر ، غيض الماء : أي نقص وذهب في اغوار الارض ، استوت : استقرت ، الجودي : اسم جبل] .

ذلك هو مشهد ما بعد الطوفان .. بدأت المياه بالانحسار ، وراحت رؤوس القمم الجبلية تتبدى وتبرز على السطح شيئاً فشيئاً مع التناقص المستمر لمنسوب المياه ... معالم التضاريس الارضية اخذت تظهر أكثر فاكثر : هضاب وتلال وصخور ... فوضى عارمة من ركام وحطام الحضارة السابقة ... ثمة تغييرات كبرى حلت في جغرافية الارض ، ولعل أهمها على الاطلاق كان اختفاء رقعة شاسعة من البر ... قارة اطلسي ، التي نالها النصيب الاكبر من الغضب الالهي وغاصت في باطن المحيط الذي سيسمى لاحقاً باسمها !

وأخيراً ، هبطت السفينة بسلام على جبل الجودي ...

﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ • قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ • قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الخَاسِرِينَ • قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ • تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ • ﴾ هود ٤٥ ــ ٤٩

○ ○ ○

تتناقض الآراء ــ ولعلي أقول تتصادم ــ حول فهم وتفسير الدعاء الذي توجه به نوح (عليه السلام) الى ربه :

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً • ﴾ نوح ٢٦

والسؤال القديم الذي يتجدد طرحه بين الحين والاخر :
هل تعني (الارض) الكرة الارضية بالمعنى الحرفي للكلمة ، أم أن المقصود في الآية مساحة محدودة من الارض ؟!

وهل كان الطوفان ـ بالتالي ـ عالمياً في اغراقه للارض ام انه اقتصر على بقعة محددة منها وأغرق من فيها من القوم الكافرين ؟!

إن هناك شبه تيار من المفسرين والباحثين والمهتمين بالقصص القرآني ظهر مؤخراً وراح يدعو بقوة الى انكار عالمية الطوفان ، ثم اتجه بتفكيره واجتهاداته الى تبني الاحتمال الثاني : محلية الطوفان ! .. ودعواه ان القرآن الكريم لم يصرّح في أي من الآيات بشمولية العقوبة لكل أهل الارض وافناء كامل البشرية في ذلك الزمان ـ فيما عدا نوح (عليه السلام) ومن بصحبته من أهله والمؤمنين .. كما لم يتطرق على نحو مباشر الى المساحة التي استوعبتها مياه الطوفان .

ثم تساق لدعم هذا الرأي ـ محلية الطوفان ـ مجموعة من الحجج ، أهمها :
■ إن القرآن الكريم يتحدث عن دعوة نوح (عليه السلام) باعتبارها دعوة موجهة الى قوم معينين : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ** ﴾ .. وهؤلاء القوم الذين كذبوه وأنكروا رسالته هم الذين أغرقهم الله في الطوفان : ﴿ **وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ** ﴾ .. وبذلك تنتفي صفة العالمية عن دعوته . ومعلوم أن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو الرسول الوحيد الذي كان مبعوثاً برسالة عالمية الى الناس كافة ..
﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً** ﴾ الاعراف ١٥٨
ولقد تكرر لفظ (قوم نوح) في القرآن الكريم احدى عشرة مرة ، ليضعهم في مصاف الاقوام الاخرى كعاد وثمود وغيرهم ... عاشوا في منطقة جغرافية محددة وتشابهوا مع غيرهم من الاقوام في الطغيان وتكذيب الرسل ، فكان طبيعياً أن تجري عليهم السنن الطبيعية .. فلماذا تكون عقوبتهم عالمية خلافاً لغيرهم ؟!

■ لو تتبعنا كلمة الارض في القرآن الكريم لوجدنا أنها لا تعني دائما الكرة الارضية ، إذ ذكرت في مواضع عدة بمعنى الاوطان أو مناطق السكن ، أو أقل من ذلك أو أكثر :
﴿ **وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا** ﴾ الاسراء ٧٦
﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ** ﴾ الجمعة ١٠
﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ** ﴾ يوسف ٥٥
﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ** ﴾ المائدة ٣١

ولو شاء الله أن يبيّن هلاك جميع من في الارض بالطوفان لاوضح سبحانه هذا المعنى في آية صريحة ، كما في الآيات الكريمة :
﴿ **قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً** ﴾ المائدة ١٧

■ إن لفظة (كل) في قوله تعالى : ﴿ **قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾ لا تشير بالضرورة الى كل الاجناس الحية ، بل تعني ان يحمل نوح (عليه السلام) كل ما يحتاجه من الانعام أو الحيوانات المنزلية .. وهذا وارد في لغة القرآن الكريم ، والدليل عليه ما جاء في قوله تعالى :
﴿ **تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ •** ﴾ الاحقاف ٢٥
فلفظة (كل) هنا لا تعني العموم مطلقاً ، بل تعني تدمير كل شئ أمرت بتدميره ، ولم تدمر كل شئ في الارض !

■ ليس المفهوم من الامر الالهي أن ينقذ نوح (عليه السلام) كل الكائنات من الغرق والانقراض ، فليس معقولا الاعتقاد بان الوقت المحصور بين فوران التنور ــ وهو أولى ارهاصات الطوفان ــ وركوب السفينة ، كان سانحاً لاحصاء وجمع اثنين من آلاف الانواع من المخلوقات في الارض وحشرها في سفينة مع الناجين .. كما ان عملاً ضخماً كهذا يحتاج بالتأكيد الى عشرات ، بل ومئات السفن وليس سفينة واحدة ... وان المجال بالكاد كان يكفي لحمل الاهل والمؤمنين وما تتطلبه الحاجة من الحيوانات والماشية !

■ إن التاريخ القديم الذي دونته مختلف الشعوب والأمم لا يتحدث عن طوفان عمّ الأرض جميعاً ، والسبب في ذلك أنهم لم يعرفوه ولم يسمعوا عنه ولم يحصل في بلدانهم .. أما الثقافات التي حصل الطوفان في مناطقها أو قريباً منها فقد تحدثت عنه ، فليس غريباً أن تجد صداه باقياً في العهد القديم وملحمة جلجامش في بلاد بابل !

[حيث تفترض هذه النظرية ان الطوفان وقع في بقعة ما من منطقة الشرق الاوسط !] .

○ ○ ○

قبل الدخول في مواجهة مع الفرضية اعلاه ــ محلية الطوفان ــ والرد عليها ، حجة بحجة وفكرة بفكرة ، ينبغي الانتباه الى مسألة هامة حول مفهوم العالمية :

إن عالم اليوم ليس متطابقاً مع عالم الامس القريب قبل أكثر من ألف واربعمئة سنة ، ثم أن هذا لا يتشابه بالضرورة مع عالم الامس البعيد قبل آلاف السنين .

تلك حقيقة مهمة وأساسية . والمشكلة انها تغيب عن اذهاننا كلما حاولنا أن نضع عوالماً تتباعد بينها الازمان والظروف على نفس القياس !

إن عالمنا الحالي ــ بكل أحواله وتقلباته وخرائطه وسياساته وحروبه ونزاعاته ــ ليس شبيهاً بالعالم الذي شهد بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا بدوره لا يشابه العالم الذي عاصره النبي نوح (عليه السلام) .. ففي كل عالم من العوالم الثلاثة اتخذ صراع الخير والشر سمات وملامح لها طابعها الخاص .

في عصرنا الحاضر ، تحث الاخوية خطاها وتعبئ قدراتها ومواردها بالكامل للتعجيل بتصفية جميع الحكومات والدول والانظمة ، وصولاً الى تحقيق حلمها الكبير : القرية العالمية ، أو النظام العالمي ، او الحكومة العالمية Global World Government ... وأصحابها يسيرون على أصداء نداءات وشعارات رفعها أسلافهم من قبلهم وحققوها عملياً على أرض الواقع قبل آلاف السنين في عهد اطلانتس !

[ولم تكن حرب الخليج ١٩٩١ إلا حداً فاصلاً انتقلت فيه الاخوية من مرحلة سابقة الى اخرى تليها على طريق تحقيق النظام العالمي الموحد !] .

وفي عصر النبي (عليه الصلاة والسلام) الذي قال : ((... وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثت إلى الناس عامة)) ... كانت بعثته النبوية الى عالم تعددت فيه وتشعبت الاديان والملل والقوميات والفرق واللغات !

وفي عصر النبي نوح (عليه السلام) ــ بعد عشرة قرون من عصر آدم (عليه السلام) ــ كانت الارض برمتها خاضعة تحت سلطة (الملأ) من قومه ، وكانت الشعوب قد توحدت بعد طول الصراع لتصبح شعباً واحداً اتبع العقيدة الشيطانية لمدة قاربت الالف عام !

وهكذا فان العالمية لها مفهوم ومدلول يختلف باختلاف العصور والازمان والاشخاص والظروف ، فاذا ما أسأنا الفهم قبل معالجتنا للموضوع محل البحث ، فان الاحكام بالقطع لا تكون سليمة !

وقد يقال :
انك تطرح فكرتك نظرياً ، دن أن تقدم سنداً او دليلاً !

وجوابي :
ليكن ، فاعادة قراءة القصة كما جاءت في القرآن الكريم تشفع للفكرة ، حتى لوكانت كلاماً نظرياً ، بل وتدعمها وتوثقها أفضل من أي دليل مادي وملموس ــ ومن المفترض بديهياً أن دليلاً من هذا النوع لن يكون موجوداً بعد ان اطاح الطوفان بكل الشواهد والادلة

التي تثبت أحوال الزمان السابق لوقوعه ... إن عالمية قوم نوح وشمولية الطوفان الذي غمر الارض يمكن استنتاجهما ضمناً من سياق الاحداث والمفردات التي وردت في كلام الله عز وجل ..

وعلى هذا الاساس أوجز ردودي بالآتي :

■ لقد أمر الله سبحانه نوحاً (عليه السلام) ان يصنع الفلك ، أي السفينة .. ولم يأمره ان يهاجر ويصطحب اتباعه من المؤمنين الى قرية أخرى بعيداً عن قومه كي لا يمسهم العذاب ، كما أوصى تعالى بذلك انبياء آخرين كانوا يرحلون في نهاية المطاف عن اقوامهم قبيل نزول العقوبة الالهية .. فلو لم يكن الطوفان شاملاً لكل قرى الارض لما كانت هناك حاجة الى بناء سفينة .. والنصوص الكريمة تعطينا صورة واضحة كيف ان السفينة كانت وسيلة النجاة لنوح وأتباعه ..

﴿ **فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ** • ﴾ الشعراء ١١٩

﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُنذَرِينَ** • ﴾ يونس ٧٣

■ ولقد أمر الله سبحانه نبيه أن يحمل على الفلك من كل زوجين اثنين ، وتتمثل دقة التعبير القرآني في استخدام لفظ (زوجين) ، كاشارة الى ضرورة وجود الذكر والانثى من تلك الدواب لحفظ نسلها في الارض .. فالامر اذن عام وشامل لجميع المخلوقات التي سيتأثر وجودها واستمرارها بالطوفان . ولو تصورنا أن الامر اقتصر على كل الماشية التي يحتاجها نوح (عليه السلام) للحياة بعد الطوفان ، فما حاجته اليها ؟ ... ألن يمكنه أن يجدها في قرية ثانية ويوسع الله عليه من رزقه ؟!

■ إن معنى الكلمة في اللغة العربية يفهم من سياق الحديث .. وفي الآية الكريمة : ﴿ **تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا** ﴾ بيّن الله عز وجل أن تدمير (كل شئ) اقترن بما أمر الله به أن يُدمر فحسب .. اما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾ فالتعميم وارد في المعنى بوضوح دون شروط او قيود .

■ لا ريب اننا نتحدث عن معجزة كبرى ، وفي قوله تعالى : ﴿ **وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** ﴾ نرصد القدرة الالهية في الاشراف على صناعة السفينة ، فضلا عن حراستها من أي تخريب مقصود من القوم الكافرين ، وهكذا يصعب ان نقارن هندستها وتصميمها وطاقتها الاستيعابية مع ما نعهده من سفن من صنع البشر ... المعجزات الخارقة لا تلتزم عادة بما في علمنا من ثوابت أو قوانين متعارف عليها ، ولذلك لا يكون مستغرباً لو فكرنا بامكانية ان يوحي الله سبحانه الى كافة الخلائق بعد فوران البركان بالتحرك سريعاً

والاجتماع عند الفلك قبيل حدوث الطوفان ــ وهي فترة ليست قصيرة بالضرورة ، فهناك فاصل زمني بين علامة الفوران والطوفان لا يعلم أمده إلا الله عز وجل ...
أليس هذا ما يحدث غالباً في ظروف مشابهة كالزلازل والبراكين والفيضانات ، فالحيوانات تتمتع بحواس وملكات فطرية عجيبة تجعلها تستشعر اقتراب الاخطار الطبيعية ، فتغادر منطقة الخطر وتنجو من الكارثة .. فلماذا نستبعد هذا الاحتمال في كارثة بحجم الطوفان ؟!

■ في قوله تعالى حين خاطب نوح (عليه السلام) ابنه : ﴿ **قَالَ لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ إشارة الى عموم الطوفان ، فليس ثمة مفر لاحد الى أي مكان أو جهة هرباً من أمر الله وعقوبته في الارض قاطبة .

■ ولا يجب ان ننسى ان استواء السفينة على اليابسة لم يتم إلا بعد أن انحسرت المياه وعادت الى جوف الارض ، فلو لم يكن الطوفان عاماً لأوحى الله تعالى للسفينة أن تبحر براكبيها الى بر الامان ، حيث توجد اليابسة في بقعة اخرى من الارض .

■ تبدو الاشارة اللغوية قوية في قوله تعالى : ﴿ **فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الفُلْكِ المَشْحُون •** ﴾ وهي تستدعي فوراً الى الاذهان صورة حية لسفينة نبينا نوح (عليه السلام) ... ان لفظة (المشحون) تدل على سفينة تحتضن ما على متنها الى حد الامتلاء والاشباع .. اعداد هائلة من الدواب محمولة ومشحونة في الفلك !
وينسحب المعنى ذاته الى موضع آخر من القرآن الكريم ، إذ وصف الله عز وجل الفلك الذي ابحر فيه يونس (عليه السلام) بانه مشحون ، ولذلك اضطر ركابه الى التخلص من جزء من حمولته البشرية :
﴿ **وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ • إِذْ أَبَقَ إِلى الفُلْكِ المَشْحُونِ • فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ المُدْحَضِينَ •** ﴾
الصافات ١٣٩ ــ ١٤١

■ هناك اكتشافات جيولوجية تدعم فكرة أن المياه غمرت كامل الارض في وقت من الاوقات ، فهناك أجزاء من هياكل حيوانات من فصائل وانواع مختلفة وُجدت داخل شقوق أرضية عميقة في أنحاء عديدة ومتفرقة من العالم ، والطوفان هو أفضل تفسير لكيفية حدوث هذه الشقوق التي تم اكتشافها حتى في تلال عالية يصل ارتفاعها الى ٣٠٠ ــ ٤٠٠ قدماً ... وكان تحليل الكالسيوم الذي يغلف عظام الحيوانات قد أثبت ان جميعها كانت غارقة تحت المياه .

■ لم يعرف التاريخ قصة اوسع انتشاراً ولا اطول بقاءً وامتداداً عبر الزمن من قصة الطوفان الذي اغرقت مياهه كل الارض ، فمن قال اذن ان الشعوب والامم لا تعرف شيئاً عن القصة فيما حفظته سجلاتها وذاكرتها الموروثة ؟! ... القصة موجودة ومدونة لديهم جميعاً ، وإن تباينت تفاصيلها واختلفت اسماء شخوصها .. من شعوب استراليا والصين

والهند وبابل ومصر واوربا واسكندنافيا وافريقيا والامازون ، وحتى الهنود الحمر والقبائل القاطنة في جزر المحيط الهادي ... كل الثقافات تروي الحادثة ذاتها : طوفان عظيم غطى الارض في زمن سحيق ، ورجل صالح بنى سفينة لينجو بأهله ورفاقه من الغرق .

والله اعلم .

○ ○ ○

هدأت العاصفة ، والقى المؤمنون نظرة الى ما حول السفينة . كانت الاجواء رائقة برغم كل مشاهد الخراب التي خلفها الطوفان . بدت لهم الدنيا كمريض أفاق لتوه بعد أن انهكه طول المعاناة من نوبات الصرع والتشنجات .. ترجلوا من السفينة ، وما ان استقرت أقدامهم على اليابسة حتى ملأهم احساس غامر بالسلام والاطمئنان ، لقد انتهى ذلك الكابوس المظلم أخيراً وأزيحت عن كاهل الارض كل صروح الشر .. بل ، وتم اقتلاع جذورها اقتلاعاً ... كانوا موقـنين أن أعباء ومسؤوليات جسيمة قد القيت على عاتقهم جميعاً ، فاذا كان الطوفان قد أحدث كل هذا الذي أحدثه من فوضى ودمار في كل مكان من العـالم ، فان المطلوب منهم حتماً التحرك في كل اتجاه ، لتنطلق عمليات الترتيب والتوظيب والبناء ، واقامة حياة عامرة في الارض على أسس صحيحة وسليمة ..

كان ذلك تحدياً بالغ الصعوبة ، ولعل أصعب ما فيه أنهم كانوا يفتقرون في تلك اللحظات الى كل الوسائل والادوات والمكائن اللازمة لعمليات البناء والاعمار ، فكل هذه الاشياء لم تعد متوفرة كما كانت من قبل !

لقد شكلت واقعة الطوفان نقطة تحول فاصلة في طبيعة الحياة على سطح الارض . ويمكن القول انها تسببت في فقدان أحد العنصرين المطلوبين لتحقيق معادلة التقنية : العلم وموارد الطاقة ... واذا كان الناجون من كارثة الطوفان قد عايشوا في السابق مظاهر التقنية ومنتجاتها ، وكانت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم ، وربما كان منهم من تلقى علومها وعرف اسرارها وامتلك فكرة لا بأس بها حول كيفية صناعتها واستغلالها وتحويلها الى وسائل واجهزة فعالة ... فان العنصر الثاني من المعادلة صار مفقوداً !

لقد تسببت مياه الطوفان في افساد موارد الطاقة التي عرفوها ودرسوا عنها وألفوا وجودها في السابق !

[ومن المؤكد أن تلك الموارد كانت شيئاً آخر غير النفط الذي عرفناه واستخرجناه واستثمرناه في حضارتنا المعاصرة !] .

وعلى كل .. كان لابد للارادة الانسانية أن تتسلح بالايمان ، وان تتحرك وتعمل في نشاط محموم لتعوض ما فات وتبذل جهدها لتختصر الوقت والمسافات ، حتى لو كانت محرومة من كل وسائل التقنية ..

سيخوض المؤمنون معترك حياة أصبحت بين ليلة وضحاها بسيطة وبدائية في شؤونها وتفاصيلها ، بعد ان اعتادوا طوال السنوات الماضية ان يعتمدوا على الادوات والمبتكرات المتقدمة والمتطورة !

ودبّت الحركة في عالم ما بعد الطوفان .

ومن جبل الجودي ، حيث رست السفينة واستقرت برحمة الله سبحانه ورعايته ، بدأت البقية الباقية من العرق البشري بالانتشار في أرجاء الارض ، ولربما كان الجودي واقعاً في منطقة ما من السلاسل الجبلية الموزعة بين العراق و ايران وتركيا ــ تراوحت في ذلك الاجتهادات ولم تتوصل الى يقين حاسم ... وأينما كان موقعه من العالم ، فان نوحاً (عليه السلام) توجه بأهله وأولاده الى مكة المكرمة ، حيث سيقوم باعمار البيت الحرام ... وهناك ستنشأ النواة الصالحة للذرية البشرية ، كما بدأت مشوارها اول الامر في عهد نبي الله آدم (عليه السلام) .

يقول تعالى :

﴿ **وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ • وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ • وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِينَ • وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ • سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ •** ﴾ الصافات ٧٥ ــ ٧٩

إنه من تقدير الله سبحانه ان جعل من عبده نوح (عليه السلام) المصدر الوحيد للذرية البشرية من بعده ، فمن نسله حصراً ستتكاثر الانسانية بعد الطوفان وتنشأ الحضارات وتتفرع الشعوب والامم حتى آخر الزمان .. ستتكون مجتمعات ودول تسير على نهج الايمان السليم وتنالها بركات من الله تعالى ، وستتكون في المقابل مجتمعات ودول كافرة ستنال حظها من القوة والازدهار في الارض ثم يلحقها العذاب الاليم ..

﴿ **قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ •** ﴾ هود ٤٨

نوح (عليه السلام) هو الاب والجد لكل البشر الموجودين اليوم في الارض .. هو الاب الثاني للبشرية بعد آدم (عليه السلام) ... وهو بطبيعة الحال الاب الثاني للعرب .

نلمح في الآية الكريمة صيغة التوكيد اللغوي بما لا يقبل الشك :

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِينَ • ﴾ الصافات ٧٧

[وبقاء ذرية نوح (عليه السلام) واستمرارها يومئ بشكل واضح ودامغ الى عالمية الحدث ، أي الطوفان وغرق القوم الكافرين وبقاء التناسل بعدها محصوراً في ذرية نوح ، فلو لم يكن الطوفان شاملا في اغراقه للبشرية لما جاء اللفظ القرآني لبقاء الذرية بصيغة التوكيد] .

○ ○ ○

الطوفان !!

نحن امام حدث تاريخي كبير بكل المقاييس .. آية من آيات الله التي أراد سبحانه ان يبقى ذكرها خالداً على مر الازمان . واذا كنا قد تحدثنا عن تغييرات ناتجة عنه على المستويات السكانية والجغرافية ، فان تغييرات جوهرية نتجت كذلك في نطاق الارض وطبيعة الكون المحيط بها !

تغييرات غير مرئية بالنسبة للانسان العادي ، لكن تأثيرها كان فادحاً على جنس آخر من الكائنات ، ذلك ان الطوفان قد أدى الى توليد اضطرابات مفاجئة في حقول الطاقة الكهرومغناطيسية ، ولعل كمياتها انخفضت انخفاضاً حاداً في اجواء الارض ... وترافق هذا مع التدمير الذي لحق بكل الاهرامات والمسلات المقامة في مواقع متفرقة من العالم ، إذ تهدمت جميعها ولم يبق لها أثر ، وكانت المحصلة ان انقطع التواصل Contact بين عالمي الجن والانس .. لم يعد كما في السابق ، وصار تجسد الشياطين مادياً وانتقالهم الى العالم المحسوس عملية بالغة التعقيد !

كان معنى ذلك ان جداراً سميكاً قد ارتفع ، حائلاً دون أن تواصل الاخوية في عالم الجن مؤامرتها الشريرة ضد بني الانس .. ولم يبق لها بعد ذلك من ثغرة أو منفذ الا استخدام سلاحها القديم : الوسوسة ، تشهره في آذان وعقول من يستمع لها ويضعف لمغرياتها !

كان هذا تراجعاً مؤقتاً لمخططات قوى الشر في الارض . وفي ظل السلام عاش من بقي من البشر ، هم سكان العالم وورثته الشرعيون ، تملؤهم التطلعات لغد افضل ... كان الاسلام هو الدين السائد ، وكانت اللغة العربية هي اللسان الجامع ..

الجسد المريض استعاد عافيته .. والنظام العالمي القديم عاد الى الحياة .

الفصل الرابع

حلفـــاء الشـــر

كانت مرحلة كاملة من الصراع قد انتهت ، ومرحلة ثانية جديدة على وشك أن تبدأ .

من مركز العالم الواقع في مكة المكرمة ، كان الميلاد الثاني للجنس البشري . ابتدأ من نفس المكان الذي انطلق منه الميلاد السابق أول الامر ..

[ولقد أثبتت جميع الحسابات الرياضية والدراسات العلمية الحديثة أن مكة المكرمة تقع في وسط العالم ، وتتوزع حولها بقية اليابسة على سطح الكرة الارضية توزيعاً منظماً .. فهي اذن تمثل قلب الارض . وقد تبين للعلماء مؤخراً بعد سلسلة طويلة من الاختبارات والقياسات انها تمثل كذلك نقطة تلاقي الاشعاعات الكونية] .

ومن ذرية نوح (عليه السلام) ، أبناءه الناجين الذين حملهم معه على متن الفلك ، ستنشأ السلالة المسلمة في عالم ما بعد الطوفان ..
﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً • ﴾ الاسراء ٣

وبحكم ما كان موكلاً اليهم من مهام تقتضي نشر الاسلام وعبادة الله الواحد الاحد في أرجاء الارض ، فان طلائع الهجرات البشرية تحركت من المركز ــ مكة المكرمة ــ على شكل دائرة اخذت تتوسع الى ما حولها ... الى العراق والشام واليمن ومصر ، ممتدة بعد ذلك الى القارات والمساحات الابعد في العالم .

ولابد أن رحلة الجيل الاول بعد الطوفان لم تكن سهلة على الاطلاق ... انتقلت حياتهم انتقالاً جذرياً ــ أشبه بالصدمة ــ من عالم الى عالم آخر نقيض ، على نحو ما يروى في قصص وأفلام الخيال العلمي عن رحلات السفر عبر الزمن .. فبعد الاعتياد على أدوات ووسائل متطورة تمنح لمستخدميها ترفيهاً مريحاً يصعب الاستغناء عنه ، صار محتماً ان يلجأ المجتمع الناشئ الى أدوات ووسائل بديلة وشديدة البدائية بعد ان فقد كل التسهيلات التي قدمتها له التقنية السابقة !

هكذا ... افراد عاشوا وعرفوا مظاهر التقنية ، السيارات والطائرات والحاسبات والهواتف والساعات واللاسلكي والكهرباء و ... و ... ثم اختفى هذا كلياً في طرفة عين ولم يعد له أثر ، واذا بمظاهر المعيشة تتبدل من حولهم الى أشياء أكثر بساطة ، اكواخ الطين والعربات والخيول والزوارق الخشبية والفؤوس والرماح والاقواس و ... !

وربما نتصور أن ذلك الجيل الاول كان يستذكر بين الحين والآخر شطراً من مشاهداته ومعلوماته عن الحضارة السابقة ، يحكي عنها قصصاً لاجيال لاحقة فتحوا عيونهم على الحياة دون ان يعرفوا شيئاً عن ذلك كله سوى بصيص من خيالات وصور غير مكتملة نتجت عما كان يرويه الآباء ويرسمونه لهم على جدران الكهوف !

[ولقد عثر خبراء الآثار على نقوش من هذا القبيل داخل العديد من الكهوف في انحاء متفرقة من العالم . وأشهرها كهف يقع ضمن سلسلة جبال تاسيلي على الحدود الليبية الجزائرية ، ويعود تاريخها ــ بحسب تقديرات العلماء ــ الى عشرين ألف سنة ... تمثل النقوش صوراً مرسومة لسفن فضائية وطائرات ورواد فضاء ورجال يرتدون ملابس للغوص !] .

وربما احتفظ الجيل الاول بما تسنى له حفظه من علوم ومعارف ــ على هيئة سجلات ورقية أو كتابات على ألواح الطين ــ بانتظار ان تحظى الاجيال التالية بموارد جديدة للطاقة تعوض ما فات وتستعيد امكانيات التقنية الضائعة !

ربما كان الامر كذلك ، وربما لم يكن !

والمهم ان المسيرة الانسانية استمرت برغم كل شئ ، يحتضنها عالم يخلو من التعقيدات وينعم بهدوء لم تعرفه الحياة أواخر العهد السابق ... حالة سلام ، أو هدنة مؤقتة استمرت شهوراً واعواماً ، وربما قروناً من الزمن ، وهي بالطبع هدنة لم يتفق اطراف الصراع على عقدها فيما بينهم ، وانما حتمتها ظروف ما بعد الطوفان .

ظروف .. انقطعت بتأثيرها امكانية الاتصال بين عالمي النور والظلام .

○ ○ ○

في عالم الظلام ، كان الاحباط قد بلغ مداه !

عاد ابليس ادراجه مع فلول اتباعه من شياطين الاخوية الى حيث قلعته الحصينة وسط البحار والمحيطات .. انها المرة الثانية التي يعود فيها خائباً مقهوراً الى معقله الآمن بعد هزيمة نكراء ..

[وقعت الهزيمة الاولى في عهد الجيل الرابع بعد آدم (عليه السلام) ، وتحديداً في زمن الملك مهلائيل الذي قيل انه الذي بنى مدينة بابل ــ وبابل كلمة عربية مركبة ، وتعني باب الإله استناداً الى الروايات التاريخية الشائعة ... وفي عهد مهلائيل قامت أعداد كبيرة من الشياطين بالتجسد علناً في الارض على أوسع نطاق عرفه التاريخ ، ثم حشدت جيشاً عظيماً لغزو الارض بقيادة ابليس نفسه ،

فتصدى لهم مهلائيل بجيش من الانس .. وعلى حدود بابل دارت معارك طاحنة ورهيبة بين الفريقين ، حتى أمعن مهلائيل وجنوده في قتل الشياطين وتمكنوا من دحرهم ودفعهم بعيداً الى أطراف الارض .
المصدر ــ البداية والنهاية ، ابن كثير : الجزء الاول] .

وكان على ابليس ان يعيد حساباته من جديد ..

كان عليه ان يقوم بعملية (اعادة تنظيم) واسعة في جماعة الاخوية ، تعيد استنفارهم لمواصلة الصراع ضد الجنس البشري بقسوة وعناد يفوقان ما كان في السابق ..

ويمكن القول عموماً ان الاستنفار حالة دائمة في مملكة ابليس وما فيها من مؤسسات في عالم الجن ... حركة نشطة لا تكل ولا تمل . وتفيد بعض الاخبار بأن اعداد الشياطين محدودة بالقياس الى ما هو مطلوب منهم من اعمال شريرة وضارة بالانسان ، ولذلك تنعدم الراحة فيما بينهم . فالاعمال تتوزع عليهم جميعاً وهم مرغمون على تأديتها مهما تباينت مسؤولياتهم ومراتبهم وطبقاتهم ضمن التسلسل الهرمي للاخوية الشيطانية ، الرؤساء والفلاسفة والنبلاء والموظفين والحثالة .. فلا يوجد هناك مكان لعاطل أو متسكع ..

والغالب ان مراكز الدراسات في الاخوية كانت مشغولة في ذلك الوقت برسم خرائط جديدة لمجالات الطاقة الكهرومغناطيسية التي تغيرت مواقعها الاستراتيجية في الارض بعد حادثة الطوفان . وكان واضحاً ان ذلك التغيير لم يكن مقصوراً على توزيع المواقع جغرافياً فحسب .. فالعامل الزمني أصبح له دور مهم في انتشار الطاقة وتركيزها !

إن تواجد الطاقة بكميات كبيرة او صغيرة في أي مكان اصبح مرتبطاً بمواقيت فلكية محددة في السنة الواحدة .. هذا هو القانون الجديد الذي ستخضع له الشياطين من الآن فصاعداً دون ان تستطيع مخالفته إلا نادراً ، فالحصول على ما تحتاجه من طاقة سلبية يتطلب أن تتوافق حركة الارض والكواكب والنجوم في مدارات ومواعيد معينة .. هذا التوافق المعقد هو الذي يتحكم في توفير كميات الطاقة وبالتالي يعزز قوة الشياطين !

والى جانب ذلك ، فان عنصراً ثانياً كان لازماً توفيره لاستكمال احتياجات الشياطين من الطاقة السلبية ، ألا وهو الاهرامات !

ثم يبقى عنصر ثالث أهم : الانسان ، اذ تتوقف قدرة الشياطين على ما يرتكبه الانسان من المعاصي والمحرمات التي تنشط بدورها مستويات الطاقة السلبية !

وكانت المشكلة الاساسية التي واجهت علماء الاخوية في عالم ابليس هي : كيف يمكنهم حث البشر على مثل هذه الاعمال ، خاصة بعدما انقطعت سبل التواصل Contact مع العالم المادي ؟! .. إن الوسوسة لا تكفي في مثل هذه الحالة . انها وسيلة شيطانية تؤدي دورها في دفع البشر الى اعمال من قبيل الكذب والاحتيال وشرب الخمر والزنا والسرقة

والغدر والقتل ... وحقاً انها اعمال فاسدة وشريرة ، لكنها لا تعطي ترددات ذات مستويات عالية للطاقة السلبية !

معضلة اخرى كانت تشغل تفكير الاخوية وتؤرقها ، فتحقيق الصورة النهائية لمشروعها في الارض يتوقف على ما تضعه من أساسات تسبق قيام المشروع وتمهد له أرضيته ومقدماته وظروفه ، وليس هناك من يصلح لمهمات التمهيد والتأسيس سوى من تجندهم الاخوية الشيطانية من بني البشر . ولقد سبق ان اطاح الطوفان بكل الاتباع السابقين مع ما اطاح به من كيان الامبراطورية الاطلسية التي كانت تمثل أساسات المشروع الشرير أو ما يسمى بـــ (عمل السنوات العظيم) !

[والى يومنا هذا تطلق الاخوية على برنامج عملها الاسم ذاته : عمل السنوات العظيم !] .

الآن ، كل الخطوط تقطعت ، وامكانية التجنيد غابت تماماً .. وكان السؤال المطروح في عالم ابليس : كيف يمكن التوصل الى طرق ووسائل بديلة لتجنيد جيل جديد من البشر في صفوف الاخوية لخدمة المشروع الشيطاني ؟

ولقد انقضت سنوات وأزمان دون ان تتوصل الاخوية الى حلول تعالج ما يعترض مشروعها من مشاكل ومعضلات ..

كان الوقت يمر . وكانت الاوضاع معلقة على حالها دون تغيير ، وكانت المسالك والمنافذ الى عالم الانس شبه مسدودة ، إلا من بعض الثغرات والاستثناءات ..

ثم كان من تقدير الله تعالى وحكمته سبحانه ان يعيد لصراع الخير والشر دورته في الارض .. واذا بالحواجز تزاح ، وتنفتح المسالك بين اشرار الجن والانس وفقاً لضوابط وقوانين جديدة !

○ ○ ○

على أرض بابل ، هبط اثنان من الملائكة . وكانا يدعوان هاروت وماروت .

[وقصة نزول هذين الملكين الى الارض ــ مع ما اعقبها من ملابسات ومواقف واخبار ــ اختلف العلماء والباحثون في تأكيدها او إنكارها . ولست انوي أن اتيه في تفاصيلها في العموم ، فهي خارج نطاق هذا البحث !] .

يقول تعالى :

﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ١٠٢

لقد عهد الله اليهما بمهمة خطيرة ، إذ سيقوما بتعليم من يرغب من بني آدم علماً ذا طبيعة خاصة ومميزة ، تختلف عما سواها في بقية العلوم والمعارف .. وسيشكل هذا ابتلاءاً عظيما للعباد واختباراً جدياً لايمانهم بالله عز وجل .. والثمن المطلوب قبل تلقي دروس العلم الجديد هو الكفر بالله سبحانه !!

ليس هناك مجال للمساومة . فتسديد الثمن يسبق التعليم ... يتخلى الطالب عن إيمانه بالله سبحانه ويعلن مخلصاً كفره وولاءه للشياطين ، ثم يغدو مؤهلاً تماماً لتلقي الدروس من الملكين واستيعاب ذلك العلم الغريب !

وذاع خبر هاروت وماروت في بابل ، وربما جاوز خبرهما الى ما حولها من الاراضي والاقاليم في العالم آنذاك . وصار معروفاً بين الناس انهما يعلمان **السحر** .. علم خاص يتضمن مجموعة من الاجراءات المركبة والطقوس الشاذة ، والتي تتطلب من صاحبها جهداً جهيداً ، ليتاح له في النهاية الاتصال عملياً بعالم الشياطين .. وبفضل ما سيتعلمه من التعاويذ والتعابير فانه سيكون قادراً بدرجة ما على ان يأتي افعالاً عجيبة !

سيتمكن الساحر ــ وهذا هو اسمه بعد ان ينهي تعليمه ويصبح ممارساً للسحر ــ من تسخير القدرات الفائقة للشياطين ... سيستفيد من سرعتهم الفائقة في تسقط الانباء له من اماكن بعيدة ، وسيوظفهم في اعمال تؤثر على نحو كبير في أبصار الناس الذين سيبدو لهم الساحر وكأنه يقوم باعمال غير مألوفة في عالم الانس ، كالطيران والاختفاء وتمويه الاشياء وقراءة الافكار وتحويل الجماد الى حيوانات تدب وتتحرك وغير ذلك !

اعمال وهمية وغير حقيقية ، لكنها ستبدو لمشاهديها وكأنها معجزات خارقة !

وبقدر ما سيخلص الساحر ولاءه للشياطين ويتقن دوره امام الناس ، فانه سيتوصل الى التأثير على مشاعرهم ووجدانهم ، وهذا التأثير في كل الاحوال لن يكون تأثيراً طيباً .. سيتلاعب الساحر بعواطفهم وينشر بينهم الخوف والبغض والكراهية !

واختلفت الدوافع فيمن جاؤوا الى هاروت وماروت يريدون تعلم السحر ، بعضهم جاء بدافع الفضول أو الولع بما هو غريب ومبهم ، وآخرون بدافع اكتساب قدرات جديدة لا ينالها احدهم في العالم المعتاد .. على أن هاروت وماروت لم يكونا يقدمان دعاية للترغيب

بالسحر من أي نوع ، كانا ينهيان عن تعلمه أشد النهي ، وينذران كل قادم اليهم : انما نحن فتنة وابتلاء ، فاياك ان تكفر .. أولى بك ان تحافظ على إيمانك وتعود من حيث اتيت ، لن تجد في السحر ما ينفعك ، فضرره أكثر من نفعه . واذا كنت مصراً على بيع دينك وآخرتك من اجل تعلم السحر فاعلم أنه لا حظ لك في الآخرة .

ويتكرر المشهد نفسه مع كل شخص يأتيهم . لكن عدداً من الاشخاص أصروا على تعلم السحر ، ولم تجد معهم كافة النصائح والتحذيرات ، وارتضوا في نهاية الامر ان يدفعوا الثمن اللازم للتعلم : الكفر بالله عز وجل !

[ومن أشير اليهم ليسوا جميعاً من الرجال بالضرورة .. فبعض من أقدموا على هذه التجربة ـــ تعلم السحر ـــ كانوا من النساء !] .

استوفى هؤلاء الشرط المطلوب .. وضعوا أقدامهم على أول طريق الشر ، وكانوا بمثابة الرعيل الاول من تلاميذ مدرسة السحر عند هاروت وماروت ... وبدأ الملكان تعليمهم أصول العلم الجديد الذي راحت معالمه تتكشف مع توالي الدروس وتراكم المعلومات ..

تعرف التلاميذ على كل ما يخص السحر ، اسراره واقسامه واساليبه وفنونه وخدعه وتأثيراته .. تلقوا بادئ الامر دروساً في الخيمياء ـــ وهي شئ مختلف عن النهج العلمي للكيمياء الحديثة رغم التشابه الظاهر في اللفظين ... الخيمياء هي طراز من المعرفة تجتمع فيه لائحة طويلة من قوانين الفيزياء والرياضيات وأصول التفاعلات الكيميائية ، بالاضافة الى كم كبير من الحقائق الفلكية عن حركة الكواكب والنجوم .

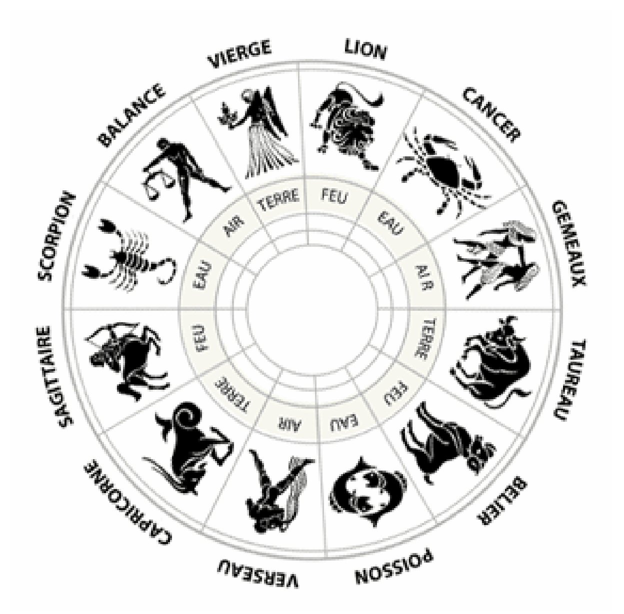
الخيمياء علم واسع يتفرع ويتشعب الى علوم متعددة .. فيحتاج طالب السحر أولاً الى دراسة عميقة للارقام والرموز والمعادلات الجبرية ، لان فهمها سيكون الاساس فيما بعد لاجراء الحسابات وفك الشيفرات المعقدة المتعلقة بالتعاويذ السحرية ...

تأتي بعد ذلك قوانين الفيزياء ، فمن خلال الاطلاع على اسرار الظواهر الطبيعية في الكون يمكن للساحر ان يمارس ويبتكر بعض الالعاب والفنون التي يظنها العوام اعمالاً سحرية فذة ، رغم انها لا تعدو كونها استخداماً بارعاً (للفيزياء المسلية) ، يتقنه الساحر ويجهله الآخرون ..

هناك أيضاً أصول واسرار الكيمياء . يتعلم طالب السحر خصائص العناصر وكيفية التعامل معها والتحكم بتفاعلات المواد والمركبات ... انها معرفة ضرورية يحرص طالب السحر على الاحاطة بها ، نظراً لما تحتاجه طقوس استدعاء الشياطين من تعامل دقيق مع مختلف المواد الحساسة التي قد ينتج عنها تفاعلات وآثار خطيرة اذا لم يكن الساحر خبيراً كفاية في التعامل معها ... ثم ان الالمام بالخواص العضوية للعناصر يتيح للساحر ان

يمارس سحراً وهمياً امام البسطاء والسذج ، كما يحدث ــ على سبيل المثال ــ حين يراه هؤلاء يتمتم بكلمات غير مفهومة ليحرق امام انظارهم منديلاً دون استخدام النار ، وفي الحقيقة فانه يعمد الى استخدام الفسفور الابيض الذي يشتعل تلقائياً في الهواء حين يتحد مع الاوكسجين .

وتبحث دروس الخيمياء في بحر واسع من المعرفة الفلكية المتقدمة .. معلومات عن دوران الارض وسير الاجرام المساوية ومداراتها ، والتغييرات والتأثيرات المتبادلة في حقول الطاقة الكهرومغناطيسية ... بالاضافة الى معلومات عن كيفية توافق هذه الاشياء مع بعض المواقيت التي تنشط فيها القدرات الشيطانية . ويتم ترتيب هذا كله ــ الافلاك والمواقيت والاشهر والفصول ــ على شكل تقويم من الرموز يُعرف بـــ (دائرة البروج) أو الزودياك Zodiac !



استناداً الى هذا التقويم ، تتوزع حقول الطاقة السلبية تبعاً لمسارات سبعة من الاجرام السماوية : الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل .. ومع تواجد كل جرم منهم في موقع ومدار معين من الكون فان واحداً من كبار الاخوية الشيطانية يكون في ذروة قوته ونشاطه ، وبالتالي يصبح قادراً على التواصل مع أتباعه من السحرة .

[وهكذا تعرف ان زاوية الابراج او (حظك اليوم) المنشورة في معظم المجلات والصحف اليومية ليست مجرد تسلية بريئة .. انها بمثابة وسيلة تعريف لجزء مهم من الثقافة السحرية وما يؤمن به أرباب السحر من قوة الشياطين وفقاً لتقويم الزودياك !] .

○ ○ ○

وتتوالى دروس هاروت وماروت ، وتتقدم بالتلاميذ الى جوانب اكثر صعوبة .. إذ تتناول الدروس الجديدة وسائل الاتصال بالعالم الغيبي .. عالم الجن !

كل مافات كان مجرد مقدمات .. الرحلة الحقيقية في عالم السحر تبدأ من الآن . يكون الطالب قد وعى تماماً كافة الدروس الاساسية وباع نفسه نهائياً للشيطان !

بداية ...
على من يزاول السحر ان ينتخب الظروف الملائمة لمقابلة الشيطان ، مسترشداً بما يعرفه عن سير الكواكب والنجوم التي تحدد مواقعها ومداراتها شدة أو ضعف الطاقة الكهرومغناطيسية اللازمة لتجسد الشياطين ..

تنجح الشياطين في التواصل البعدي مع الساحر في أيام واوقات معينة ، ولا تنجح في أيام واوقات اخرى . وينطبق النظام ذاته على اختيار مكان اللقاء ، فمقادير الطاقة الكهرومغناطيسية تتركز في مواقع واحداثيات معينة من الارض ، بينما تصبح ضعيفة او مشتتة في مواقع واحداثيات اخرى ، ولا تساعد بالتالي الشياطين على التواصل أو التجسد في العالم المحسوس !

ويستعين الساحر كذلك بجداول تحمل أسماء الشياطين مع بعض التفاصيل المتعلقة بكل واحد منهم ، درجاتهم ومواصفاتهم والشروط اللازمة لاستدعائهم !

وتحين لحظة اللقاء المرتقب بين البعدين أو العالمين ... كل ظروف الزمان والمكان مهيأة لاتمام هذا الاجتماع بين الساحر والشيطان ..

وتبدأ المراسيم السحرية .

يتواجد الساحر بمفرده ليلاً في ركن خالٍ ومعزول ، كأن يكون في أحدى الخرائب أو الامكنة المهجورة والموحشة ، أو حتى في حجرة مقفلة ومظلمة داخل منزله .

[تقام الطقوس في الليل ، حين يكون حقل الطاقة الكهرومغناطيسية مستقراً . فخلال النهار تكون الاشعة مشتتة ، مما يثير الاضطراب في حقل الطاقة ويجعل الاتصال بين الابعاد يزداد صعوبة .. وتكون لحظات الكسوف أو الخسوف الكلي هي أكثر اللحظات استقراراً ، ولذلك حرص عبدة الشيطان فيما بعد على اقامة احتفالاتهم الهامة في تلك الاوقات لاستحضار شياطينهم وإظهارها] .

يخلع الساحر جميع ملابسه ويجلس عارياً فوق الارض كما ولدته أمه ، فهذه هي احدى الشروط الرئيسية لاجراء المقابلة .. يوقد الشموع ، ويرسم حوله على الارض تشكيلة منتقاة من الرموز الشيطانية ـــ دوائر وأشكال هندسية تختلف باختلاف الشياطين المراد استدعائها ...

يحضر الساحر معه مسبقاً مجموعة متنوعة من المواد والاغراض ، لكل منها هدف محدد . وبعد التأكد من توافق الوقت مع الساعة الفلكية المحددة ، يباشر بمزج الكيميائيات التي ستشتعل وتتصاعد منها بخور تملأ هواء الحجرة بروائح فاسدة وكريهة ..

ثم تبدأ مرحلة تقديم القرابين .

يلتقط الساحر من بين أدواته سكيناً حادة ويستعد لذبح حيوان ذي مواصفات معينة تحددها له نصوص وتعليمات السحر .. قد يكون هذا الحيوان جرذاً أو سنجاباً أو حمامة أو غراباً ، وقد يكون دجاجة أو ماعزاً أو خروفاً ... كلما ضحى الساحر بقربان أكبر حجماً فان قوة السحر الذي تمنحه الشياطين تزداد هي الاخرى . وغالباً ما تكون هذه القرابين سوداء لان الشياطين تفضل اللون الاسود ..

يتصاعد دخان البخور .. ويردد الساحر بصوت عال تلاوات من مجموعة مختارة من العبارات والكلمات الغامضة التي يعرف الساحر مسبقاً ان عليه أن يتلفظ بها وفقاً لطريقة خاصة . انها طلاسم السحر التي لا يفهم معناها إلا الساحر الذي تمرّس في عمله وحفظها عن ظهر قلب !

[وهكذا جرت العادة بين الناس على اطلاق تعبير (الطلسم) على كل صيغة أو كتابة يحتار الشخص العادي في معرفتها ويعجز عن فهمها أو حلها !] .

ومع تكرار التلاوات أو الطلاسم يستعمل الساحر سكين الذبح ليسفك دم القربان دون ان يذكر اسم الله عليه .. ينزف الحيوان الدماء بينما يوجه الساحر نداءه الى الشيطان :
((أناشدك أيها الشيطان العظيم مساعدتي في هذا العمل . أعدك بالخضوع لمشيئتك والامتثال لجميع اوامرك . كن مساعدي ، حتى يكون في هذا الدم القوة والفاعلية في كل ما أتمناه ، وفي كل ما أطلبه)) .

وما يزال الساحر يلح ويستعطف متقرباً الى الشيطان ، وهو يلطخ نفسه بدم القربان :
((أيها الشيطان العظيم . أرجو ان تجدني جديراً)) .

ويبادر كذلك بنثر الدم حوله على الارض ... إن الدم المسفوك يحرر كميات كبيرة من الطاقة الكهرومغناطيسية . ومازالت جزيئات هذه الطاقة تتكاثف وتتجمع في المكان ، واستمرار الشعائر الكفرية للساحر هو الذي يجتذب الشكل السلبي للطاقة .

[استناداً الى كتابات السحرة ، يعتبر كل كائن حي مخزناً للطاقة التي تختلف من حيث الكمية باختلاف حجم الحيوان وصحته . وعند موت الحيوان تتحرر هذه الطاقة منه بشكل مفاجئ !] .

ويلح الساحر في إنشاد ترانيمه العجيبة لتبجيل الشيطان والثناء عليه ... ويواصل الحيوان النزيف ، فيما يجمع الساحر الدماء المراقة في كأس معدنية موضوعة تحت القربان .. ومهما كانت الطقوس تزداد دموية وبشاعة فعلى الساحر ان يتظاهر بالنشوة لانه يعلم أن الشيطان يراقبه ويضعه تحت الاختبار في تلك اللحظات ، فهو يريد التأكد من ولاء الساحر واخلاصه !

ويقاوم الساحر الانهاك الذي يعتريه ، ويعيد توسلاته دون كلل ، ويستعطف ويستغيث .. يقسم بأسماء الشياطين ويستعيذ بهم ، وينغمس أكثر في الطقوس المروعة !

واخيراً .. يحمل كأس الدم في يده ويرفعها الى شفتيه ، ليشرب ما فيها ويتجرعه الى النهاية !

[نتحدث هنا عن النموذج الابسط من الشعائر السحرية لاستحضار الشيطان . ثمة نماذج تثير الاشمئزاز أكثر ، فقد يحدث ان يسبق الساحر عمله بتناول جرعة عالية من المخدرات ، ولا يتوانى عن القيام بالرقص على نحو همجي وممارسة التعذيب الذاتي لجسده ... الخ !] .

ومع تراكم الانفعالات الانسانية للساحر ، كالذعر والكره والحقد ، يبلغ حقل الطاقة السلبية مستوياته الملائمة ، لتنفتح ما يعرف بالبوابة The Gate .. انها الباب الذي يصل عالمي الجن والانس في تلك اللحظة !

ومن خلال هذه البوابة ، يعبر الشيطان من عالم الظلام الى عالم النور ، ليتجسد امام الساحر . وربما يظهر على هيئة بشرية ، أو يتخذ شكل كلب او ضفدع او ثعبان ... وفي أحيان اخرى يتمثل بهيئة أحد المخلوقات الخرافية ، مخلوق نصف انسان ونصف حيوان !

[يمكنك بالطبع ان تلقي نظرة على نماذج من الاشكال الغريبة التي تتشـكل بها الشياطين أمام اتباعها ، وتجدها في كافة التماثيل والرسوم التي زينت معابد الحضارات العريقة في بابل ومصر والصين والهند وأمريكا ... كالثور المجنح وأبو الهول والانوناكي والمينيتور والحوريات وغيرها ، انها صور (الآلهة) التي عبدها القدماء في تلك الحضارات !] .

○ ○ ○

انها لحظة المواجهة المباشرة بينهما ... الساحر والشيطان !

ما الذي يدور عادة في اللقاء الاول بينهما ؟

يثني الشيطان على الساحر لكونه قد أصبح لائقاً لمزاولة الاعمال السحرية ، ويأمره بالالتزام بما جاء في كتب السحر وان يتبع قواعدها بحذافيرها . كما يبشره بحتمية النجاح المرتقب له في الحياة اذا ما واصل طريقه على هذا النحو ، فالشياطين ــ هكذا يقول له ــ هم مصدر النفوذ في العالم ، وهم القوة المتحكمة في الكون !

ثم يتفقان على تنسيق خطواتهما المقبلة ، وأهم هذه الخطوات هي أن يبرما عقداً مكتوباً يحدد اطار العلاقة القائمة بينهما على اساس الهدف المشترك لكل منهما : إلحاق الاذى والضرر بأكبر عدد من بني آدم !

نحن نتحدث هنا عن عقد حقيقي وليس مجرد خيال .. وهو من اغرب العقود التي يمكن ان يبرمها طرفان بينهما لاغراض معلومة !

[قد يكون العقد مكتوباً بلغة سرية أو شفرة متفق عليها سلفاً ، ولا يجيد ترجمتها او حلها إلا أصحاب الشأن انفسهم : الساحر والشيطان !] .

يتكون العقد من نسختين . يحتفظ الساحر بنسخة واحدة لديه ، فيما تبقى النسخة الثانية مع الشيطان ..

في هذا العقد ، يتعهد الطرف الاول ــ الساحر ــ بالآتي :

- أن يبيع نفسه وروحه وكل ما يملك من مال وعقار ومتاع الى الشيطان .
- أن يتبرأ من دينه ومن جميع الكتب السماوية وأن لا يرتاد أبداً أي دار او محل للعبادة .
- ان يكون له من العناد والاصرار والتمسك الراسخ بعقيدته الشيطانية ، حتى ولو عانى في سبيلها أقسى ألوان التعذيب والمهانة .
- أن يكون صفيقاً ، خبيثاً ، عديم الحياء والضمير ، لا يعترف بالرحمة ولا بغيرها من الاحاسيس الانسانية النبيلة .
- أن لا يكون نظيفاً ، ولا يعرف معنى النظافة .. ولا يمسه الماء او الصابون أو غيره من أدوات النظافة ، وعليه ان يعتاد التعامل دائماً مع الاوساخ والقذارات .
- أن تهوى نفسه كل شائن وقبيح . وأن تعف عن كل ما هو جميل .
- أن لا يضجر أو يبدي تذمره اذا ماطل الشيطان في مساعدته او منعها عليه في بعض الاوقات . وان يلح بكل قوته في طلب هذه المساعدة .
- أن يبذل اقصى جهوده في تطوير اعماله السحرية ولا يكتفي بما تعلمه من نصوص ومعلومات عن السحر ، بل يثابر على مطالعة المزيد منها .
- أن يعتقد اعتقاداً راسخاً في قوة الشيطان واعوانه ، وان يبقى مطيعاً لاوامرهم .
- أن يكون مستعداً لارتكاب أية جريمة او معصية خلقية أو رذيلة من الرذائل ، في أي وقت يأمره الشيطان بمثل هذه الاعمال .

■ أن يقضي وقته منطوياً على نفسه ، بعيداً عن الاختلاط بعامة المجتمع ، لا يتصل او يتعامل مع احد ، إلا اذا اقتضت أعمال السحر أو أمره الشيطان بذلك من اجل الحاق الضرر بالناس .
■ أن يقدم للشيطان اولاً بأول كشف حساب كامل عن آخر انشطته السحرية وانجازاته وعدد ضحاياه ، وألا يخفي أي صغيرة او كبيرة في ذلك .
■ أن يتحمل كافة النتائج الوخيمة التي قد تصيبه في حال قيامه بمخالفة بروتوكولات السحر أو تقصيره في خدمة سيده الشيطان .

وفي المقابل ، يتعهد الطرف الثاني ــ الشيطان ــ بمنح الساحر القوة والمقدرة للقيام بالاعمال السحرية ، أو يعده بتسخير من يقوم بمساعدته من رعاع الشياطين .

وفقاً لقواعد الاتفاق ، فان الطرف الاول ــ الساحر ــ يلتزم التزاماً كاملاً بكل ما ورد من بنود وكل ما يترتب عليها من مواقف واعمال ، بينما لاتوجد في العقد اية التزامات أو شروط على الطرف الثاني ــ الشيطان ــ حتى يرجع الطرف الاول اليها في حالة اخلال الشيطان بمساعدة الساحر !

مصير الساحر يظل رهناً بقناعات الشيطان ومزاجه . ليس هناك أية ضمانات تحمي الطرف الاول من غدر الطرف الثاني .. عليه ان يقبل بهذا الوضع الى النهاية ، دون مساومة أو جدال !

وبالنتيجة .. ينتهي الامر بتذييل العقد بتوقيع الطرفين !

[وبوسعك أن تتصور طبيعة الانحطاط في شخص يوقع عقداً من هذا النوع !] .

﴿ **وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً** ﴾ النساء ٣٨

○ ○ ○

و ...
وتتقدم دروس هاروت وماروت بالتلاميذ الى مسافات أبعد في عالم السحر .

يتعرف التلاميذ الى انواع الاعمال السحرية التي تتراوح في درجاتها وأعبائها ، بين طلاسم وتعاويذ بسيطة ومحدودة التأثير ، وحتى تصل بهم الى أصعب واخطر انواع السحر ، وهو المسمى بالسحر الاسود أو السحر المظلم ..

[أريد ان اكون واضحاً معك . لم أكن متحمساً لكتابة السطور القادمة ، لكنها الحقيقة المرة ، وغالباً ما تمر معرفتها بطريق حافل بالصدمات والمآسي !] .

يطلق على هذا النوع من السحر القبّالة او الكابالا Kabbalah ، ومعنى الكلمة : القبول والتلقي .. أي ان المحترف للسحر قد وصل الى اعلى درجات القبول عند الشياطين وبذلك فانه أصبح مؤهلاً ليتلقى منهم أفضل ما لديهم من الاعمال السحرية الخارقة !

في السحر الاسود ، تبلغ الطقوس أقصى درجاتها في البشاعة والكفر الصريح والخضوع للشياطين !

لماذا تعتبر الكابالا الطراز الاخطر من السحر ؟
لان طقوسها تتضمن التضحية بدم انسان .. يُذبح ويُقدم قرباناً خالصاً للشياطين .

لا يزاول الساحر هذا النوع قبل ان يكون مستعداً تماماً . واهم ما في هذا الاستعداد ان يكون قد وصل الى مراحل متقدمة في صناعة السحر وأصبح قادراً على معالجة تشكيلة من الشيفرات والمعادلات الرياضية التي تفوق سابقاتها صعوبة ..

الكابالا عبارة عن فلسفة وثنية بالغة التعقيد من المفاهيم والتعابير والرموز الشيطانية !

ويجب على الساحر ان يتصف بدم بارد وقوة أعصاب غير مسبوقة ، فهو مقبل على ممارسة شعائر مرعبة ، فلا يجوز ان تطرف له عين اثناء تطبيقها !

السحر الاسود له طرق ومذاهب متعددة ، وكلها تعتمد على المبدأ ذاته : سلسلة متتابعة من التصرفات المقرفة والداعرة ، بل والاجرامية ، والتي تثير مجالات الطاقة الشريرة . غير ان الطقوس في حالة السحر الاسود غالباً ما تؤدى بصورة جماعية ، نظراً لما تتطلبه ممارستها من توليد مقادير هائلة من الطاقة !

التوقيت الامثل لممارسة الطقوس عملياً يكون محصوراً في الفترة الواقعة بين منتصف الليل والواحدة صباحاً .. ويفضل اختيار الليالي التي يكون فيها القمر مكتملاً لان الطاقة المعكوسة للشمس تبلغ اوجها في ذلك الوقت ..

تحت جنح الظلام والسكون الموحش ، يجتمع عدد من السحرة ــ رجالاً ونساء ــ في بقعة نائية ومقفرة تنطبق عليها المواصفات المطلوبة لاقامة الشعائر الشيطانية ، حتى ان المرء العادي ليخشى المرور بها في وضح النهار .. ويحضرون معهم مجموعة من الادوات اللازمة للعمل السحري بحسب ما تمليه عليهم اللوائح الشيطانية ، كما يجلبون نسخة من أي كتاب سماوي مقدس بغرض تدنيسه ضمن طقوسهم !

[كان السحرة في الماضي يستخدمون صحيفة الكتاب السماوي ، حسب العهد او الرسول المعروف في ذلك الزمان . اما اليوم ، فالمتفق عليه عند جميع السحرة المعاصرين هو احضار نسخة من القرآن لاهانته في طقوسهم !] .

يتجردون جميعاً من ثيابهم . يوقدون المشاعل ويرسمون على الارض مجموعات من الدوائر أو الحلقات الدقيقة والمتتابعة ، ومعها تشكيلة من النقوش والرموز الخاصة باستدعاء الشيطان .. ثم يمهدون لشعائرهم باحتفال من نوع غريب وشاذ !

يتناولون كميات من المخدرات ــ وكل ساحر عموماً خبير متمرس يملك دراية واسعة بكل ما يتصل بالعقاقير والمهلوسات العقلية ، انواعها واساليب صناعتها وجرعاتها وتأثيراتها ، إذ يعتقد ان تناولها يساعد على الدخول في حالات من الوعي الروحاني تمكنه من الاتصال بالشياطين او رؤيتها بصورة مباشرة ...

وتبدأ الاحتفالية الراقصة ... تفعل المخدرات فعلها في الحاضرين ــ أو حتى الخمور التي يشربها السحرة في بعض الحالات ــ فتنطلق مع دوران الرؤوس نوبات رقص هائجة مع اناشيد تهلل وتمجد للشيطان . يسود الهرج ، ويرفع الراقصون أذرعهم الى الاعلى كما لو كانوا يدعون الشيطان الى الحلول بينهم ..

يحدث كل هذا والضحية البشرية ممددة وسط الاحتفالية المجنونة ، وهي مكبلة بالقيود باحكام وعاجزة عن الهرب ، تتمايل وتنتفض رعباً من المصير المنتظر .. قد تكون هذه الضحية شخصاً راشداً ، أو طفلاً بريئاً ، فالشياطين تفضل قرابين صغيرة السن لانها تطلق طاقة كهرومغناطيسية صافية عند ذبحها !

تتمرغ الاجساد العارية في النجاسات والقذارات التي احضروها معهم مسبقاً ، وتتردد في الاجواء الابتهالات والتلاوات الغامضة ، ويتسابق المحتفلون في إظهار ولائهم وخضوعهم للشيطان ، فيلقون بالكتاب السماوي على الارض ، يبصقون عليه ويطأونه باقدامهم الواحد تلو الاخر وهم يشتمون الله ويسخرون من الانبياء والاديان ..

تتعالى الاصوات المعربدة أكثر فأكثر ، وتتصاعد معها مستويات الطاقة السلبية . وكلما أمعن السحرة في الكبائر والموبقات فان كميات هذه الطاقة الخبيثة تتنامى أكثر وأكثر !

وتتواصل الشعائر المنحرفة ... يتوزع السحرة من الرجال والنساء عشوائياً فيما بينهم ، فيثيرون الغرائز ويلجؤون الى اشباعها بالاستغراق في شتى الطقوس الجنسية المحرمة ..

الافراط في الاباحية والممارسات الجنسية الشاذة يعتبر ركناً أساسياً من أركان التقرب للشياطين خلال الطقوس والاحتفاليات في عالم السحر الاسود .. وقد تكون الضحية نفسها

هدفاً للسحرة المحتفلين ، فيتناوبون على التحرش بها جنسياً قبل عملية الذبح ، خاصة اذا كانت طفلاً رضيعاً !

الرؤوس ثائرة ومنتشية بكل هذا الذي يحصل ... مع انفعالات الحاضرين وعيونهم الجاحظة وصيحاتهم واناشيدهم ـ والتي غالباً ما ينطق السحرة كلماتها وعباراتها بصورة معكوسة .. تتشابـك كل هذه الاشياء مع بعضها البعض ، فتحفز حقول الطاقة الكهرومغناطيسية وتوصلها قريباً من مستوياتها القصوى . ثم لا يتبقى بعدها إلا إتمام الخطوة الاخيرة : ذبح القربان المقدم وشرب دماءه !

كيف يحتمل هؤلاء أن يخوضوا في تجربة مقززة كهذه ؟ ... انهم قوم لا يبالون بحرمة الدم وقتل النفس التي حرم الله ، فمن باع دينه ونفسه للشيطان فلا يُسأل بعد ذلك عن حرام أو حلال ... ثم ان المخدرات والخمور تلعب دورها في طقوس السحر ، إذ تذهب بالادراك السليم وتجعل المرء يتقبل فعل الأشياء على هذا النحو المريع !

يشكل المحتفلون حلقة حول القربان البشري ... ليس هناك استثناء ، فجميعهم مرغمون على المشاركة في افتراس الضحية .. يهجمون عليها ويسارعون الى طعنها بالخناجر دون شفقة .. وحين تفارق الضحية الحياة تبدأ مرحلة العبث بالجثة والتمثيل بها .. يقومون بتشريح الاعضاء وسلخها واستخراج احشائها ، ثم التهامها قطعة قطعة كما لو كانت وجبة شهية ..

[تعرف الآن يقيناً ان العادة المسماة بأكل لحوم البشر ، والتي تشيع في العديد من القبائل غير المتحضرة في مجاهل افريقيا والامازون ، ليست تعويضاً عن المجاعة فحسب ، ولا يمارسها أصحابها للتعبير فقط عن ساديتهم .. انها بمثابة طقس مقدس لافراد تلك القبائل يقدمون فيه الاضاحي البشرية استرضاءً لآلهتهم !] .

تسيل الدماء من أجزاء الجثة الهامدة ، فيجمعها السحرة ويمزجونها مع بعض المواد الكيميائية ، ثم يسكبون الناتج في كؤوس ويشربونها جميعاً .. وقد ينثرون بعضاً من هذه الدماء ويلطخون بها اجسادهم ..

[في الوقت الحالي لا يمتلك جميع السحرة الجرأة لممارسة النموذج الاصلي من طقوس السحر الاسود ، ويكتفي البعض منهم بمحاكاتها بصورة رمزية !] .

وتتسارع وتيرة الانشاد ... طلاسم سحرية غامضة ، وأصوات مدوية بعنف كهزيم الرعد ، ورؤوس تعيش حالة فراغ ذهني وغفلة عما حولها .. كلهم شوق لقدوم اللحظة الكبرى ليتمكنوا من لقاء سيدهم . يحسون برعشة في الهواء فيدركون حضوره رغم انه مازال محجوباً عن عالمهم المرئي !

جزيئات الطاقة تتكاثف ، واذا بالبوابة تنفتح : المدخل الذي يربط بين العالمين !

يظهر الشيطان أمامهم .. ترتفع الاصوات في نوبة هستيرية ، ويطلق الجميع صرخة مدوية في وقت واحد ، ينادون باسم الشيطان ويقدسونه :
((أيها الشيطان ، خذ أرواحنا ، دنسها بالخطيئة ، وباركها بالنار)) .

وما يلبث ان يتدافع المحتفلون للركوع امام الشيطان وتقبيل قدميه .. فاذا ما قابلهم هذا بضربات وركلات تطيح برؤوسهم بعيداً ، فعليهم أن يتقبلوا هذا التصرف من سيدهم دون كلمة او اعتراض !

يثني الشيطان عليهم لوصولهم الى هذه المرحلة في عالم الظلام ، ويشجعهم على الاستمرار قدماً في تلك الاعمال ، كما يطالبهم بالحرص على إتباع كل ما تعلموه وسيتعلموه في النصوص والبروتوكولات الشيطانية ... عليهم ان يفهموا انهم عقدوا للتو صفقة رابحة ، فلقد أصبح في متناولهم قدرات شبه خارقة ، وبوسعهم تسخير هذه القدرات في العديد من الاغراض الشريرة :

■ بفضل سيدهم الشيطان ، سيصبح في مقدورهم امتلاك طاقة فكرية وروحية جبارة تفوق الحدود والقوانين الطبيعية ، تلك هي الطاقة الشيطانية التي تطلقها طقوس الجنس والدم في القداس الشيطاني ، فعليهم اذن أن يواظبوا عليها في مواعيدها الشمسية والقمرية المحددة سلفاً حسب تقويم الزودياك !

■ سيرشدهم كذلك الى استغلال القوى الكامنة في داخلهم ، كالتحكم في الوظائف العضوية في اجسامهم والسيطرة على أدمغتهم .. كل ذلك يمكن فعله بالتدريب والتطويع الذهني والتخاطر مع الشياطين !

■ سيجند لهم جنوده من الشياطين لتمكينهم من معرفة الاخبار مهما كانت المسافات الشاسعة التي تفصلهم عن الحدث .. سيتمتعون بالقدرة على رؤية الاحداث القديمة من الماضي البعيد ، وفوق هذا ستسخر لهم قدرات الجن في تحري الأنباء المستقبلية من اعالي السماء !

■ يخبرهم أيضاً انه سيعمل على تحقيق تطلعاتهم ومكاسبهم الشخصية ، وسيساعدهم على التخلص من جميع خصومهم ، والحاق الدمار بكل من يقف في طريقهم أو يتصدى لمخططاتهم الشريرة !

﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ البقرة ١٠٢

ويتلقى السحرة وعود سيدهم بالشكر والتهليل ، فاذا كان في الوقت متسع فان طقوس المهرجان تتواصل ... يعاودون رقصاتهم وأناشيدهم الهمجية حول بقايا وأشلاء الجثة الممزقة ، انهم يستشعرون لذة التحول الى ما هم عليه الآن : أشخاص ملحدون ، تمردوا على الفضيلة وتخلصوا نهائياً من عناء الدين وقيوده ، ولقد تضاعفت احقادهم على باقي البشر اكثر من ذي قبل .. ثم ان خضوعهم للشيطان يمنحهم قوة غير مسبوقة تدفعهم لاقتراف الخطايا دون ذلك الاحساس المزعج بوخز الضمير ... يسعدهم كثيراً ان يضعوا الشيطان في مرتبة الإله ، فهو بالنسبة لهم الذي يعطي ويمنع ، يعاقب ويجازي .. واهم ما في الامر انه يسمح لهم بالانحلال واشباع غرائزهم دون رادع !

ولابد في الختام ان ينفض المهرجان الصاخب بعد ان طالت الساعات الدامية وامتدت من منتصف الليل وحتى قبيل مطلع الفجر !

○ ○ ○

ما الذي يدعوني الى استعراض تجربة السحر بتفاصيلها البائسة ؟

ليس المقصود بالطبع ان تكون هذه دعوة الى السحر تثير فضولك .. فاذا ما كانت السطور الفائتة قد اعطتك فكرة عن (البشاعة) التي تسود هذا النوع من النشاط الانساني في العالم ، فاعلم ان الاخوية الشيطانية وجمعياتها السرية قد تبنت هذا النوع من الانشطة منذ زمن طويل ..

هل توقفت اعمال السحر واصبحت شيئاً من الماضي ؟
اذا كنت تعتقد ذلك فان الوقائع الراهنة تخالفك الرأي ... ان اعمال وممارسات السحر موجودة أكثر من أي وقت مضى !

هذه البشاعة لم تتوقف رغم مرور آلاف السنين على انبثاقها أول مرة في بابل ، فهناك أعداد لا تحصى من الافراد والمجموعات في أنحاء متفرقة من العالم ما زالوا يمارسونها سراً ... أشخاص هم أقرب الى المسوخ الكاسرة التي تدمن شرب الدماء ، يكرسون حياتهم ويهدرون اعمارهم لخدمة الشيطان !

هل يمكنك ان تتخيل فداحة الامر ؟!

ومن المؤكد ان الهدف الاساسي لجماعات الاخوية وفروعها أن تنشر هذه البشاعة حيثما حلت وفرضت سيطرتها في دولة من دول العالم !

في الولايات المتحدة ، واوربا ، وآسيا ، وافريقيا ... في فلسطين والعراق ، وفي بقية الاراضي العربية التي تستعد الاخوية لاحتلالها والتحكم بشعوبها ، فانها تريد لكل أرض أن تكون مذبحاً خالصاً للشيطان !

هل أبالغ اذا قلت لك ان هذه البشاعة أقرب الينا بأكثر مما نتصور ؟! ... لعله من الافضل ان أستشهد امامك بمثال بدل الخوض في العموميات .. والمثال قريب من مسرح العمليات في هذا الكتاب تحديداً ... العراق !

لعلك ما زلت تتذكر حوادث الاختطاف التي طالت ابرياء في بغداد ، وفي كافة انحاء العراق ، على أيدي الميليشيات الايرانية ! .. مواطنون من مختلف الطبقات والانتماءات والاتجاهات ، يختفون في ظروف غامضة ، ثم ينتهي بهم المصير المجهول بعد مدة الى جثث مدفونة في مقابر النجف وكربلاء ... المركزان الاشهر عالمياً للحوزة الشيعية !

هل خطر في بالك يوماً أن تتساءل : ما هو الدافع الحقيقي وراء عمليات اختطاف هؤلاء الاشخاص ؟

قد تختلف آراؤنا حول الدوافع ، لكن طرح السؤال التالي قد يقودنا الى استنتاجات خطيرة : لماذا كانت رحلتهم تنتهي دائماً في أحد هذين المكانين ؟

إن الذين اقتربوا من تفاصيل هذا الموضوع يعرفون يقيناً ان اولئك المغدورين قد عاشوا تجربة مرعبة قبل مفارقتهم للحياة . الامر يبدو واضحاً من النظرة الاولى على أوضاع جثثهم .. اجساد مطروحة بلا رؤوس ، أو بلا اطراف ، أو مقلوعة العيون ، أو منزوعة الاظافر .. البعض تبدو عليها آثار حرق جسيمة ، والبعض الآخر ممزقة الاشلاء ...

هل خمنت ما حصل مع الضحايا قبل موتهم ؟

لقد واجهوا ألواناً فظيعة من التعذيب الجسدي ... تم تقديمهم ــ عن سابق قصد ــ كقرابين بشرية في طقوس شيطانية أقامها أصحابها في أروقة وسراديب المراجع الشيعية في النجف وكربلاء !

[قد لا تشكل هذه الشواهد مقياساً كافياً للقفز الى مثل هذا الاستنتاج .. لكنني اثق انك ربما سمعت ــ او ستسمع ــ بأشياء وقرائن اضافية تتعلق بهذا الموضوع ، وعندها ستتوصل بنفسك الى ترجيح الفكرة عينها التي تربط المرجعية الشيعية بطقوس السحر وعبادة الشيطان !] .

لقد انخفضت الآن معدلات هذه الحوادث بعض الشئ ، لكنها لم تتوقف .

لذلك .. يصبح ضرورياً أن نواجه الامر بكل ما فيه .. أن نطلع على حقيقة البشاعة وما يدور فيها .. وإلا ، فكيف يمكن لنا ان ندرأ خطراً ما اذا كنا لا نعتقد بوجوده أساساً ؟!

○ ○ ○

وانتهت أخيراً فصول الدراسة في أكاديمية السحر ... أخذت تلك المجموعة من التلاميذ كل ما يمكن أخذه من هاروت وماروت في مجال السحر ، بل وأبدى أفرادها براعة ملحوظة في حفظ واتقان كافة القوانين والمعلومات المتنوعة .. كانت تدفعهم رغبة قوية الى تلقي كل التفاصيل ــ مهما كانت متشعبة ومملة ــ في ذلك العلم بكافة جوانبه المركبة والمعقدة ... ولقد تعودوا خلال فترات التعليم والتلقين أن يدونوا باستمرار كل ارشادات وتوجيهات الملكين في ذلك الشأن ، حتى امتلأت بين أيديهم في نهاية المطاف عشرات المخطوطات والمجلدات !

انصرف السحرة جميعاً حاملين معهم مخطوطاتهم ومجلداتهم .. لقد تغيرت أشياء كثيرة في حياتهم . فهم الآن الرواد الاوائل الذين يخوضون متوغلين في بحر هذا العلم العجيب والمخيف في آن ، وكان عليهم لحظتها أن يواجهوا أنفسهم بسؤال محير :

ماذا بعد ...؟

إن أحداً لا يمكنه أن يقطع يقيناً بمعرفة ما حصل بعدها لافراد تلك المجموعة من السحرة .. ما الذي دار في أذهانهم من أفكار ، وكيف تعاملوا مع ذلك السؤال ؟ .. هل بحثوا هذا الامر فيما بينهم ؟ ... هل ناقشوه احتمالاته سوية وحددوا بعد ذلك خطواتهم القادمة ؟ .. أم أن كلاً منهم قرر أن ينصرف وحيداً بما لديه من حصيلة المعرفة والكتب ومن ثم يرسم لنفسه خيارات منفردة بشأن مستقبله المهني في عالم السحر ..؟!

يصعب التكهن باجابات دقيقة لكل هذه الاسئلة ، خاصة واننا نجهل في الاساس الهوية الحقيقية لاولئك الاشخاص . هل كانوا من بابل نفسها ، أم انهم جاؤوا من أراض وبلدان غيرها ، قريبة أو بعيدة ؟ .. هل يتحدثون العربية ام كانوا يتفاهمون بلغات اخرى ؟ ــ وقد مضت أجيال على حادثة الطوفان العظيم ، فزادت المسافات والمساحات بين البشر وتفرقت بالتالي انتماءاتهم ولهجاتهم ... كيف رتبوا لعقد لقاءاتهم وما هي ظروف تلك اللقاءات ؟!

لدينا فقط ان نقول ــ دون رجم بالغيب ــ أن سؤال (ماذا بعد ؟) هو السؤال الذي نتصور بديهياً انهم طرحوه على انفسهم .. ذلك هو السؤال الطبيعي الذي يواجه به المرء نفسه بعد الفراغ من تجربة أو مرحلة معينة ، ومن ثم الدخول بعدها في مرحلة اخرى على الابواب .

ولاشك أن هذا السؤال قد شكل منعطفاً مهماً في مسيرة هؤلاء الاشخاص وأثر بالتالي على خياراتهم وخطواتهم اللاحقة . ولعلنا نحاول تحليل واستقراء ذلك الحدث ، ومن ثم استنتاج مواقفهم في ذلك المنعطف ..

أتصور انهم انقسموا الى فريقين ...
فريق اتخذ قراره بالاستقرار في بابل نفسها .
و فريق ثان كان لافراده رأي مختلف ، إذ اختاروا الرحيل عن بابل ليتفرقوا بعد ذلك في الارض ، كلٌ له غايته ووجهته ومشاريعه الخاصة بعيداً عن الباقين .

وهكذا كان !

○ ○ ○

والراجح أن السحرة من الفريق الثاني انتشروا في أنحاء عديدة من العالم .. انطلقوا يبحثون عن فرص جديدة ، وتنقلوا لفترات بين بعض المواقع والمناطق ، وحيثما وجد كل ساحر منهم ان طبيعة السكان في قرية او بلدة ما لا تميل الى التمسك بالدين ، مما يساعده على استغلال سذاجتهم وخداعهم .. فانه غالباً ما كان يختار المكوث في تلك القرية أو البلدة ، يندمج مع سكانها ويستعرض امام أعينهم أدهى حيله وألاعيبه ، فيلفت انظارهم اليه ويستحوذ على قلوبهم وعقولهم ، وهو يمني نفسه بتحصيل الجاه والمكاسب .. يحلم بتكوين ثروة محترمة عن طريق مزاولة سحره عليهم بشتى انواع الدجل والالاعيب التي تعلمها ، فيصبح بعد مدة موضع رهبة وخوف بين الناس !

[وعلى كل ، فان العلاقة المتوترة والشائكة بين الشيطان والساحر لا تدع المجال في معظم الاحيان لتكوين أو تكديس الثروات .. فكلما توسع الساحر في اعماله فان الشيطان يعمد الى تحميله بتكاليف اضافية تبدد أرباحه الناتجة من السحر وتستنزفها الى آخر يوم من حياته .. والشاهد في السيرة الذاتية للعديد من مشاهير السحر ان معظمهم ماتوا في النهاية فقراء معدمين ، رغم الثروات الهائلة التي جمعوها اثناء حياتهم !] .

وعلى أساس الاختلاف الواقع بين أمزجة الشعوب وتقاليدها وثقافـــاتها ، فان اساليب الحيل والالاعيب السحرية التي كان الساحر يطبقها ضمن المحيط الذي يتحرك فيه ويتعامل مع الناس ، كان لابد لها أن تختلف هي الاخرى ..

والارجح ان كل ساحر منهم تواجد في منطقة معينة ، وبرع وتخصص في مجال معين من مجالات تطبيق السحر :
■ منهم من احترف (العرافة) ، مراهناً بذلك على الرغبات الكامنة في صدور الناس وشوقهم الدائم الى استبصار الغيب ومعرفة الاقدار المخبأة لهم في صفحات المستقبل المجهول .. وكان يكفي ان يراهن العراف على هذا الوتر للتأثير على عقول البسطاء

والسذج ، ليسلموا له انفسهم ويبوحوا بأخطر مشكلاتهم واسرارهم أملاً في أن يجدوا عنده ما يرضيهم من انباء الغيب المنشود !

■ ومنهم من تحول الى واحد من الحواة .. والحاوي هو من بسطاء السحرة ، يصول ويجول في الحارات والمقاهي والارياف والمدن ، يقدم للجميع عروضاً جذابة تعتمد في الغالب على خفة يده وسرعة حركته التي لا تلحظها عيون المتفرجين ، يخفي شيئاً عن انظارهم او يبتلع النيران في فمه أو يخرج الطيور من قبعته ... يقوم بهذه الاعمال وغيرها بانتظار ما سيجود به المتفرجون من نقود أو قروش معدودة !

■ ومنهم من وجد طريقه في الحياة عبر اللجوء الى الملوك والامراء والزعماء .. يقدم لهم خدماته نظير ان ينال حظه في العيش الرغيد بصحبتهم داخل القصور ، فهو يمثل المستشار الروحاني او الوسيط الذي ينسق علاقة الملك أو الامير مع القوى الخفية !

■ ومنهم من تظاهر بانه نبي من انبياء العصر ، وان ما في حوزته من فنون واعاجيب سحرية هي معجزات تثبت صدق نبوءته ... ويتبقى أن يخضع الناس لسلطانه ، فهو الذي يعطي البركات والمنح لمريديه ، ويتوعد بالويلات لكل اعداءه ومكذبيه !

■ ومنهم من انتهت به السبل الى العمل كمشعوذ ، مهمته معالجة القضايا الاجتماعية والعاطفية ، ولم يكن صعباً عليه ان يجتذب جمهوراً عريضاً غالبيته من النساء اللاتي يقصدن أحد المشعوذين ليفك لهن (عقداً) أصابتهم في حياتهم ، تتعلق بالحب والزواج والمرض والنجاح ، وغيرها من اماني تبدو لهن عسيرة المنال !

ولقد احتاج الامر الى بعض الوقت حتى ذاعت اخبار السحر والسحرة بين الناس ، فاصبحت سمات من يمتهنون هذا النوع من الاعمال مميزة وشائعة الى حد ما .. وبات الناس يتحسسون تأثيرات الاعمال السحرية ويعرفون نتائجها على الانسان .. حتى ان البعض من ذوي الفطنة والذكاء صاروا قادرين على تمييز تلك الاشياء المريبة ، وعيونهم لا تخطئ من كان دجالاً او مدعياً لنبوة مزيفة ...

ومن آيات القرآن الكريم نعرف ان السحر كان معروفاً زمن الثموديين ، فما ان بدأ النبي صالح (عليه السلام) بدعوتهم الى منهج الله تعالى ، حتى اتهموه بانه من المسحورين :
﴿ **قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ** • ﴾ الشعراء ١٥٣

كانت هذه احوال الفريق الثاني من السحرة ... سلكوا طرقاً واتجاهات متعددة ، وسواء انهم نجحوا في تحقيق مقاصدهم الشريرة أم لا ، فان مصيرهم جميعاً في النهاية كان مشتركاً .. فالساحر عموماً لا يحيا حياة طبيعية كبقية الخلق ... يسكر ويدمن تناول المخدرات والدم ، ويديم اتصاله بعالم الشياطين . انه يستهلك جسده مع الوقت ، ثم ان

اعماله تورطه في خصومات ودسائس لا تنتهي ، ويكون من نتيجتها انه يقضي مقتولاً من احد خصومه ، او يهيم طريداً في الارض بلا مأوى . وعند موته في النهاية ، يسارع الشيطان الى استعادة كتب ومخطوطات السحر قبل ان تقع في ايدي الآخرين !

○ ○ ○

في بابل ، كانت احوال الفريق الاول لها شأن آخر !

[وبابل المقصودة هنا لا تقتصر على المدينة الاثرية الشهيرة جنوبي العاصمة بغداد ، بل تشمل رقعة العراق الحديثة بكاملها ، إن لم تكن تزيد آنذاك على الحدود المعروفة حالياً !] .

ماذا بعد ؟ ... بقي هذا السؤال شاغلاً مزمناً لتفكير السحرة دون أن يجدوا له اجابة شافية تداوي حيرتهم . قلبوا الموضوع على كافة الوجوه ، ودرسوا جميع الخيارات المفتوحة امامهم .. ولعلهم فكروا في وقت من الاوقات ان يجربوا حظهم مثلما فعل أفراد الفريق الثاني : الانتشار فرادى في الارض ، والترحال والتجوال بحثاً عن فرصة مواتية للتربح ، لكنهم سرعان ما استبعدوا هذه الفكرة !

﴿ **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ** ﴾ البقرة ١٠٢

لقد سبق لهم ان كفروا بالله وأضاعوا آخرتهم ، فاذا كانوا قد قدموا كل هذا الذي قدموه من تنازلات وتكلفوا ذلك الثمن الباهظ من أجل الدخول في عالم السحر والشياطين ، فان المكافأة المنتظرة لابد ان تكون مجزية لهم تماماً ... ومن وجهة نظرهم ، فان احتراف التنجيم والشعوذة بحد ذاته لن يدر عليهم أرباحاً كافية ، ثم ان متاعب الترحال وأخطار الطريق ، وربما التشرد والخوف من المطاردة والاغتيال في بعض الحالات .. كلها أشياء لا تستحق أن يضيعوا وقتهم وجهودهم فيها ، فهي لا تلبي طموحاتهم ، ولا يرون من خلالها ذواتهم ومستقبلهم !

لا ! ... إن طموحهم يمتد الى ما هو أوسع بكثير . فكر السحرة في ذلك الاحساس الغامر بالتميز ، والذي منحتهم اياه علومهم الجديدة .. انتابتهم مشاعر العظمة التي لازمتهم منذ اقتحموا مجال السحر وانفتحت امامهم آفاق لم تخطر لهم على بال .. ترى ! ما الذي سيصنعونه بتلك المعرفة .. وكيف يمكن لهم أن يحسنوا استغلالها الى أبعد مدى ؟

كان عليهم ان يتدارسوا الامر بعناية .. فواصلوا النقاشات دون كلل ، وتبادلوا شتى الاقتراحات فيما بينهم . ومع استمرار النقاشات والحوارات ، كانت ملامح المستقبل القادم تتشكل وتتكامل في مخيلتهم يوماً بعد آخر ...

إن طقوس السحر التي كانوا يواظبون على تأديتها في مواعيدها المحددة ، بدت لهم وكأنها تزودهم بقوى شبه خارقة .. أفلا يعني ذلك أن حيازة قوى من هذا النوع تعطيهم الحق في السيطرة الخالصة على الآخرين ــ ومعظمهم من الجهلة والاغبياء ؟!

السيطرة ... تلك هي الغاية التي يجب يضعوا من اجلها خططهم وحساباتهم حتى تتحقق على ارض الواقع . وكل غاية دون ذلك انما هي غاية ضئيلة وعديمة القيمة !

وإزاء هذا الاعتبار ، يبرز سؤال آخر :
ماهي المساحة التي تتسع لممارسة السيطرة المفترضة ؟ .. هل يشمل هذا أن يفرض السحرة سيطرتهم على قرية أو بلد أو اقليم ، أو حتى قارة بأسرها ؟!

لطالما ألحت عليهم خواطر ما فقدوه وضيّعوه في الاخرة ، أفلا يكون في امتلاك الدنيا بكل ما فيها من موارد وملذات ــ حسب ظنهم ــ التعويض المناسب لحالتهم هذه ؟!

السيطرة يجب أن تشمل العالم باكمله . ذلك هو الحلم المنشود !

المنطق يقول أن لا احد منهم يستطيع بمفرده تحقيق هذا الامر ، مهما كانت قدراته ومواهبه ، فالاتحاد اذن واجب ومطلوب من أجل ان يبلغوا غايتهم النهائية .. تم الاتفاق على ان يبقى السحرة متكاتفين ، فلن تتفرق بهم السبل والغايات كما حصل مع أفراد الفريق الثاني خارج بابل !

○ ○ ○

كانت أفكار تلك المجموعة من السحرة تتداعى بلا توقف ، ولقد واصلوا مناقشاتهم بعد أن تحددت مسارات التفكير وفقاً للهدف الجديد : السيطرة على العالم !

ومع الدخول في التفاصيل الجادة ، كان لابد أن تصطدم الفكرة البراقة بالعديد من الصعوبات ، فهم ــ السحرة ــ قلة قليلة تسعى وراء مشروع عملاق . ألا يتنافى هذا مع النظرية القائلة بان الغلبة من نصيب الاكثر عدداً !

كيف تستطيع القلة القليلة ــ مهما ملكت من ثروات وقدرات ــ ان تتدبر سيطرتها على كل تلك الاعداد الهائلة من البشر في العالم ؟!

لقد نجح أفراد الفريق الثاني في بعض الحالات في أن يلعبوا دور المسيطر من خلال وسائل السحر ذاتها : التنجيم ودعاوي النبوة والتلاعب بالابصار والعقول ، الخ ... فهل يختبروا هم طرقاً مماثلة مع الناس ، على ان يضيفوا الى تلك الطرق لمساتهم وخبراتهم ، بما يتلائم ويتسق للوصول الى الهدف على المستوى العالمي ؟

قد تحقق هذه الفكرة لهم ما يريدون ، وقد لا تنجح .. النتائج غير مضمونة . لكن سؤالاً مزعجاً فرض نفسه عليهم في لحظة من لحظات التوتر والتفكير :

للبشر عموماً آجال قصيرة في رحلة الحياة ، فهل ستطول أعمارهم بما يكفي لانجاز المشروع بصورته النهائية .. أم ان آجالهم ستنقضي في المراحل المبكرة منه ؟!

ذلك سؤال تظل اجابته معلقة ، ضمن قائمة طويلة من الاسئلة والمعضلات التي لم يكن ممكناً التعامل معها ببساطة .. فليست المشكلة ــ مثلاً ــ في أن يحشدوا معهم اعداداً لا بأس بها من الاشرار والاوغاد والمجرمين ، مشروع بتلك الصورة المريعة يسهل أن يكون محوراً يجتذب امثال هؤلاء ، ليصبحوا الكوادر العاملة التي تقع عليها مسؤولية العمل والتنفيذ تحت اشراف السحرة انفسهم !

وفي نفس الوقت ... يحتاج الأمر الى حجاب كثيف من السرية ، فاذا كان التآمر هو السبيل لاتمام المشروع ، فان أسرار المؤامرة يجب ان تبقى محصورة بين أقل عدد ممكن من المتآمرين ، فكيف يمكن ضمان السرية دون ان تتسرب بعض المعلومات بوجود أعداد كبيرة من المشتركين في المؤامرة ؟

التنفيذ يحتاج الى الحد الاعلى من المشاركين !
والسرية تتطلب الحد الادنى منهم !
كيف يمكن التوفيق بين اعتبارين متناقضين ؟!

ومع ذلك ، المشكلة تبدو قابلة للحل . وقد يتوصل السحرة ــ بالتدريج والمراس ومحاولات الاحتكاك الحذر ــ الى صيغة عملية محكمة لتنظيم اعمالهم وكوادرهم فضلاً عن الحفاظ على سرية المخطط ... لكن ، سيستغرق تنفيذ مخطط السيطرة وقتاً طويلاً بطبيعة الحال ، فما الذي يضمن ان لا أحد سيكتشف حقيقتهم أو ينتبه الى تحركاتهم قبل الاوان ؟ .. السحرة مقتنعون أشد الاقتناع ان القسم الاعظم من الجماهير هم من المغفلين والسذج ، وهؤلاء لن يلفت انتباههم غالباً أي شئ يتصل بالمشروع ، لذلك فان امرهم مقدور عليه .. المشكلة تكمن في فئة معدودة من الاشخاص الاذكياء والنابهين ، وهذه فئة لايمكن للسحرة إنكار وجودها أو تمرير مخططات المشروع دون لفت انتباهها ، لا شك ان التصرف معها سيكون مزعجاً للغاية !

وهكذا ... كلما أمعن السحرة في البحث والنقاش ، فانهم كانوا يجدون الطرق مسدودة امامهم .. غير ان الأفكار الشريرة غالباً ما توقد في صدور أصحابها رغبة عارمة ومشتعلة ، لا تهدأ ولا تنطفئ قبل ان تنال مبتغاها . ولذلك ، كان على السحرة بعد ان ضاقت بهم كل الافكار والخيارات أن يحملوا مشروعهم واحلامهم الى الكائنات القابعة في البعد الآخر ... الشياطين !

وكم كانت دهشتهم كبيرة ، ذلك انهم وجدوا ــ بعد إجراء الطقوس اللازمة للسحر الاسود ــ أن أبليس نفسه قد حضر للقاءهم هذه المرة ... كان بانتظارهم منذ مدة ، مرحباً بهم أشد الترحيب ، مستعداً لاحتواء جميع احلامهم ومشاريعهم .. والاهم من ذلك ، انه كان جاهزاً للرد على كل التساؤلات ، وفي يده الحلول لجميع المشكلات والمعضلات !

○ ○ ○

وبدأت سلسلة من الاجتماعات التي ضمت ابليس مع افراد تلك المجموعة المختارة من السحرة ، والتي قدر لها ان تكون فيما بعد النواة الاولى لبعث منظمة الاخوية من جديد .. ولم يكن ممكناً بأي حال من الاحوال ان يُجرى أي اجتماع من تلك الاجتماعات دون ان يُسبق بالطقوس المنحرفة ذاتها ..

ومع تكرار اللقاءات وطقوسها ، كان لابد للسحرة أن يجدوا مصدراً دائماً يوفر لهم العنصر الرئيسي الذي تعتمد عليه ممارسة السحر الاسود لفتح البوابة بين البعدين ، ألا وهو القربان البشري ... لم تكن مهمتهم سهلة ، وفي العادة كانوا يذهبون الى تجمعات المزابل والمساكن المهدمة ، بحثاً عن شخص يسهل خطفه أو استدراجه دون أن ينتبه الناس الى غيابه ، كأن يكون عجوزاً متشرداً أو مخبولاً تائهاً ...

كان السحرة ــ الرجال والنساء معاً ــ يختارون للقاءاتهم اماكن بعيدة كل البعد عن العمران .. يتسللون في الليل داخل احراش كثيفة ومخيفة ، او يقصدون مناطق الشواطئ المهجورة ، أو يلجؤون الى مغارة من تلك المغارات المخفية وسط سفوح الجبال !

في واحد من تلك الاماكن كان السحرة يؤدون طقوس الكابالا ، يتعرون ويلتهمون الفضلات ، ويضربون بعضهم البعض ويقترفون المحرمات ... تمهيداً لمجئ الشيطان والتباحث معه في وضع الاسس والمقدمات لذلك التحالف الشرير الذي يراد له ان يبسط سيطرته على كل الارض ، وأن تتواصل هذه السيطرة في كل الازمنة والعصور !

كانت المفاجأة الكبرى بالنسبة للسحرة أن ابليس قدم لهم الخطوط العريضة لمشروع متكامل ، حتى انه يتجاوز ما كانوا يحلمون به طيلة الفترة الماضية . قال لهم أن ما يريدون تحقيقه له سابقة في عصر ما قبل الطوفان المعروف ... اخبرهم ابليس عن اطلانتس ، حضارتها وتقدمها وعلومها وتقنياتها ، لقد كانت النموذج الامثل للسيطرة والحكم في الارض . ولم يكن ان تقوم لها قائمة ولا ان تصل الى ما وصلت اليه من نفوذ ممتد عبر انحاء العالم لولا مساعدة الشياطين .. استغرقت عمليات التخطيط والبناء لانشاء تلك الامبراطورية العظيمة قروناً طويلة ، تحملت الاخوية من اجل اقامتها العديد من المتاعب والمخاطر . اشتبكت في صراعات وحروب رهيبة ، وتحملت سنوات من العمل السري والمؤامرات الخفية قبل ان تثبت اقدامها أخيراً في اطلانتس ... ولقد عاش شعبها

من الاطلنطيين في جنة من السعادة والهناء . توفرت لهم كل وسائل العيش المترف ، ووقعت في ايديهم كل اسباب القوة والدمار ، وخضعت لسلطانهم كل شعوب الارض بلا استثناء .. دام حكم الاخوية في أطلانتس لحقبة قاربت الالف عام ، لكن الامبراطورية انهارت بعد ذلك بطوفان داهمها في لحظات كالبرق فاطبق عليها وازالها من الوجود !

كان ابليس واضحاً في حديثه معهم .. انه يريد استعادة اطلانتس بأي ثمن ، وهي الركيزة الاساسية لمشروع حكمه في الارض : النظام العالمي الجديد .. عالم بلا دين وبلا اخلاق وبلا ضوابط .. الناس فيه بهائم يكرسون حيواتهم لخدمته . وفيما عدا ذلك ، يسمح لهم أن يفعلوا ما يشاؤون ... يلهون كما يريدون ، يأكلون ما يريدون ، يشبعون حاجاتهم من الملذات قدر ما يريدون ، يقولون ويأخذون ما يريدون .. بل ويقتلون من يريدون !

هذه فرصتهم ليصنعوا العالم على وفق الطريقة الشيطانية . هكذا قال لهم ابليس .. انه يعتبرهم ــ أي السحرة ــ النخبة القادرة على بعث اطلانتس واعادة أمجادها الضائعة الى المسرح العالمي ... صارحهم بانه كان مهتماً بأمرهم منذ وجدوا طريقهم في عالم السحر والشياطين . راقبهم عن كثب وجمع عنهم التحريات حول تاريخهم السباق . توسم فيهم النبوغ والطموح معاً . تابع مناقشاتهم بالحرف وتحسس خطواتهم التي قادتهم في النهاية الى ذلك اللقاء الذي يجمعهم به شخصياً ... يعرف يقيناً انهم يتمتعون بجميع المؤهلات المطلوبة ، الالحاد والشر والدهاء والمكر والانحطاط الاخلاقي .. ينقصهم فقط بعض التدريب والتزود بالمعرفة اللازمة !

لم يكن السحرة بالطبع يعرفون ماهو التدريب المقصود ، لكنهم تحمسوا له حتى قبل ان يعرفوه .. ولم تكن لديهم فكرة واضحة عن تلك المعرفة التي سيزودهم بها ابليس .. غير ان الامور تكشفت واستقرت في اذهانهم أكثر بعد أن أتحفهم ابليس بمفاجأة جديدة !

لقد جعلهم يشاهدون اطلانتس نفسها . ينظرون الى صور حية منها كما لو كانت حقيقة ماثلة امام عيونهم !

[يطلق على هذا النوع من السحر الاسود : النيكرونوميكون . وهو عبارة عن نموذج عكسي لفكرة قراءة المستقبل . ويحدث فيه أن يتلاعب الشيطان بالموجات المغناطيسية ويتسلل الى دماغ الساحر ، وتحديداً في مراكز الابصار والادراك ، فيوحي له برؤية أشياء وأحداث من عالم الماضي . العملية تشابه رؤية عرض سينمائي ثلاثي الابعاد . والشياطين بحكم اعمارها الطويلة ومعاصرتها للاحداث السابقة يمكنها ان تبث ايحاءات وخواطر من هذا النوع ، فيخيل للساحر أنه سافر ــ نظرياً ــ الى الماضي ..
وتتعدد الروايات حالياً وتتضارب حول اناس عاشوا عملياً تجربة السفر عبر الزمن ، وفيهم من دعم روايته بتفاصيل دقيقة عما شاهده في رحلاته الى الممالك والعصور القديمة .. ولعل النيكرونوميكون هو التعليل الوجيه الذي يفسر تلك الروايات ويكشف ما فيها من زيف !] .

وتراءت اطلانتس . وكأنها شبح استيقظ وقام من اغوار النسيان .. قام السحرة بجولة فيها وهم واقفون في اماكنهم ، جابوا شوارعها واستطلعوا احوالها ، وتفرجوا على مبانيها ومحلاتها . بدت لهم قطعة فريدة من المعمار والتقدم !

كان ابليس يشرح ويوضح لهم ما يشاهدونه من آلات وأدوات غريبة ، وكان انبهارهم يتزايد واعصابهم تتوتر بعنف مع كل مشهد وكل لحظة تمر ... تتابعت المناظر المشوقة أمامهم وهم مأخوذين بها : العمارات والجسور والمطارات والابراج ... البواخر والسيارات والطائرات النفاثة والمركبات الفضائية ... الدروع والمدافع والصواريخ والاسلحة المميتة ... التلفزيون والصحون اللاقطة والحاسوب واجهزة الاتصال !

[وقد نفترض ــ مجرد افتراض ــ أن عجلة التقنية في عالمنا توقفت فور وقوع الطوفان .. بل وتراجعت أشواطاً . واضطرت بعدها الى استئناف رحلتها من الصفر ، ثم تعثرت تلك المسيرة مرات ومرات .. فيما واصل التقدم التقني مساره الطبيعي في عالم الجن !] .

وانتهى عرض الشريط القصير .

قال لهم ابليس أن كل ما شاهدوه للتو واعجبوا به يمكن ان يصبح يوماً في متناول أيديهم لو أرادوا .. كل ما أثار استغرابهم وتساؤلاتهم له اجابة واحدة لا غير : العلم !

يملك ابليس مفاتيح هذا العلم ويحتكرها جميعاً ، ولكنه مستعد لمشاطرتهم اياها اذا ما أطاعوه وصاروا جزءاً من خطته العظمى : النظام العالمي الجديد ..

بالعلم يستطيعون ان يخففوا من أعباء العيش في هذه الحياة القاسية . يصنعون الادوات والتقنيات ليتخلصوا من الاعمال الشاقة الحقيرة . يؤمنون حاجاتهم من العلاجات والادوية التي تقيهم مآسي الامراض الاليمة .. يحصلون على المقتنيات الضرورية لراحتهم وتسليتهم وترفيههم !

بالعلم يمكن ان يصبحوا سادة الكون بدلا ان يظلوا عبيداً لله !
إن ما ينظرون اليه كمعجزات خلقها الرب ، كالاجرام والسحب والرياح والانسان والجبال والانهار والغابات ــ لن يكون معجزات بالنسبة لهم اذا ما احيلت هذه الاشياء الى اصولها العلمية الصحيحة ... الحسابات الرياضية والمعادلات والالكترونات والجزيئات والجاذبية والتراكيب الجينية !

العلم يقدم لهم الحقائق ، ويحل ما يستعصي عليهم من الاسرار .. في حين ان الدين يدعهم يتخبطون في روحانيات تائهة ، لا يمدّهم بالبراهين ، ولا يجاري العقول البشرية باجابات مقنعة لتساؤلاتها المشروعة .. ودون شك فان الفجوة توشك ان تتسع أكثر بين الاثنين مع مرور الوقت ... العالم يسير ويتطور بسرعة كبيرة ، وستطرأ في المستقبل

ظواهر ومستجدات عديدة ، فماذا سيكون موقف كل منهما ساعتها ؟ ... سيقف الدين كعادته مشلولاً وعاجزاً عن الحركة ، بينما سيبقى العلم متحفزاً في كل عصر ، وقادراً على الاستجابة مع كل طارئ وجديد !

ما حاجتهم اذن بالدين واخلاقياته ؟ .. لقد نضبت موارده منذ زمن بعيد وبات عقيماً لا يلبي احتياجات الجنس البشري . فلماذا يتعين عليهم ان يتوسلوا إلهاً لا يفي بوعوده ويتخلى عنهم وسط عالم مسعور ومفعم بالفوضى !

ويستطرد ابليس : العلم سبيلهم المحتم ليستمدوا منه وسائل القوة والتحكم في مقادير الارض . انه النور الذي يبدد ظلمات يفرضها الله عليهم ، وتحاصرهم بها قيود الدين والتقاليد والاعتبارات الانسانية البالية ..

ستنجح الاخوية الشيطانية يوماً ما في استرجاع مظاهر التقنية حالما تجد البدائل المطلوبة من موارد الطاقة .. وانها لا شك كامنة ومخبأة في اعماق هذا الكوكب الذي ما زال خصباً بخيرات وكنوز طائلة لم يكشف عنها النقاب بعد .. وهي خيرات وكنوز ليس من الحكمة ان يدعونها لكي تهدرها بقية الشعوب المتخلفة ، فهم ــ ابليس واتباعه ــ يملكون الكفاية من العلم والجسارة لاستغلالها ، وهم بالتالي اصحاب الحق القانوني في الاستحواذ عليها والتصرف بها !

يتكفل العلم بمنحهم النور اللامتناهي .. وابليس هو السيد الاوحد الذي يحمل شعلته المتوهجة في يده .. لا ينبغي أن يدع السحرة الفرصة تضيع منهم . انهم محظوظون بان تمت دعوتهم على يد اعلى الشياطين مرتبة .. سيصبحوا مستنيرين ، وسينعموا بامتيازات الاستنارة التي قررها ابليس لهم جميعاً . وما داموا في صحبته وتحت حمايته فانتصارهم على اولئك المؤمنين بالله محسوم في النهاية .

[ولا حاجة لنبيّن موقف السحرة من هذا العرض !] .

﴿ **وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً** ﴾ الفرقان ٢٩

○ ○ ○

أريد ان اكون واضحاً بشأن ما قلته وما سوف أقوله حول تلك الحوارات التي دارت بين ابليس ومجموعة السحرة في بابل ..

هل هي تفاصيل صحيحة ؟ وهل تستند معلوماتها الى مصادر دقيقة وموثوقة ؟ أم انها مجرد نصوص مستوحاة من الخيال وكان تقدير كاتبها أنها صالحة للعرض الادبي ومتماشية مع المناخ العام للاحداث ؟!

وأجيب : انني لم انقل نص ما ورد أعلاه تفصيلاً عن أية مصادر ، سواء كانت موثوقة او غير موثوقة . وعلى وجه العموم ، فان مضمون هذا الكتاب اعتمد على الحدس التاريخي والاجتهادات التي تحاول قدر المستطاع أن تغطي الفجوات وتكمل النواقص ، ومن ثم تربط القرائن والاحداث والاشياء بعضها ببعض ــ أكثر من اعتماده على الشكل المعتاد في الاقتباس مباشرة من مصادر او مراجع اخرى . وقد نتذكر انه ليس ثمة مصادر وافية تضم ولو جانباً من تلك الحوارات .. فلا توجد اوراق او مستندات تسجل لاحداث تلك المرحلة من تاريخ بابل أو تومئ لها ببعض الاشارات !

وحتى لو افترضنا توافر مثل تلك الاوراق او الكتابات التاريخية ، فانها قطعاً لا يمكن ان تتناول لقاءات غريبة على هذا النحو !

ومع ذلك فان ما هو مكتوب قي هذا السياق ليس خيالاً صرفاً ، وانا أتحمل كامل المسؤولية عن كل ما جاء فيه .

والمسألة في النهاية ليست لغزاً . ثمة مراجع ومصادر لا تغطي نصوص تلك الحوارات حرفياً ، لكنها تعبر عنها نسبياً بشكل او بآخر .

اعطيك بعض الامثلة :
الادبيات الماسونية ، الالواح السومرية بترجماتها المختلفة ، الرسائل التبشيرية لمنظمات الايلوميناتي Illuminati ، شهادات واعترافات اعضاء سابقين في جمعيات الاخوية والطوائف السرية ، بروتوكولات حكماء صهيون ، مؤلفات ومذكـــرات مشاهير السحر وعبادة الشيطان ، مقالات الساينتـــولوجيا Scientology ، محاضرات لكتاب غربيين تخصصوا في دراسة وتتبع خطوات الاخوية البابلية عبر التاريخ ...

واغلب الظن أن اطلاعك على أكبر عدد منها سيضع لك الاطار العام الذي تستطيع الاستناد اليه اذا ما اردت ان تبحث وتتابع تلك الخطوات الشيطانية الاولى في بابل ، والتي قادت الى ما قادت اليه من نتائج يعيشها العالم اليوم .. واتوقع انك لو رتبت خلاصة ما ستقرأه وتلاحظه حول هذا الموضوع على شكل حوار متبادل بين الشيطان واتباعه فانه لن يبتعد كثيراً عن جوهر ما قدمته لك في السطور أعلاه .

سيفاجئك كذلك بعد انتهائك من البحث أن بعض ما ستقوم باستخلاصه يتقابل او يتطابق مع كثير من السيناريوهات والحوارات المقدمة في أفلام هوليوود الامريكية !

قد نتجادل مطولاً حول منطقية مثل هذه الطريقة في البحث والتقصي . فوق انها تتطلب تركيزاً وجهداً بالغين قبل ان يصل المرء من وراءها الى قناعات نهائية بشأن نتائجها المطروحة امامه.. لكن الامر الواقع يفرض نفسه في المحصلة ، ذلك اننا لا نتعامل مع قوة واضحة ومكشوفة ، او مؤسسة لها مكتبات ارشيفية معروفة .. اننا نتعامل مع قوة خفية وغير تقليدية ، وهذا التعامل لابد ان يكون بنفس المستوى من الاساليب غير التقليدية .

○ ○ ○

وهكذا وقع اختيار ابليس على تلك النخبة من السحرة لتكون الخلية الاولى التي ستتولى إنشاء وقيادة منظمة الطبقة المستنيرة Illuminati ، النسخة المستحدثة من الاخـــوية الاطلنطية ... وكان عليه أن يقوم بتجهيزهم للمراحل المقبلة ..

خضع السحرة ــ أو من أصبحوا يعرفون بالمستنيرين ــ لدورات تدريبية مكثفة وصارمة على أيدي كبار العفاريت والشياطين ... دورات فكرية ونفسية ، تغذي نزعات الشر فيهم ، فيتعلمون من خلالها كيف تتغلب عقولهم على قلوبهم ، وتنتزع أية بقايا محتملة للمشاعر الانسانية في نفوسهم .. كما كان يتم تلقينهم أدق التفاصيل المرتبطة بتراث اطلانتس وعقائدها الوثنية . كان ابليس واثقاً من مواهبهم ومهاراتهم ، لكنه كان يرى ضرورة ان تتصقل هذه المواهب والمهارات بالمزيد من نظرياته الشيطانية ..

كان هذا من ناحية ... ومن ناحية ثانية ، فان المهمة الموكلة الى هؤلاء السحرة بعد انتهاء التدريب ، أن يتشبعوا بكل ما تعلموه في مجال السحر ، وكل ما أضافه اليهم ابليس واعوانه من أساليب الشر والافساد ... ان يتقنوا هذه الاشياء جميعها اتقاناً تاماً ، فهي بالنسبة لهم (الفلسفة الباطنية) التي يجب ان يحافظوا على اسرارها كما يحافظوا على حياتهم ، والويل لمن يفرط في حرف منها .. ثم سيكون عليهم أن ينقلوا ما تعلموه من هذه الفلسفة أو المعرفة الشيطانية الى السحرة الذين سيلتحقوا بعد ذلك في صفوف المنظمة ، ليعملوا تحت أمرة الشيطان وحسب توجيهاته .. والمفترض حسب الخطة الموضوعة ان ما في هذه الفلسفة اللعينة سيكون حكراً على من هو داخل المنظمة وليس خارجها !

كانت خطة ابليس قد ارتكزت في الاساس على احتكار علوم السحر . انه الســـلاح الرئيسي في خطته ، وكانت المشكلة التي واجهته في هذا الصدد انه لم يكن الأصل أو المنبع لتلقي هذا العلم . ففي ذلك الوقت ، كان هاروت وماروت ما يزالان على عهدهما السابق ــ حيث قيل ان الملكين احتلا مغارة مستورة من أرض بابل .. يعلمان فنون السحر لمن يجيئهما بعد أن يبذلا له كل نصيحة ممكنة بالرجوع . وكانت وفود القادمين من مختلف بقاع الدنيا اليهما لا تنقطع .. كثيرون أغرتهم اخبار السحر وقصص السحرة ، وواتهم الشجاعة لخوض غمار التجربة برغم كل ما يكتنفها من مخاطر !

ولم يكن ابليس قادراً على تجاوز هذه الحقيقة بأي شكل ، لكنه وجد انه يستطيع أن يؤجل تعامله مع طلبة السحر في مغارة هاروت وماروت ، حتى اذا ما انهوا تعليمهم وتخرجوا فانه سيتربص بهم ــ عن طريق اتباعه ــ ليقوم بوضع الخيار امامهم : فإما أن يقبلوا أن يكونوا جزءاً من الطبقة المستتيرة فيكون مسموحاً لهم بمزاولة أعمال السحر والاستمتاع بمزايا العضوية في منظمته ، او يرفضوا الانضمام اليها ، وعند ذاك لن ينتظرهم سوى مصير واحد : الموت قتلاً !

ستكون هذه واحدة من المهام الداخلة في مسؤوليات اتباعه المستتيرين مستقبلاً ، أن يجمعوا شتات السحرة في كل العالم تحت مظلة الاخوية .. تلك هي الطريقة الاسلم لضمان الحفاظ على أسرار علوم السحر .

○ ○ ○

سيكون مطلوباً من السحرة أيضاً أن يتدربوا على كيفية تجنيد العملاء وتوظيفهم للعمل لصالح الاخوية .. يشمل هذا اساليب اختيارهم واختبارهم وتقييمهم ، ومن ثم مفاتحتهم والتأثير على سلوكياتهم وتسمية واجباتهم.. وستحتاج الطبقة المستتيرة بالطبع الى جهود العديد من الافراد من مختلف الطبقات والاختصاصات : نبلاء وأثرياء وعلماء ومثقفون وحرفيون . بل وان حاجتها ستمتد الى من لا يملكون اختصاصاً معيناً او مهنة محددة ، كالعاطلين عن العمل أو الشحاذين أو المنبوذين ، إذ سيسهل تجنيدهم (كجواسيس) يراقبون ويتنصتون على المحيطين بهم دون أن يعيرهم أحد أي أهمية ، فيكونوا مدداً على تدفق المعلومات التي تساعد الاخوية في انجاز مهامها وخططها ..

الحاجة ماسة كذلك الى تجنيد أعداد من القتلة والمجرمين والسفاحين . وعمليات الفرز والتنظيم لهؤلاء ستتكفل بتحويلهم الى القوة الضاربة التي تهدد بها الطبقة المستتيرة خصومها او تتولى تصفيتهم على الفور اذا ما دعت الضرورة ..

ثمة ميادين اخرى سيتلقى السحرة بعض الدروس فيها كلما تقدمت بهم خطوات المشروع الشيطاني على الطريق المرسوم لها ..

سيكون مطلوباً ــ مثلاً ــ أن تقترب بهم الدروس من ميدان الاقتصاد .. سيتعلمون ماذا تعني هذه الكلمة بالمفهوم العلمي الواسع لها !

[وربما لم يكن الاقتصاد معروفاً أيامها بهذا الاسم تحديداً ، لكن مبادئه العامة ظلت ثوابت أساسية لم تتغير في كل زمان ومكان !] .

المال ركيزة أساسية وحيوية في بناء وتسيير برنامج الاخوية ... وعليهم أن يتعرفوا على اساليب تحصيله بكميات كبيرة بصرف النظر عن اخلاقية الوسائل المتبعة لهذا الغرض . هم لن يتورعوا عن استعمال أي وسيلة دنيئة ما دامت تخدم غاياتهم الكبرى ، كالغش والنفاق والرشوة والربا والنصب والاحتيال ...

سيكدسون ثروات طائلة ، وسيعطيهم ابليس طرقاً خاصة في ادارة اموالهم واستثمارها في عمليات اخرى يجنون من وراءها المزيد والمزيد من الارباح !

الاقتصاد له دوره في في خطة الطبقة المستنيرة ، والسياسة أيضاً .

وراح ابليس يشرح للسحرة قواعد اللعبة الجهنمية :

سيزودهم بخبراته في ألاعيب السياسة ومكائدها ... كيف يدبرون المؤامرات التي توقع بالاعداء والمنافسين في شتى البلدان ... كيف يتوصلون الى تحطيم دعائم المجتمع الانساني ، علماً أن المجتمعات الهشة هي التي يسهل اختراقها والسيطرة عليها ... كيف يثيرون حروباً بين القبائل والبلدان ، ثم يستفيدون من نتائج تلك الحروب أياً كان الطرف المنتصر فيها !

السياسة في العرف الشيطاني لا تعترف بالاخلاق . جميع الوسائل مستباحة !

يجب ان يتذكر المستنيرون دائماً انهم قلة في مواجهة عالم بأسره ، فليست الحكمة في الدخول في مجابهة عددية مع الآخرين .. بوسعهم أن يشعلوا الفتن بين الناس في أي مكان دون ان يظهروا في الصورة ، أو يحركوا صراعات كامنة بين الجماعات والدول دون أن يشاركوا هم أنفسهم في تلك الصراعات !

القوى المتصارعة تستنزف وتضعف بعضها بعضاً ، الى أن يخلو (الجو) في الختام لأفراد الاخوية .. وقد تطول الصراعات أو تقصر ، فعلى الطبقة المستنيرة ألا تتورط في أي نشاط قبل الاوان ، تظل قابعة في الظلام وتتحين الفرصة المناسبة ، وحتى اذا ما املت الظروف عليها ان تتحرك ، فيجب ان تأخذ جانب الحذر الشديد وتكون حركتها في حدود المسموح به !

الاخوية تعرف هدفها جيداً ، وهي تتسلل اليه في رفق ودون استعجال يفضح نواياها وخططها : إعداد وتنسيق الاجواء العالمية تمهيداً لعودة الشياطين حتى يتحقق ظهورهم الكامل في الارض ..

[ولاسباب معينة ، وربما لظروف موضوعية حكمت قرار الطبقة المستنيرة في ذلك الوقت ، فانها اختارت ان تبدأ نشاطها الخفي في نفس المكان الذي اجتمعت فيه لاول مرة ... بابل !] .

○ ○ ○

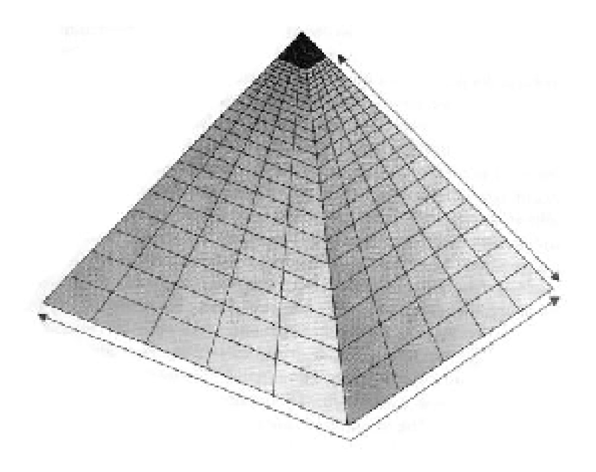
ومضى ابليس في شرحه :

السرية هي العنصر الاساسي الذي يعتمد عليه نجاح البرنامج المقرر ، خصوصاً في مراحله الاولى . فادارة كل عمليات التجنيد والحركات والمؤامرات ينبغي ان تتم ضمن هيكلية عمل تتناسب مع اجواء الصراع وتحقق هذا العنصر ولا تفرط به مهما حصل !

هذه الهيكلية تماثل النظام أو الشكل الهندسي للهرم ، أي تنظيماً هرمياً تتدرج فيه المراتب وتتوزع فيه المسؤوليات والمعلومات بصيغة مرتبة وشاملة ..

قيمة ومقدار المعلومات سيختلفان من مرتبة الى اخرى . فالاسرار والمعلومات الحساسة تظل في حوزة القلة القليلة في اعلى الهرم ، وكلما هبطت تلك المراتب الى الاسفل تقل تلك المعلومات والاسرار في مقدارها وأهميتها !

هؤلاء العاملين في الدرجات الأوطأ من الترتيب الهرمي لن يعرفوا عن تفاصيل البرنامج الشيطاني إلا ما تحدده لهم قيادة التنظيم في اعلى درجات الهرم ، عملاً بالمبدأ المعروف : المعلومات على قدر الحاجة . وقد يصل الامر بالعاملين في المستويات السفلى من قاعدة الهرم الى حد أنهم لا يعرفون شيئاً البتة ، بل ويجهلون ربما انهم عملاء ضمن البرنامج ، وأن لكل منهم رقماً أو علامة في ملفات وخرائط الطبقة المستنيرة !



إن ميزة هذا الشكل الافتراضي للقيادة الهرمية انه قابل للتوسع في كل حين ، ليستوعب جموع الناس التي ستقاد وتساق بطرق ووسائل متنوعة من السيطرة السياسية والمالية والاجتماعية ...

سبق العمل بهذا النظام في مراحل سبقت وصول الاخوية الى سدة الحكم المركزي في اطلانتس ، ثم على مستوى العالم بأسره .. ولقد أثبت كفاءته آنذاك ولسوف يتم تطبيقه مرة اخرى ، هنا في بابل ، مع بعض التعديلات أو اللمسات .

سيتدرج المستنيرون في خطـــواتهم ، وهي خطوات مكتومة وراسخة ومحسوبة بدقة فائقة . في البداية ، سيكون تقدمهم محدوداً وبطيئاً ، لكن القوة الدافعة ستزيد وتتسارع مع مرور الوقت . سيتطلب الامر وقتاً وصبراً بالغين قبل الوصول الى درجة من القوة المطلقة التي لا يستطيع بعدها أي خصم أن يهدد مشروعهم او يمنعهم من التقدم !

هناك عقبة تقف في طريقهم . إذ ان السيطرة المفترضة لن تتم في ظرف سنوات او عقود قليلة .. برنامج العمل طويل في مداه الزمني ، ومراحل تنفيذه يتقاسمها أفراد من بعدين او عالمين مختلفين ..

في عالم الجن ، الاعمار طويلة بما يكفي لتحتوي جميع المراحل أو معظمها . لكن الاوضاع في عالم الانس ليست كذلك ، فاعمار الجنس البشري تقل عن ذلك كثيراً !

[ويبدو ان معدلات الاعمار لبني آدم قد بدأت تتناقص بعد الطوفان وتقل عن اعمار الاسلاف الذين عاشوا قبل الطوفان !] .

ما هو الحل الامثل لهذه العقبة ؟!

ستتدبر الاخوية أمرها باللجوء الى اسلوب التوريث الذي يشمل تلك النخبة المتواجدة قريباً من قمة الهرم ، حيث يتربع ابليس على القمة فوقها وهو يدير العمليات ، قابعاً في الظل وبعيداً عن ميادين النشاط المرئي والمحسوس ...

على النخبة ان تجتمع فيما بينها لتكوّن عائلة واحـــدة . الرجال فيها يتزوجون من النساء ، وينجبون الابناء والاحفاد الذين ستتفرع عنهم عوائل اخرى تتبع ذات النهج الشيطاني ... انهم السلالة التي ستنحدر منها الملكيات والكهانة والطبقات الارستقراطية التي ستؤول اليها سلطة الحكم في المستقبل المنشود !

يجب أن تحتفظ النخبة باسرار السحر والفلسفة الباطنية داخل السلالة ، ولذلك لن تسمح للغرباء من خارجها بأي شكل من اشكال المصاهرة والنسب . وعلى هذا الاساس ، فان الشريعة المقررة لتناسل هذه السلالة تجيز لافرادها تزاوج الامهات مع الابناء ، أو الاخوة مع الاخوات !

[سفاح القربى! ... انه نفس المبدأ المتبع منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا في سلالات الطبقة المستنيرة . ويذكر ان الاخوية الشيطانية في عالم الجن طبقت ــ وتطبق ــ المبدأ نفسه من قبل ، ومنه نشأت ذرية ابليس !] .

يتواصل البرنامج وفقاً لهذا المبدأ .. الآباء يرحلون عن الحياة ، فيستكمل جيل الابناء انجاز الاعمال المعلقة ... لقد اختارهم ابليس ليكونوا حراس البوابة Gatekeepers !

السلالة المخولة بفتح البوابة الفاصلة بين العالمين والاتصال مع أسيادها الشياطين !

○ ○ ○

واستطرد ابليس :

من المتوقع أن يظهر بين الحين والاخر أشخاص نابهون ومغامرون يوقعهم الحظ في طريق الاخوية فيتعرفوا على حقيقة البرنامج السري أو يطلعوا على جوانب منه .. قد يحدث هذا في مراحل لم تكتمل فيها سيطرة الاخوية ، والنتيجة أن مثل هؤلاء سيصبحوا مصدر ازعاج لهم ، وربما خطراً محتملاً يهدد فضح نواياهم امام الناس !

لقد سبق للسحرة ان طرحوا هذه النقطة للنقاش والبحث .. وربما كانوا قد نقلوا تساؤلاتهم ونقاشاتهم الى ابليس ، أو انه بادر بنفسه الى ابداء ملاحظته بشأنها ..

وكان الرد على هذه النقطة بسيطاً للغاية ومفحماً في نفس الوقت : ان أمثال هؤلاء النابهين سيتكفل المجتمع المحيط بهم بايقافهم عند حدهم .. لن يصدقهم أحد وستفشل مبكراً أي محاولات أو دعوات لفضح برنامج الاخوية وحقيقة ما يضمرونه للانسانية !

من الذي سيصدق ان مجموعة أو جهة ما تخطط كل هذا الوقت للسيطرة المطلقة على العالم .. انه هدف لا يصدقه عقل عاقل !

الناس سيعتبرون من يروّج لهذه القضايا معتوهاً لا أكثر .. خاصة وان البشرية لا تعيش عصراً مزدهراً للتقنية ، فكيف يعقل أن يسيطر أحدهم على أراض ومساحات شاسعة لا تربطها خطوط أو وسائل مواصلات فعالة ؟!

ثم ... من سيتقبل فكرة أن الشيطان نفسه من العالم أو البعد الآخر يقود ويوجه بنفسه مخططاً آلياً للسيطرة على جميع البشر .. إن نسبة لا بأس بها من الناس لا تصدق أساساً بوجود ذلك الكائن الناري وتظنه مجرد حكاية أو خرافة قديمة !

ومع ذلك .. فان الامر لن يخلو من المشاكسات التي قد تعرقل المخطط ..

سيظهر أنبياء ومصلحون لا همّ لهم الا التصدي للأخوية ، فيجب ان تكون النخبة مستعدة لمواجهتهم قبل ظهورهم واستفحال دعواتهم !

اخبرهم ابليس أنه تحسب مسبقاً لهذا الاحتمال . هناك على مدار الساعة مجموعات من الشياطين ترابط مختبئة في مواقع مختلفة من السماء أو بين الغيوم ، تراقب وتتجسس لترصد آخر الانباء والاحداث النازلة الى الارض ، ولسوف تأتيهم الشياطين بتفاصيلها قبل وقوعها .

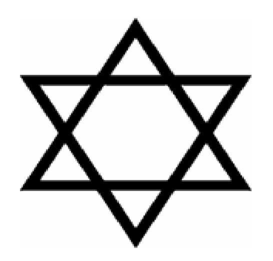
﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ • تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ • يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ •** ﴾ الشعراء ٢٢١ ــ ٢٢٣

[أفاك أثيم : كذاب فاجر] .

○ ○ ○

واستأنفت الاخوية نشاطها من جديد ، كما استعادت كافة رموزها السابقة : الشمس ، الهلال والنجمة الخماسية ، الصليب ، مفتاح الحياة ، اللولب ، الهرم ... غير ان رموزاً اخرى كانت قد اضيفت الى القائمة ...

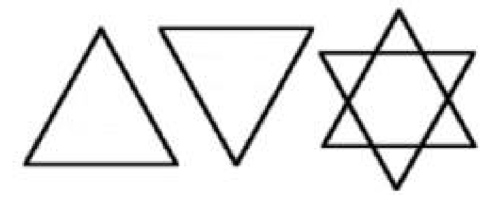
هذه لمحة سريعة لواحد من أهم تلك الرموز ، النجمة السداسية Hexagram :



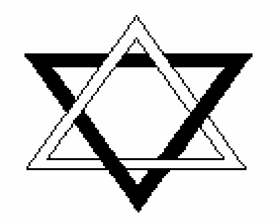
[إن الكلمة الانجليزية Hex تعني سحر او تعويذة] .

ورموز الاخوية في مجملها إما أشكال تمثل بعض الأدوات المستــخدمة في اعمال السحر ، أو علامات تصوّر فلسفة الاتحاد بين العالمين . وبالنسبة للمستنيرين فانه اتحاد أو تحالف مقدس ويكمن فيه سر قوتهم عبر التاريخ !

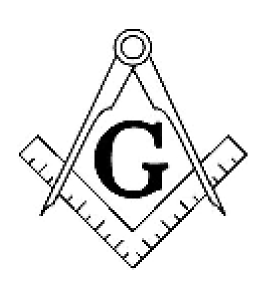
انك تنظر الآن الى ثاني أقدم الاشكال ــ بعد الصليب ــ التي عبرت عن فكرة ذلك التحالف الشرير ..



يلتقي المثلثان او الهرمان ، فينشأ بذلك الاندماج المقصود على شكل نجمة سداسية :



ولقد حدث ان طورت الاخوية هذا الرمز فيما بعد ، فصنعت رمزاً ثانياً شاع في زمننا الحالي على انه شعار المجتمعات السرية الماسونية :



يتقاطع الفرجار الهندسي مع المسطرة المتعامدة ، ويتوسط مساحة التقاطع بينهما الحرف الانجليزي G . وقد حاول الكثيرون ان يفهموا المعنى الكامن وراءه دون ان يتفقوا على تفسير واحد . وفي تقديري أن الحرف يشير الى كلمة Gnosticism .. وهي المعرفة الغنوصية .. التسمية التي يطلقها المستنيرون على تعاليم السحر أو العلوم الباطنية !

[وبديهي انها المعرفة التي جمعت الكفرة في العالمين بعد انقطاع الاتصال بينهما !] .

لدي تفسير ثان .. فالحرف G هو الحرف الاول من كلمة الكأس أو الغريل Grail .. والتي يطلق عليها المستنيرون تسمية الكأس المقدسة Holy Grail .. فما هي الكأس المقدسة وما سر هذه التسمية ؟

كان من عادة الاخوية في كل عصر وزمان أن تسمح بتمرير الفاظ ومصطلحات ذات صلة بثقافتها السرية ، كنوع من الدعاية التي تثير فضول الناس دون ان ترشدهم الى

المعنى للحقيقي لتلك الالفاظ والمصطلحات .. ولقد كانت الكأس المقدسة أكثر تلك المصطلحات التي علقت في أذهان الباحثين والمغامرين وألهمت خيالهم ، فراحوا بدورهم يقودون حملات بحث في كل اتجاه في سبيل ايجادها وحل الغموض الذي يلفها ..

قيل الكثير عن الكأس المقدسة .. وراج في العصور القديمة أنها كأس حقيقية تحوي اكسير الخلود ، وهي تعد شاربيها بمنحهم الحياة الأبدية . ثم اطلقت بعدها اشاعات تاريخـــية تفيد بان الكأس ليست إلا تعبيراً مرادفاً لأشياء أقوى وأخطر بكثير ، وأن من يعي أسرارها الروحية يحصل على قدرات خارقة وغير محدودة !

ولقد حدث في القرون المتقدمة ان اقتحمت الاخوية الاوساط المسيحية وشكلت أو ألفت قواعد وتقاليد الديانة المسيحية على الوجه الذي نعرفه حالياً .. وكان لابد أن تأخذ قصة الكأس المقدسة طابعاً حديثاً وملائماً أكثر بحيث يمس عواطف الملايين من أتباع المسيح ومحبيه .. فكانت الرواية الجديدة عن الغريل تقول انها الكأس التي شرب منها المسيح في العشاء الاخير ثم جُمع فيها دمه بعد صلبه !

أين الحقيقة في كل ذلك ؟ .. الاجابة تتوقف على مدى معرفتك بخفايا الطبقة المستنيرة لكي تستطيع ان تفرز ما هو حقيقي وسط أكوام من القصص والملاحم الاسطورية المنسوجة حول الكأس !

يعتبر المستنيرون أنفسهم حماة الكأس المقدسة ، ويرمزون لها بعلامة النجمة السداسية سالفة الذكر . والواقع ان وجهة نظرهم حول معنى الكأس كانت تختلف وتتطور باستمرار من جيل الى آخر ، فلقد استعملوا المصطلح أول الامر لوصف الاناء أو القدح الذي يشربون فيه الدماء أثناء طقوسهم السحرية . ثم تغيرت دلالته لاحقاً لتشير الى سلالتهم الملكية ، او نسل النخبة من السحرة ... وشيئاً فشيـــئاً توسع استخدام المصطلح ليصبح في النهاية استعارة رمزية تترجم باختصار كل اجزاء القصة : تحالف الجن والانس ، حضارة اطلانتس ، عبادة الشيطان ، السحر ، البوابة ، المعرفة أو الفلسفة الباطنية ، اخوية الطبقة المستنيرة ، عائلات النخبة ، النظام العالمي الجديد ، ... الخ !

○ ○ ○

كانت بابل هي نقطة الانطلاق التي تحركت منها وفيها الطبقة المستنيرة .

في المدن والقرى البابلية ، دبت حركة مريبة وغير معهودة .. أشخاص ظهروا فجأة على السطح وانتشروا بصفة تجار متجولين يبحثون عن فرص للكسب والرزق ، لم يعرف لهم السكان المحليين أصلاً ولا فصلاً ، لكنهم لم يفطنوا الى حقيقة ما كان يجري وقابلوا الامر ببساطة وحسن نية . لم ينتبه أحد منهم الى ان كل واحد من التجار استطاع بعد مدة

قصيرة أن يجد لبضاعته سوقاً رائجة ، ويكدس في جيوبه من اعمال التجارة ثروات لا يستهان بها ، وبوسائل لا يعلمها إلا الله .. !

كما لم ينتبه الناس الى طبيعة الاتصالات والعلاقات التي كانت تربط بين اولئك التجار رغم زعمهم انهم جاؤوا من اماكن وظروف متفرقة !

يضاف الى ذلك ، أن احداً من الناس لم يهتم بالقدر الكافي الى ظاهرة كانت تتكرر بين الحين والحين ، ذلك ان جميع التجار بلا استثناء كانوا يغيبون في رحلات غامضة دون ان يتحدثوا بوضوح عن وجهاتهم وأسباب غيابهم !

هكذا أصبح التجار في فترة قياسية جزءاً من بابل ، مع إبقاء أصولهم وهوياتهم الحقيقية مخفية عن بقية السكان البابليين .

كان السحرة يسيرون بخطى واثقة ومتأنية نحو هدفهم ، وكانت التجارة هي الساتر المثالي الذي أخفوا وراءه حقيقة انشطتهم في بابل ..

توسعت دائرة الزبائن والمعارف من حولهـم . وسرعان ما جرى المال في ايديهم وفيراً .. وحين بدى ان احوالهم المادية أصبحت ميسورة بصورة مُرضية ، قرروا توسيع أعمالهم والانتقال الى مجال آخر ، فاجتمعوا ضمن مشروع مشترك ، وكانت شراكتهم طبيعية امام الناس ولم تثر الشكوك .. قاموا بتأسيس نمط من المؤسسات ذات التعاملات المالية التي لم يعدها احد من قبل ...

كانوا قد أنشؤوا مصرفاً ! .. وكان هذا شيئاً جديداً تماماً بالنسبة لعوام الناس آنذاك . لم تكن لديهم فكرة بان المصارف كانت موجودة بالفعل في الزمن السابق لوقوع الطوفان ، وربما ان طبيعة الحياة وبساطة التعاملات المالية في ذلك العصر لم تستدع الحاجة الى التفكير في اختراع من هذا القبيل !

وشرح السحرة للبابليين ماهية المصرف وأهميته المفترضة .. تقوم فكرته الاساسية على الائتمان ، يقوم الناس بايداع مدخراتهم أو اشيائهم الثمينة في المصرف ، وهو مكان مأمون ومجهز بصناديق حديدية متينة ، وهذا في مقابل اجر معلوم لاصحاب المصرف !

يدير المصرف كذلك نمطاً ثانياً من العمليات المالية يعرف بالقروض .. وفيها يقرض المصرف الاشخاص الراغبين مبالغ معينة ، بشرط سدادها كاملة في مواعيد محددة مع نسب مضافة اليها تدعى : فوائد .. وفي حال تأخر المدين عن موعد التسديد فان للمصرف الحق القانوني في المطالبة الفورية بها بحسب الاتفاق ، او تأجيل الامر مع زيادة الفوائد المترتبة مستقبلاً على الشخص المدين !

كان السحرة يعرفون ما للمال من عنصر جاذبية لا تقاوم ، بالاضافة الى تلك السمعة الحسنة والثقة التي اكتسبوها هم طوال ممارستهم لاعمالهم التجارية .. كل هذا كان كفيلاً بأن يغري البابليين بالاقبال على المصرف والتعامل معه بالقروض وغيرها ..

ولقد حدث هذا فعلاً !
أقبل البابليون على المصرف وتورطوا في عمليات ربوية لا حصر لها .. أسرهم ذلك الاسلوب الرفيع الذي كان اصحاب المصرف يتعاملون به مع زبائنهم . كانت التسهيلات والمسامحات المالية متاحة للزبائن ، وغالباً ما كان يبدو لهم أن أصحاب المصرف سعداء بمساهمتهم في تحقيق احلامهم بالقروض حتى لو كانت كبيرة في مبالغها ...

أساء البابليون تقدير الامور ، وأعمتهم تلك المبالغ التي اقترضوها عن رؤية الحقيقة ، فمن أين لهم ان يسددوها مع فوائدها اذا ما نفدت اموالهم واستحقت القروض آجالها ؟!

وسارت الاحداث في مجراها الذي حفره المستنيرون لها منذ البداية ..

زادت ثروات السحرة من الربا ، فيما غرق العديد من مواطني بابل في ديونهم الى حد ان احتمال تسديدهم لها أصبح مستحيلاً .. وكان لا بد ان يتحرك السحرة لتنفيذ المرحلة الثانية من خطتهم ، وكان منطقهم ان يستفيدوا من الوضع الناشئ بشتى الطرق . ولم يكن امام هؤلاء الذين أعيتهم الحيلة بعدما تراكمت عليهم الديون سوى ان يرضخوا لاكثر الشروط اجحافاً ، إذ وضع السحرة ــ او من صاروا يُعرفون بالمرابين ــ أيديهم على املاك البعض منهم ، كما استغلوا البعض الآخر في القيام بعمليات مشبوهة تحت ضغط الابتزاز ..

وكانت المحصلة أن المصرف تحول مع الوقت من مجرد مؤسسة للائتمان الى امبراطورية مالية نافذة !

○ ○ ○

خلف واجهة المصرف كانت الطبقة المستنيرة تتحرك في الظل وتنشط في عمليات منفصلة لا علاقة لها بالتجارة أو غيرها ..

استثمر المستنيرون ارباحهم في تجنيد القتلة والخارجين عن القانون ليقوموا عنهم بكل اشكال العمليات القذرة : السرقة والقتل والخطف وتهريب المخدرات والدعارة والتجسس وترويع الآمنين ... وبالتدريج بدأ نشاطهم هذا يأخذ شكلا أكثر تنظيماً ، حتى انتهى الى تكوين شبكة مخيفة ضمت عتاة المجرمين ، واخذت تتسع وتتشعب حتى غدت كاخطبوط يمد اذرعه في كل انحاء بابل ..

[ومن المثير أن الاخوية عملت فيما بعد على إدخال مبدأ العائلات في تلك الشبكات على وفق النظام الصارم والمعمول به سلفاً في السلطة الهرمية للطبقة المستنيرة .. وكان مجتمع تلك العائلات هو النواة لما عُرف في العصور اللاحقة بعصابات الجريمة المنظمة ، أو ما يطلقون عليه في عصرنا الحاضر : المافيا Mafia !] .

لقد أصبحت هذه الشبكة قوة مسلحة يُحسب لها ألف حساب . مارست اعمالها القذرة بصورة خفية ، وكان مطلوباً أن تديم اتصالاتها مع المرابين عبر قنوات ولقاءات سرية . وكانت فيما تمارسه من عمليات خطف للاطفال الابرياء مدداً لا ينقطع لتوفير القرابين البشرية التي كان المستنيرون بأمس الحاجة اليها في طقوسهم الدموية ..

تعززت قوة المرابين فضلا عن تعزيز مركزهم المالي ، ليندفعوا بعدها في ميدان السياسة ويصنعوا لانفسهم مكانة مرموقة وسط الشرائح العليا في بابل ، طرقوا أبواب الكبار والاعيان فاستقبلهم هؤلاء بسرور وترحاب .. وطدوا علاقاتهم بالامراء وزعماء القبائل في كل مكان ، وكانوا بالطبع جاهزين لامدادهم بقروض تغطي نفقاتهم الباهظة وتحفظ لهم مكاناتهم الاجتماعية امام الناس !

وجد المستنيرون سبيلهم نحو مواقع النفوذ والسلطة ، وفي البداية تعمدوا التساهل مع كل من كان مديناً لهم ، وذلك بأن يؤجلوا الدفع مع زيادة محسوبة في أرقام الفوائد المفروضة عليه . واذا ما كان ذلك الشخص المدين اميراً او وجيهاً فانه حريص بالقطع على ان يقدم لدائنيه كل انواع التنازلات اتقاءً لشر الفضيحة ..

ودون الدخول في تفاصيل لا ندعي اننا نعرفها بالكامل ، وانما نتحسس طريقنا في خطوطها العامة ــ فان الاخوية خاضت في بحر متلاطم من الدسائس والمؤامرات ، ولقد استغرق هذا وقتاً غير معلوم ، عشرات او ربما مئات من السنوات ، لكنها استطاعت في النهاية ان تحقق ما تريد ... استولت على مواقع الزعامة والنفوذ ، وكان عرش الحكم في بابل مهيئاً بانتظار أن يجلس عليه واحد من أفرادها المستنيرين ..

[وليس معلوماً بالنسبة لنا اذا ما كانت الاخوية قد قفزت الى القمة في دولة أو سلطة واضحة الحدود في بابل ، ام انها نجحت بعد صراعات طويلة في دمج ولايات وملكيات متناحرة ، حتى وحدتها في قالب امبراطوري واحد ، أي على طريقة الولايات المتحدة الاطلنطية !] .

كانت اللحظة الحاسمة في خطة الطبقة المستنيرة تقترب ، وكان أعضاء الاخوية على وشك ان يحظوا اخيراً بدولتهم الخاصة ، والتي سيطلقوا عليها اسماً ستظل اصداؤه تتردد الى يومنا هذا : سومر !

الفصل الخامس

بابل ... أرض الاسرار

المغامرة تبدأ الآن . ومن هذه المرحلة من الكتاب يمكننا القول ان ما فعلته وعاشته الاخوية في بابل منذ قديم الزمان يعتبر البداية الحقيقية لتلك المشاهد العاصفة التي شهدها العراق في كل حروب الخليج ، والتي ما تزال آثارها باقية وفاعلة في المشهد العراقي الحالي !

إن جذور علاقة الطبقة المستنيرة Illuminati بالعراق تعود الى تلك الايام الاولى التي تعلم فيها السحرة سحرهم وأسسوا الخلية الاولى من تنظيمهم السري ..

انها علاقة قديمة ، ومتشابكة .. وفوق ذلك هي متوترة في كل وقت !

ولاربعة عقود خلت كان ظاهراً للعيان ان العراق أصبح تجمعاً لكل بؤر الصراع في العالم .. منذ تبنى النظام العراقي في السبعينات برنامجاً طموحاً للتنمية بعدما تمكن من تأميم موارده النفطية في العام ١٩٧٢ . وكان بادياً اهتمام النظام آنذاك بالقضية الفلسطينية بوصفها (القضية المركزية) ، فجندت الدولة كافة جهودها وامكانياتها في محاربة الصهيونية ـــ وهي الفرع الاشهر من التنظيم الأم للاخوية الحديثة .. وحدث الاحتكاك لاول مرة بالحديد والنار بين العراقيين والاسرائيليين في حرب تشرين ١٩٧٣ في مسرح العمليات السورية ..

وحقاً كانت الطبقة المستنيرة مهتمة بالعراق قبل وقت طويل من تاريخ تلك الحرب وكانت هناك مناسبات سابقة اشتبكت فيها القوات العراقية مع اسرائيل ولو على نطاقات محدودة ، لكن ما فاجأ قادتها في حينه تلك السرعة التي تحرك بها النظام العراقي حين دفع بنخبة قواته ـــ دون تخطيط او ترتيب مسبق ـــ للحاق بمعارك كانت تدور على جبهة تبعد عن حدودها ما يزيد على الالف كيلومتر ..

ودخل العراق في مواجهة جدية مع الطبقة المستنيرة ، وكان لابد ان تتصاعد كثافة العمليات الموجهة ضده .. عمليات على مستوى المخابرات والمؤامرات ، حتى وصلت الى حد الانفجار في العام ١٩٨٠ .. واذا بالعراق نظاماً ودولة وشعباً ، يجد نفسه مستغرقاً في حروب كانت أشبه بسلسلة حرائق متصلة ببعضها البعض ، ولا تعرف بدايتها من نهايتها !

كان العراق مستهدفاً . وكانت القيادة العراقية تشعر دائماً بوجود هذا الاستهداف وعارفة به مسبقاً ، لكنها أبداً لم تخمن حجمه والى أي مدى سيصل .. قامت الحرب مع ايران وطالت معاركها على خلاف كل سوابق الحروب التي التي نشبت من قبل . ورغم علم العراق ان اطالة أمد الحرب كان امراً مقصوداً الى اقصى حد فلم يكن امامه سوى الاندفاع في مجرياتها ومحاولة كسبها بأي ثمن !

وبحلول العام ١٩٨٨ ، بان التفوق العراقي ساحقاً في ميادين القتال الى الحد الذي ادهش جميع المراقبين من الاصدقاء والاعداء على حد سواء .. وكان واضحاً ان الامر خرج من أيدي الايرانيين ، وانه حتى تلك القوى الخفية التي دعمتهم طيلة الاعوام السابقة لم يعد في مقدورها أن تصنع لهم شيئاً إزاء التقدم العراقي المفاجئ في الحرب ..

خرجت إيران مهزومة . وانتهت جولة من الصراع لصالح العراق الذي خرج من الحرب وهو مملوء بالثقة بانتصاراته وقدراته العسكرية ، والاهم أن الحلم أو الهدف القديم ــ فلسطين ــ لم يغب عن ناظريه لحظة واحدة !

وكان على الطبقة المستنيرة ــ أو الايلوميناتي ــ ان تخطط فوراً لجولة جديدة مع العراق تختلف عن سابقتها !

وفي مطلع العام ١٩٩٠ ، بدأت بوادر الازمة تتصاعد .. تبددت فرحة النصر العراقي على ايران بسرعة ، وكان واضحاً أن القوى المعادية على وشك ان تقحم العراق في نفق أطول من سابقه .. وعلى حد تعبير القيادة العراقية في واحد من الخطابات التي تناولت تحليل الأوضاع خلال الازمة ، فان اللاعبين الكبار ــ بريطانيا والولايات المتحدة ــ قد نزلوا هذه المرة بانفسهم الى الساحة وانكشفوا بطولهم وعرضهم ..!

وسارت الأطراف على طريق الازمة المشتعلة ، وكان الصدام في النهاية محققاً !

وحصل بعدها ما حصل في العام ١٩٩١ ، انفتحت ابواب الجحيم على العراق وراحت مصادر النيران ترشقه من كل اتجاه وفي كل اتجاه .. ومع تواصل حملات عسكرية اخذت بعد ذلك تتناوش العراق بين الحين والآخر ، فان حملات اخرى على مستويات دبلوماسية واقتصادية واعلامية راحت تضرب في البنيان العراقي وتستنزفه بانتظام طيلة الاعوام الاثني عشر ، حتى تهاوى البنيان نهائياً في الحرب الاخيرة من حروب الخليج في آذار ــ نيسان ٢٠٠٣ ..

لكن الطبقة المستنيرة لم تنته بعد من العراق . ما زالت تسحق ما تبقى منه باقدامها حتى لو كان مجرد ركام من رماد وحجر .. العراق مشكلة عويصة في فكر ووجدان المستنيرين وحلها لا يتأتى بمجرد احتلاله والقضاء عليه كدولة وكيان ..

كما قلت لك ، انها علاقة قديمة ومتشابكة ، واسبابها أعمق بكثير مما كان ظاهراً على السطح في كل اوقات الازمات والحروب مع النظام العراقي ..

قبل أيام كنت اتابع برنامجاً وثائقياً عن الايلوميناتي والنظام العالمي الجديد . استوقفتني خلال العرض عبارة كانت تقول بالنص :

((Both wars in Iraq were most likely a ritualistic offering to the fallen angels of the great tower)) .

وردت العبارة في سياق الحديث عن عائلات النخبة في الولايات المتحدة الامريكية وعلاقتها بالمشروع الشيطاني .. ولقد قادت هذه العائلات تحالفاً عسكرياً واسعاً في حربي ١٩٩١ و ٢٠٠٣ لضرب العراق ..

[المصادر الغربية في الغالب لا تقترب في أبحاثها من الحرب العراقية الايرانية في الثمانينات ولا تحاول ربطها بمؤامرات الايلوميناتي ضد بابل !] .

إن التحقيق في الحوادث يكشف بجلاء ان أخوية الشيطان شنت هذين الحربين كنوع من طقوس العبادة التي تتقرب بها الى آلهتها : ملائكة برج بابل !

ما الذي يجعل موضوع العراق متداخلا مع افكار وتصورات الاخوية وشياطينها الى ذلك الحد من الهوس ؟!

ان لهذا الامر دواعيه وأسبابه القوية ، وهي دواعي وأسباب تتجاوز المطالب المعروفة للغرب في البترول ، وإن كانت لا تنفصل كثيراً عن مشاعر الكراهية التي تكنها الاخوية تجاه العراق والقيادة العراقية السابقة ... والحقيقة ان القصة تتعلق بذلك الجزء من تاريخ الطبقة المستنيرة وما تعلمه السحرة الاوائل في مغارة هاروت وماروت !

○ ○ ○

مغارة هاروت وماروت !

هل تعتقد أن المغارة اختفت هكذا ببساطة ؟ .. وان الملكين رحلا نهائياً بعد تعليم الجيل الاول من السحرة منذ آلاف السنين ؟!

الحقيقة ان المغارة باقية ولم ينته أمرها . وفصول تعليم السحر ما زالت مستمرة الى يومنا هذا .. يصعب تقبل هذه الحقيقة ، أليس كذلك ؟!

تأمل الآية الكريمة :

﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ١٠٢

إن التعليم والتعلم في الآية جاءا بصيغة المضارع .. فالملكين ما يزالان على حالهما القديم في نفس المكان من بابل ، يقصدهما طلاب السحر من مختلف بقاع الدنيا ، يتلقون النصائح نفسها من الملكين ويستوفون الشرط ذاته قبل الشروع بتعلم السحر : الكفر بالله عز وجل !

وجدير بالذكر ان كل الذين اقتربوا من موضوع السحر ومنابعه توصلوا بشكل او بآخر الى الاكتشاف نفسه .. المغارة حقيقية ، أين تقع ؟ .. لا احد يعرف ، فموقعها في العراق ليس معلوماً بالضبط ، على الاقل بالنسبة للعامة من الناس ، لكنه معلوم بالتأكيد ومرصود بدقة من قبل الاخوية الشيطانية ..

وبتأثير رغبتها باحتكار كل ما يخص السحر وعلومه ، وجدت الطبقة المستنيرة نفسها مطالبة في كل وقت بفرض الوصاية على هذه المغارة ، تبقي عناصرها قريباً منها ، وتحيطها بستار كثيف من السرية والكتمان ، وتتعامل بسرعة مع كل من تستهويه فكرة البحث عنها أو محاولة ايجادها لتلقي العلم الرهيب من مرجعه الاساس في الارض .. تبعده عنها أو ترديه قتيلاً اذا ما أحست بخطر انكشاف موقع المغارة !

[وتتردد الكثير من الروايات والشائعات في زماننا الحالي حول طائفة أو أقلية من عبدة الشيطان في العراق ، تتواجد بشكل دائم قريباً من مغارة هاروت وماروت .. ومهمتها تتلخص في حراسة المغارة وضمان حمايتها من انظار الفضوليين وغيرهم !] .

وتبقى بعد ذلك مجموعة من الدلائل التي تشير الى وجود المغارة في منطقة ما من شمال العراق .. والملاحظ أن الاخوية تبدي اهتماماً لافتاً بما يدور دائماً في تلك المنطقة وتحرص على نحو ما على التواجد فيها تحت ذرائع شتى . والواقع انني تتبعت هذا الامر تاريخياً خلال أكثر من مئة وخمسين عاماً مضت ، ولعله كان كذلك قبل هذا التاريخ بوقت طويل ... فلطالما تواجدت في شمال العراق مجموعات مشبوهة من اليهود تحت غطاء ديني او بصفة بعثات آثارية تقود حملات للتفتيش والتنقيب هناك .. ثم جاءت قضية التمرد الكردي في العصر الحديث ـــ منذ أواخر العهد العثماني ـــ لتشكل ساتراً مثالياً لتغطية انتشار الصهاينة في المناطق الشمالية . إذ داومت طلائعهم على التوافد باستمرار الى هناك على هيئة ارساليات يهودية تبشيرية أو كعناصر مخابراتية وعسكرية توجه وتدعم التمرد

الكردي من جهة ، كما تتفقد الاوضاع في الشمال وتضعها تحت سيطرتها الكاملة من جهة ثانية ..

القضية الكردية لم تكن في حقيقتها سوى مسرحية دامية وقع فيها العراقيون ـــ من الجانبين ، عرباً وأكراداً ـــ ضحايا لحساب انشطة خفية لا علاقة لها بنداءات التحرر والقومية الكردية !

ان هذا الوضع الخاص للحضور اليهودي في الشمال العراقي ظل سارياً حتى هذه اللحظة .. هبت عواصف التغيير جامحة على عموم العراق ، لكن الاحوال في الشمال لم تتغير ، وعناصر الاخوية حافظت على وجودها هناك بغض النظر عن خصوصيات الجانب الكردي وادعاءاته .. ومن المثير ان نعرف أنه في المناطق الكردية تحتل مجموعات من اليهود مواقع بعينها لا يجوز حتى للاكراد دخولها او الاقتراب منها !

ومع ذلك فان اهتمام الطبقة المستنيرة بالعراق ليس مقصوراً فحسب على الجزء الشمالي من أراضيه ، فالتجربة حافلة بما هو أكثر من المغارة العجيبة .. وهذا يعود بنا الى السياق الاصلي للقصة ، وما وقع من احداث بعد ان تسلمت الاخوية زمام السلطة في بابل !

○ ○ ○

كان اعضاء الطبقة المستنيرة في غاية الارتياح ، وقد تحقق أخيراً الجزء الاهم من خطتهم بنجاح ، فهم قد اقتربوا كثيراً من الهدف النهائي ... حسموا كافة الصراعات والمشاكل العالقة لصالحهم ولم يعد ثمة أحد يجرؤ على منازعتهم الامر في بابل ، احكموا قبضتهم على مفاتيح السلطة والنفوذ ولم يعد باقياً سوى اختيار الاكفأ والاقدم منهم ليتربع على العرش ويكون تجسيداً للعهد الجديد في بلاد ما بين النهرين ..

ولقد كانت الترشيحات متفقة تماماً على شخص الحاكم المنتظر ، وكان العرش من نصيب شخص يدعى النمرود ، بصفته أقدم اعضاء الاخوية ، وأول من عقد الولاء للشياطين في بابل ..

[واستناداً الى أقدم نص ماسوني معروف ، وهو مخطوطة العرش Regius Manuscript التي يعود تاريخها الى العام ١٣٩٠ ، فان الاخوية تعتبر النمرود Nimrod المعلم الاعظم وأول ماسوني على وجه الارض .. وهناك أيضاً مخطوطة الشوك Thistle Manuscript من العام ١٧٥٦ ، والتي تشير الى نفس المعلومة !] .

وبدأت بابل عهدها الامبراطوري تحت راية الشيطان . وكان أن اختارت النخبة Elite لدولتها الناشئة اسم : سومر !

[والغريب أن المصادر لا توضح بشكل نهائي أصل هذه التسمية أو معناها !] .

وكان جدول اعمال الاخوية متفق عليه سلفاً ، وهو حافل بترتيبات شاملة على المستويات السياسية والادارية والدينية بما يكفل تدعيم نظام الحكم الجديد :

■ القضاء على كل ما يتصل بالاسلام وتوحيد الله وغير ذلك .. سيعرف البابليون ديناً بديلاً عن ذلك كله .. ومضمون الدين البديل يتلخص في فكرة واحدة : ان مهمة البشر في الارض هي خدمة الآلهة .. وهذه الآلهة الجبارة هي المسؤولة عن كل ظواهر العالم وأحداثه وتقلباته .

■ تحريف القصة الاصلية للطوفان .. ستروي الاخوية للاجيال الناشئة في سومر قصة مغايرة ، ومضمونها ان طوفاناً وقع بالفعل وجرف الارض بسبب نزاع الآلهة واختلافها فيما بينها ، مما أدى الى اغراق الحضارة العظيمة آنذاك : اطلانتس . ورحلت الآلهة عن كوكب الارض لمدة من الزمن ، ثم عادت وهبطت بأطباقها الطائرة في منطقة الخليج العربي .. وكان أن وقع اختيارها على بابل كارض غنية بالثروات وصالحة للاستعمار وبناء الحضارة !

[وبالمثل خططت الاخوية لتحريف القصص والتواريخ الاخرى ، كالخلق وحياة الانسان الاول وأصول الحضارة وغيرها !] .

■ تعريف الشعب البابلـــي بأصول العقيدة الشيطانية دون اطلاعه على أسرار السحر وفنونه ، بمعنى ان الناس سيتعلقون بالآلهة ويتقربون اليها بالدعاء وإهداء القرابين الى المعابد ، لكنهم لن يتعرفوا الى كيفية التواصل معها من خلال الطقوس السحرية .. ستخبرهم الاخوية أن تقديس آلهتهم يتم من خلال الاصنام التي تجسد عظمتهم ، كما ان رؤيتهم متاحة عبر النظر الى الاجرام السماوية : الشمس والقمر ، وكواكب عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل .

■ تقسيم البلاد ادارياً الى مدن ومقاطعات .. أور ، لجش ، نفر ، كيش ، أوروك ، أريدو ، لارسا ، ... كل مدينة منها ستخصص لعبادة أحد الآلهة ، يتوسطها معبد عظيم يدعى الهيكل ، وفيه تقدم القرابين ويمارس الكهنة داخل اقبيته طقوس السحر بسرية تامة .

[مدينة كيش ــ والتي تعرف حالياً بتل الاحيمر ، وتقع آثارها على بعد ٨٠ كيلومتراً جنوبي العاصمة بغداد ــ هي اول مدينة بدأ فيها حراس البوابة نشاطهم واقاموا حضارتهم ، ومنها اطلقوا سلالتهم الملكية في بلاد بابل ، لكن مركز الملكية الرئيسي انتقل في وقت لاحق الى مدينة أوروك Uruk ــ او الوركاء حسب التسمية الحديثة .. وتقع على بعد ٥٠ كيلومتراً شرقي مدينة السماوة ، وهي التي أصبحت تجمعاً يضم كبار الشياطين : آلهة الطبقة المستنيرة !] .

■ عدم الاكتفاء بحدود الدولة في بابل ، فالزحف الامبراطوري سيواصل حركته وانتشاره في الاتجاهات الاربع بلا توقف .. بابل هي نقطة البداية ، والمطلوب بعد ذلك الهيمنة على رقعة العالم بأسره والى الابد .

■ إنشاء قوات مسلحة تليق بالامبراطورية الصاعدة .. جيش جرّار ، بجنوده واسلحته وعتاده ، يلبي مطامح التوسع الامبراطوري ويمثل بالتالي قوة مرعبة تلغي فكرة التصدي لمشاريع الاخوية وتضمن خضوع جميع الشعوب بلا استثناء .

○ ○ ○

على هذه الاسس قامت الحضارة السومرية وثبتت أقدامها في بابل .. وصحيح أن الاخوية افتقدت لموارد الطاقة المطلوبة ، لكنها عوضت هذا الامر بما لديها من علوم احتفظت بها من عهد اطلانتس ... المعرفة التي تتيح لها اختزال الجهد والوقت معاً بالاستفادة من أبسط الوسائل والادوات الموجودة في الطبيعة الى أقصى مدى ، دون الحاجة الى تقنيات حديثة ومرتفعة التكاليف .. واذا بسكان بابل يشهدون باعينهم قفزات مفاجئة ومدهشة في طريقة حياتهم ..

شيدت المباني والمعابد الضخمة ، وتم توسعة المدن ، كما مدّت الطرقات وقنوات الاسالة والارواء .. كانت هذه نهضة هندسية ومعمارية تزيح بالتدريج بساطة الحياة القديمة وتفسح المجال لتقبل نمط من الحياة المرفهة لم يعهده البابليون من قبل !

تقدمت الحياة في العديد من المجالات ، الطب والزراعة والتجارة والصناعة ، وحتى السياسة ! .. فلقد كانت الطبقة المستنيرة حريصة على خلق مناخ مقبول امام الناس للممارسات السياسية في سومر ، على ان يكون هذا مجرد نشاط شكلي لا يتعدى المظاهر ولا يؤثر بالتالي على سير الخطط والاستراتيجيات القومية كما ترسمها الاخوية وتخطط لتنفيذها على المدى البعيد ... وبحكم هذا المنطق تشكل في بابل أول (برلمان) منظم ومؤلف من مجلسين : مجلس النواب ومجلس الشيوخ .. وفي أروقته وطاولاته يكون المجال مفتوحاً لاطلاق الخطابات والادلاء بالآراء بلا قيود ، بما يعزز الوهم بان أحوال الحياة السياسية في البلاد صحية وحيوية ولا تعاني كبتاً من أي نوع !

[ومن الغريب ان هذه الصيغة قد تكررت تاريخياً بعد ذلك ، وكانت مطبقة في نماذج متتابعة من امبراطوريات الاخوية ، وهي ما تزال مطبقة بنجاح في النموذج الامبراطوري الاحدث : الولايات المتحدة الامريكية !] .

كانت الجماهير في بابل مأخوذة بما يجري أمامها ، وكان لابد ان تسأل وتتساءل .. تبحث في خلفية المشهد الماثل ازاءها .. من اين أتى كل هذا التقدم ، وما هي أصول أو جذور كل ذلك القدر من المعارف والمعلومات ؟

وكان الجواب يأتيهم في كل مرة على لسان الكهنة ــ وهم بالطبع القوة الفاعلة والمتحكمة في البلاد بصرف النظر عمن يشغل المواقع الحساسة في الحكم :

ان الحضارة التي يرونها قد هبطت من السماء .. كل والعلوم الانجازات انما هي هبة معطاة من الآلهة العظيمة التي تعرف بالانوناكي Anunnaki .

[وكلمة الانوناكي تعني : القادمون أو الهابطون من السماء !] .

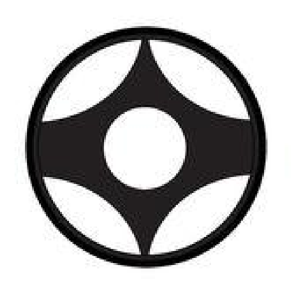
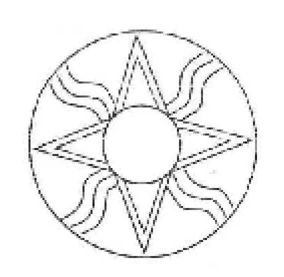
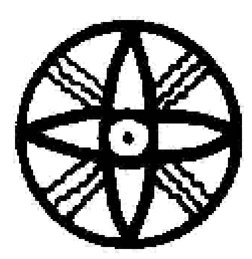
هؤلاء الانوناكي هم مجتمع الآلهة المسؤول عن إدارة الكون ومراقبة ما يدور فيه باستمرار وفقاً لموازين وقوانين موضوعة بدقة ... انهم مجموعة من الكائنات التي تشبه الانسان في الشكل وبعض الصفات ، لكنها فوق البشر وخالدة ، وهي ترعى شؤونهم وتشرف على حضارتهم ومؤسساتهم ، فلولاها لانهارت البلدان وتحولت الحقول والمزارع الى صحارى مقفرة !

وربما ان البابليين لم يكلفوا أنفسهم عناء التوقف والتفكير ملياً في منطقية هذا القول ، ولعلهم كانوا يعانون في الاصل خللاً في دينهم وعقائدهم في تلك اللحظة من التاريخ ، الى درجة انهم نسوا أو تناسوا قصة أبيهم آدم (عليه لسلام) وكيف انه المصدر الحقيقي والوحيد لجميع العلوم والمعارف ، وذلك بتقدير الله تعالى ونعمة منه سبحانه على البشر ... وكان التسليم بألوهية الانوناكي ووصايتهم على الشعب البابلي مسألة حتمية في نهاية المطاف !

○ ○ ○

عادت شياطين اطلانتس للظهور من جديد ، انما مع الفارق هذه المرة في انها ستبرز الى الواجهة بأسماء تختلف عما انتحلته في التجربة الامبراطورية السابقة ..

وعلى سبيل المثال فان كبيرهم ابليس ، بصفته إله الشمس وأبو الآلهة المزعومة ، صار معروفاً لدى السومريين باسم : إنليل Enlil .. ولقد اقترن الرمز التالي بعبادته في بابل واصبح لاحقاً من أشهر رموز عبادة الشمس في التاريخ :

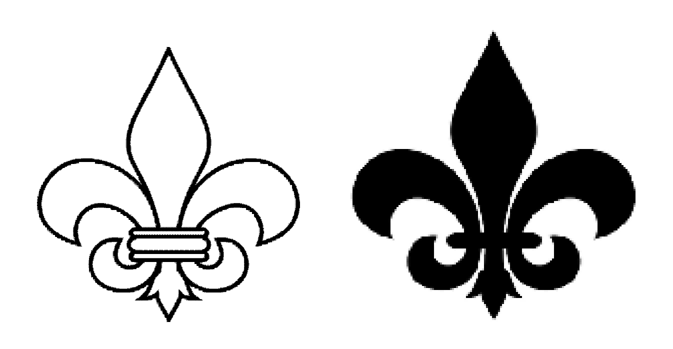
[هل لاحظت هذا الرمز قبلاً ، هل تتذكر رؤيته في أي مكان أو مناسبة أو دعاية ؟ .. الآن تفهم أهمية معرفتنا لمعاني الرموز الوثنية وصلتها المباشرة بموضوعنا !] .

الشيطان ود .. تحول اسمه الى دوموز Dumuzi . وكذلك فان الشيطانة سواع غيرت اسمها الى إنانا Inanna ، وهي في نظر السومريين تمثل الطبيعة الام !

وصل عدد الآلهة في سومر الى المئات ، غير انها لم تكن جميعها بنفس الاهمية أو متساوية المنزلة .. وبالنسبة لاتباع الديانة الوثنية فان الآلهة الثلاثة أعلاه كانوا على رأس المجمع الإلهي السومري ، فهم الثالوث المقدس Holy Trinity في لائحة الآلهة الخالدة : إنليل ، دوموز ، إنانا .. أو الاب ، الابن ، الام (أو السيدة المبجلة) !

[وكان هذا هو الاصل الذي استمدت منه المسيحية لاحقاً نظام التثليث في عقيدتها !] .

ولقد تمثلت الاخوية ثالوثها المقدس في سومر على هيئة الرمز التالي :



[يطلق على هذا الرمز تسمية : زهرة الزنبق أو الليلي Fleur de lis . حيث أصبح في العصور والقرون اللاحقة الشعار الاكثر شهرة للعديد من المنظمات المسيحية والسلالات الملكية الحاكمة في العالم !] .

○ ○ ○

ولم يكن ممكناً مع ذلك العدد الكبير من الشياطين أو الآلهة المزعومة سوى القبول بواقع تقاسم المدن والمقاطعات فيما بينهم .. تم تخصيص كل مدينة او مقاطعة لشيطان واحد او مجموعة من الشياطين ، وذلك حسب جداول تنظم استهلاكهم لوجبات الطاقة السلبية الناجمة عن طقوس السحر داخل المعابد . وغاية ما يعرفه الناس عن الامر انهم مأمورون بخدمة الآلهة ، وذلك عن طريق مدّهم بالقرابين ، حتى يكون بوسعهم التفرغ التام لاعمالهم الإلهية !

وحدث في بعض الحالات ان نظام التقاسم لم يكن كافياً ليحول دون انفلات الامور فيما بين الشياطين ، ومنهم من انتابه الشعور بعدم عدالة القسمة النهائية ، وعليه قرر أن يحققها لنفسه على طريقته الخاصة .. وكانت المفارقة الحاصلة ان إلهاً في مدينة معينة كان يقوم بتحريض اتباعه على غزو مدينة مجاورة ، فيرد إله تلك المدينة بتحريض مماثل !

كانت الحروب تندلع بين المدن السومرية لاسباب من هذا القبيل . والغالب ان نتائجها النهائية كانت واحدة ، إذ تؤول السلطة الروحية الى الإله الرابح ويزيد نصيبه المفترض من القرابين المقدمة الى المعابد !

هكذا كانت تجري الامور : شياطين تؤجج النيران ، واناس يتنازعون ويتقاتلون حتى الموت ، في معارك يخرجون منها مهزومين أياً كان الطرف المنتصر منهم ، وتكون أرباحها من نصيب غيرهم !

كانت الامبراطورية الناهضة موحدة برغم كل شئ ، مع التسليم باحتمالات الخلل عند اختلاف اصحابها ــ على اختلاف مراتبهم ــ حول نصيب كل منهم في الغنائم !

وفي المحصلة فان تلبية احتياجات الشياطين في هذا الصدد ألزمت الاخوية بسياسة شاملة لفض النزاعات عبر مضاعفة عدد الهياكل المبنية في كافة مدن ومقاطعات سومر ، ومعها تضاعفت أعداد التماثيل والاهرامات الملحقة بالهياكل ..

[والهرم في الحضارة السومرية يعرف بالزقورة Ziggurat ، وهو نموذج خاص من الاشكال الهرمية وبناؤه مؤلف من عدة طبقات !] .

○ ○ ○

اطمأنت الطبقة المستنيرة الى استتباب حكمها في بلاد بابل ، وشعرت ان الوقت حان لتنتقل الى المرحلة الثانية من مشروعها في محاولة لاستعادة الحلم القديم : إيجاد موارد الطاقة .. لقد حققت حتى الآن تقدماً لا يمكن انكاره ، لكنه تقدم يظل محدوداً في مداه ولا

يرتقي الى (العالمية) المنشودة ، وفوق ذلك فانه مهدد بالتوقف في أية لحظة أو حتى التراجع في حال لم تتم استعادة التقنية ومخترعاتها السابقة !

وتحولت الجهود في سومر الى حملات دؤوبة للتنقيب في مواقع مختارة من الاراضي البابلية بحثاً عن الثروات الكامنة في اعماقها ... جندت الاخوية امكاناتها البشرية والمالية في استخراج انواع شتى من المعادن والمواد الثمينة ، كما استفادت من خبراتها ووظفت طاقماً من علمائها لمتابعة البحث وتقييم المواد والمعادن المستخرجة من حيث صلاحيتها لتكون موارد طاقة بديلة عن تلك التي استنفدت بسبب الطوفان ..

وربما أن المستتيرين لم يمتلكوا في حينها تصوراً كاملاً لطبيعة الموارد التي يبحثون عنها . والارجح انهم أجروا التجارب على أشكال اخرى من قوى الطبيعة ، كحرارة الشمس وقوة الرياح وحركة المياه ، دون ان تعطيهم تجاربهم البدائل المرجوة ..

ومن بين الحملات المتعددة التي اطلقتها الاخوية وأشرفت عليها ، فان حملات البحث عن الذهب كانت قد نالت منها اهتماماً استثنائياً .. وتلك قصة تحمل في طياتها أسراراً تكشفت لنا بعض اجزاءها ، فيما البعض الآخر ظل خافياً لم يكشف عنه النقاب بعد !

وبداية القصة يرويها الأنوناكي لاتباعهم السحرة في سومر ، وكيف انهم قدموا الى الارض قبل آلاف السنين للبحث عن مناجم الذهب . وكانت الحملات الاولى قد وجدت طريقها في قارة افريقيا ، ثم انها تركزت ختاماً في مواقع من زمبابواي ..

وحسب الرواية المسجلة في الالواح السومرية ــ وهي رواية تحتمل الصدق أو الكذب أو الحذف او الاضافة ، أو حتى الخطأ في الترجمة ، فلا يجب ان يؤخذ محتواها على انه حقيقة حرفية! ــ فان تلك الحملات قد تكللت بالنجاح وحمل الانوناكي حصيلة الذهب المستخرج معهم الى حيث قواعدهم الفضائية خارج الارض !!

لم يوضح الانوناكي سبب اهتمامهم بمستودعات الذهب ، وإن كانوا قد اخبروا اتباعهم انهم يحتاجونه ــ بعد معالجته بعمليات تعدين خاصة ــ كعنصر حيوي يحفظ لهم المجال الجوي في عالمهم !

وبصرف النظر عن حقيقة هذه الرواية او بطلانها ، فان الاخوية عاودت الاهتمام بقضية الذهب مجدداً بعد استعمارها لبلاد بابل .. وقد أخبر الانوناكي السومريين ان لديهم معلومات مؤكدة بوجود كميات كبيرة من الذهب في بابل تحت سطح الارض ، وان مخزونه ــ ولعله أكبر مخزون ذهب في العالم ــ لم يتم اكتشافه بعد . لكنهم لم يتوصلوا الى تقديرات نهائية حول أماكن تواجده ، وقد يطول هذا الامر لبعض الوقت ..

وهكذا فان واجبات العمل بالنسبة للسومريين قد تحددت بضرورة استئناف عملية البحث والعثور على هذا الذهب . انها مسألة حياة أو موت ، فآلهتهم كانت قاطعة في هذا التكليف وكان بادياً انها داخلة في سباق لن تدخر جهداً في الفوز به والانفراد بجائزته بأي ثمن !

○ ○ ○

ويلوح الاستنتاج بأن حملات التنقيب السومرية قد انهمكت لسنوات في بحثها وجابت طولاً وعرضاً في أراضي بابل ، لكنها في النهاية لم تعثر على ضالتها الكبرى من الكنز المفترض .. والمتوقع ان الظروف اللاحقة ــ عقب سقوط الامبراطورية السومرية ــ لم تساعد على استكمال البحث وأدت الى توقفه كمشروع مؤجل تتوق الاخوية الى متابعته في ظروف مواتية أكثر ..

ولقد حدث هذا بالفعل !

قررت الاخوية ان تعيد الكرة بعد آلاف السنين ــ وتحديداً في عصرنا الحالي . وكأن كل تلك القرون والعصور التي انقضت لم تغير شيئاً من قناعات المستنيرين ولم تجعل بصرهم يشيح عن أرض يعتقدون اعتقاداً راسخاً بانها مثقلة بمخزون طائل من الذهب !

نحن نعرف كذلك من حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) ان كنزاً من هذا النوع موجود بالفعل ، وهو راقد تحت المياه في بقعة ما من نهر الفرات بانتظار أن تظهر بوادره في توقيت قريب من نهاية الزمان .. ووصية النبي (عليه الصلاة والسلام) للمسلمين صريحة وقاطعة بعدم التورط في منازعات دامية ستندلع تلقائياً بين المتنافسين على نهب هذا الذهب بعد انحسار مياه الفرات ..

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((لا تقوم الساعة حتى يُحْسَر الفرات عن جبل من ذهب . يقتتل الناس عليه . فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون . ويقول كل رجل منهم : لعلي أكون أنا الذي أنجو)) . [صحيح ، مسلم : ٢٨٩٤] .

وفي رواية ثانية ، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا)) . [صحيح ، البخاري : ٧١١٩ ، مسلم : ٢٨٩٤ ، أبو داود : ٤٣١٣ ، الترمذي : ٢٥٦٩] .

وعن عبد الله بن الحارث بن نوفل (رضي الله عنه) قال : كنت واقفا مع أبي بن كعب . فقال : لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا . قلت : أجل . قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب . فإذا سمع به الناس ساروا إليه . فيقول من عنده : لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله . قال فيقتتلون عليه . فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون)) . [صحيح ، مسلم : ٢٨٩٥] .

ويظهر جلياً ان الاحاديث النبوية تذكر نهر الفرات عموماً ولا ترصد الارض العراقية بالضرورة مسرحاً للفتنة المرتقبة . والمعروف ان منابع النهر تنطلق من الهضبة التركية ، فيواصل سيره جنوباً نحو الاراضي السورية ، ثم يمتد مجراه بعد ذلك حتى يدخل الاراضي العراقية من ناحيتها الغربية ..

أي ان دولاً ثلاث ــ تركيا وسوريا والعراق ــ تحتضن مجرى الفرات ، وكل دولة منها مرشحة بديهياً للحدث المذكور عند وقوعه مستقبلاً ــ عاجلاً او آجلاً ... ومع ذلك فان الطبقة المستنيرة تملك دوافع قوية للاعتقاد بان العراق دون غيره هو مستودع الذهب المطلوب !

○ ○ ○

وعقب انتهاء العمليات العسكرية في حرب الخليج ١٩٩١ ، كان صبر الاخوية نافداً وكانت لهفتها على الذهب المخبوء في الفرات قد بلغت أقصاها ، حتى قررت ان تتولى الامر على مسؤوليتها .. وكان ملخص أفكارها هذه المرة ان وسائل التقنية قد أصبحت متاحة لها على كافة المستويات ، فلم لا تستغلها لتعجل بجفاف نهر الفرات في العراق بدلاً من الجلوس والانتظار لآجال أطول ؟!

ومن هنا طرحت الى العلن مشاريع اقامة السدود على نهري دجلة والفرات بغرض حجب المياه عن الاراضي العربية . وكانت الحكومة التركية في حينها هي واجهة تلك المشاريع .. علماً ان فكرة احتكار احواض المياه في تركيا وتقنين حصصها الذاهبة الى العرب كانت لها مقدمات دعاية سابقة تبناها منذ ستينات القرن العشرين مهندس وسياسي تركي يدعى سليمان ديميريل !

كان ديميريل منذ مطلع شبابه متحمساً الى حد التطرف من اجل الترويج لمفهوم سيادة تركية خالصة على موارد المياه في دجلة والفرات ، لا تقبل الجدال او المساومة .. خاض في ميادين السياسة وكانت مسيرته السياسية حافلة بالمفارقات والعجائب . تدرج في مواقع قيادية عدة ضمن المؤسسات الرسمية للدولة التركية . ثم تقلد منصب رئيس الوزراء لاكثر من مرة ، وفي العام ١٩٩٣ ارتقى الى كرسي الرئاسة !

[شكل ديميريل على امتداد تاريخه السياسي الطويل سبع حكومات مختلفة الاتجاهات والانتماءات الحزبية ، لكن سياساتها دائماً كانت تدور حول شخصية ديميريل نفسه ، أو هكذا كان يبدو !] .

اعتبر ديميريل القضية المائية معركة مفتوحة مع العرب ، وكانت التسعينات هي الحقبة التي لاحق فيها أحلامه في السيادة المطلقة على المياه ، ثم انه قطع في تحقيقها بعد ذلك

أشواطاً متقدمة . وبرزت الى السطح أوراق مشروع استراتيجي قديم لاقامة سدود عملاقة على نهري دجلة والفرات ، أطلق عليه مشروع جنوب شرقي الاناضول ، وهو المعروف اختصاراً في وسائل الاعلام بمشروع الغاب .G.A.P . وكان الوقت قد حان لتدخل هذه الاوراق والخطط حيز التنفيذ .. وكانت وجهة نظر ديميريل وقتها : ((ان المياه التي تنبع من تركيا هي ملك لتركيا ، كما ان النفط هو ملك للبلدان العربية التي ينبع فيها .. ونحن لا نقول لهم اننا نريد مشاركتهم في نفطهم . وبالمثل فاننا لا نريد أن يشاركونا في مياهنا)) .

ومشروع الغاب يعتبر من حيث المساحة الأضخم في العالم ، وهو مؤلف من ٢٢ سداً ينتهي انجازها جميعاً في العام ٢٠١٤ طبقاً للمخططات المقررة . وكان افتتاح أكبر سدود المشروع في العام ١٩٩٢ ــ سد اتاتورك على نهر الفرات ــ مناسبة درامية صاخبة حشدت لها تركيا حضوراً دبلوماسياً كبيراً : رؤساء وسفراء مثلوا ٢٩ دولة في العالم ..

والمثير للدهشة ان العرب لم ينتبهوا ــ ولعلهم لم يرغبوا بالانتباه ــ الى حقيقة ان إنشاء السدود جرى دعمه بتمويل مباشر من اسرائيل . وكان المسؤولون الاسرائيليون في فترات متعاقبة حريصون على زيارة تركيا والاشراف بانفسهم على سير عمليات المشروع .. وأكثر من ذلك فان ٦٧ شركة اسرائيلية تحملت على عاتقها مهمات البناء والتنفيذ ، كما أنها تعاقدت مع الجانب التركي على شراء الاراضي المحيطة بضفاف الفرات مع حرية التصرف بفوائض المياه الناتجة !

ومعنى ذلك أن تركيا ظلت طوال عقود تحلم وتروّج بقوة لنداء السيادة المائية ، ثم انتهى بها المطاف الى أن تسلم احلامها وأراضيها ومياهها (مع الامتيازات والفوائد) الى الاسرائيليين !

هل ما زلت تشك بحقيقة ان الاخوية تقف وراء هذا الامر ؟!

[في وقت لاحق قرر النظام السوري دخول اللعبة ، وباشر بانشاء السدود على مجرى نهر الفرات المار عبر أراضيه ليحجب تدفق المياه الى العراق ، فيما تكفلت الكويت بعمليات التمويل اللازمة للمشروع !] .

وراحت الطبقة المستنيرة تراقب وتترقب .. ثم ان عمليات المراقبة أخذت تتم باحدث تكنولوجيا للاقمار الصناعية الامريكية ــ وفي بعض الاحيان كانت تتم الاستعانة بتصاوير تلتقطها طائرات تحوم وتحلق في الاجواء بدون طيار ! . وركزت الكاميرات عدساتها على العراق ، والغرض إجراء مســح عام وشامل قدر الامكان لتغطية مناطق متفرقة من التضاريس العراقية ، وأهمها مجرى نهر الفرات . وكانت حصيلة الصــور الملتقطة والمكبرة توضع أولا بأول تحت يد فريق من العلماء المتخصصين في الجيولوجيا بهدف تحليلها وتخمين المواقع التي يتوقعون وجود الذهب فيها !

وبدأت السدود تحدث تأثيرها .. وفي البداية كانت وتيرة هذا التأثير بطيئة وغير محسوسة .. ثم انها راحت تتسارع ، شهراً وراء شهر وعاماً تلو عام ..

وبدأ منسوب المياه العراقية بالانخفاض .

○ ○ ○

ولم تسفر عمليات التصوير والبحث عن شئ .. لكن الأخوية لم تقتنع بالنتائج ، كما ان حركتها لم تهدأ .. ووصلت بعد ذلك الى قناعة نهائية بان تخرج عن صمتها وتتدفع في مشروعها خطوات الى الامام ..

وفي العام ٢٠٠٠ ارتفعت الأصوات عالياً في الولايات المتحدة ــ ثم في أوربا ، وبعدها في أرجاء العالم كافة ــ تبشر بقرب عودة المسيح الى الارض وتطالب اتباعه بالاستعداد لاستقباله على النحو اللائق ... وكانت الطائفة الميثودية في مقدمة من قاموا بتسويق هذا الامر اعلامياً !

[الطائفة الميثودية Methodist Brotherhood ــ والتي يعرف أعضائها بأصحاب (الطريقة) او (المنهج) .. وهي احدى الاخويات الحديثة التي ظهرت خلال القرن الثامن عشر في بريطانيا . ثم نقلت نشاطها لاحقاً الى الولايات المتحدة الامريكية ، حيث كشــفت دعواتها ووسعت نفوذها ونجحت في استقطاب العديدين الى صفوف جمعياتها ، وفيهم رؤساء ووجهاء وأصحاب قوة ونفوذ على مستوى عالمي . ويقال ان تعداد المنتمين اليها وصل اليوم الى سبعين مليوناً في كل انحاء العالم ..
تشكل هذه الاخوية إطاراً للتعصب الديني يجمع ما بين المعتقدات المسيحية والصهيونية ويحث الجهود لتمهيد عودة المسيح ومن ثم الالتحاق بصفوف جيشه الذي سيسحق المسلمين أولاً ثم يقضي على بقية الطوائف والاديان في الارض !] .

وكانت خلاصة ما دعت اليه الميثودية في القرن الجديد :

■ أن عودة المسيح المخلص باتت وشيكة ، وأنهم ــ الميثوديين ــ جنوده الاوفياء الذين سيكونوا في طليعة القوات التي سيقودها بنفسه ضد اعداءه .

■ غير ان المسيح لن يخرج الى النور قبل ان تتحقق ثلاثة أمور أساسية . الاول : احتلال العراق ، والثاني : العثور على جبل الذهب ، والثالث : هدم المسجد الاقصى واقامة الهيكل المقدس على انقاضه .

■ يتحمل الميثوديون مسؤولية تحقيق هذه الامور بأقصى سرعة ممكنة ، وأي تأخير او تهاون من قبلهم فان لعنة المسيح ستحل عليهم الى الابد .

■ وبالنسبة للعراق فانه القوة الأخطر على أورشليم والاسرائيليين .. ولذلك ينبغي التخلص من خطره باحتلاله وتدميره كدولة وككيان .

■ ثم يأتي ثانياً موضوع الذهب . وهو ذهب من طراز خالص النقاء ، ومخزونه الكبير لم يكتشف بعد ، والمؤكد انه موجود في دولة تنطبق مواصفاتها انطباقاً على العراق ..
■ وسيكون متوقعاً ان ينشب اقتتال عنيف من أجل الحصول على الذهب والاستئثار به في حال تم العثور عليه . وستطول فترات الاقتتال قبل ان تربح الاخوية الميثودية هذا الاقتتال وتنتزع غنيمتها كاملة بغير شريك .
■ ويجب الاخذ في الاعتبار ان السيطرة على العراق لابد ان تكون دائمة ونهائية . وفي حال اخفقت الميثودية في هذا الشأن فهذا يعني نهوض العراق واستفحال قوته وتهديداته ضد اسرائيل ، مما يتسبب بتأخير ظهور المسيح لبضعة مئات من الاعوام .

وهكذا ، في تلك اللحظة من بدايات القرن الحادي والعشرين ، اخرجت الاخوية سر أسرارها ــ جبل الذهب ــ الى العلن وجعلته موضوعاً مطروحاً على المشاع !

ووقع غزو العراق في العام ٢٠٠٣ .. غارة كاسحة اجتاحت أراضيه واطبقت على مفاصله لتحطمها تحطيماً . وفور انقشاع دخان المعارك كانت فرق البحث ــ من جنسيات متعددة ــ جاهزة لتنتشر وتبدأ مهامها المنتظرة ... كان منسوب المياه آخذاً بالانخفاض بشكل مستمر وكانت الاجواء مناسبة تماماً لتنطلق حملات التنقيب عن الكنز !

اليوم .. وطبقاً للمعلومات والاحصائيات المتداولة حول أوضاع الانهار العراقية ، فان منسوب المياه في نهر الفرات وصل الى النصف .

كيف ومتى سينتهي سباق المياه والذهب في العراق ؟ ... الله وحده يعلم .

○ ○ ○

ولابد لنا من الاعتراف ــ انصافاً ــ بان الاخوية الشيطانية على امتداد تاريخها الطويل اتصفت بعناد وتصميم تحسد عليهما ، فهي لا تتراجع عن تحقيق اهدافها مهما كانت العقبات والعراقيل التي تعترض مسارها .. وفي حالات معينة ، واذا ما أعيتها الحيلة في اجتياز حاجز ما فانها غالباً ما كانت تفكر ــ بمرونة ــ في إيجاد طريقة للالتفاف حوله .. ولقد حدث هذا المثال في عهد الامبراطورية السومرية ..

بذلت الاخوية جهدها للبحث عن مصادر للطاقة تعيد لها تقنيتها الضائعة . واخفقت !

وبذلت جهدها في إخراج الذهب من مكمنه . واخفقت أيضاً !

ومع ذلك فانها لم تكن مستعدة للتنازل عن شعار (العالمية) ، ولقد حفزتها اخفاقاتها المتكررة على الالتفاف والتحرك في اتجاهات وميادين اخرى . فاذا لم يكن ممكناً امتلاك

تقنيات ووسائل عسكرية متقدمة تساعدها على التوسع الامبراطوري في كل العالم ، فانها تستطيع بطريقة ما ان تجتذب هذا العالم اليها بدلاً من تحمل تكاليف الذهاب اليه !

[وكانت هذه البداية لفكرة شريرة راحت تتبلور في اذهان المستنيرين وتتشكل ملامحها وتتحدد تفاصيلها مع تقدم الزمان !] .

النظام العالمي الجديد يجب أن يحل محل النظام العالمي القديم .

[تلك هي العقدة الازلية في تفكير الطبقة المستنيرة !] .

ثم ان مكة المكرمة هي قلب النظام القديم ومركزه الجامع لحشود غفيرة من المسلمين تفد اليه من كل بقعة وناحية في العالم ، ولذلك فان سومر يجب أن تكون القلب الذي يمثل النظام العالمي الجديد ومركز الاستنارة الاوحد لشعوب الارض ..

وبالمثل ، فان البيت الحرام جسد طيلة قرون رمزاً مادياً ــ على بساطة بناءه ــ تتطلع اليه أبصار المسلمين وتجد في الحج اليه ورؤيته ملاذاً روحياً للنفوس .. وعلى هذا الاساس فان الطبقة المستــنيرة مطالبة ببناء رمزها الخاص في بابل .. صرح معماري يجسد عظمة الامبراطورية ويؤكد سطوتها ، بل ويتفوق على البيت الحرام في شكله وتصميمه ليتحول الى عامل اجتذاب لشعوب العالم الجديد ..

ومن هنا بدأ خيال المستنيرين يسرح في كل الآفاق ، يبحث ويقلب في ماهية الرمز المطلوب تشييده . وبمقتضى ما كان يسيطر عليهم من الشعور بأحقيتهم بالعلو والصدارة في الارض ، فان خيالهم انتهى الى ضرورة أن يكون ذلك الرمز صورة آسرة وموحية بعلوّهم وارتفاعهم على من سواهم ..

كانت الطبقة المستنيرة قد عقدت العزم على مشروع ضخم ــ والاخويــة بوجه عام سباقة ومولعة بالدخول في مشاريع ضخمة في كل زمان ومكان !

ستبني برجاً شاهق الارتفاع .. بنيان شامخ ومتطاول على ما حوله . ولن يكون في مقدور أحد من اهل ذلك الزمان إلا ان يقف مشدوهاً لدى رؤيته والتطلع الى طوابقه وهي تتراكم وتعلو حتى تبدو وكأنها تعانق السماء !

سيكون هذا البرج شاهداً أبدياً على جبروت النخبة Elite وتحدّيها لارادة الله .. وستصبح قمته العين المطلة على ملكوت الاخوية في الارض ..

○ ○ ○

انها اسطورة برج بابل Tower of Babel !

ومن عادة الأساطير التي تخص أعمال وانجازات القائمين على الامم والحضارات القديمة ، ان أصحابها يمجدونها ويبالغون في عرضها ضمن كتاباتهم ومذكراتهم ، دون أن يكشفوا النقاب عن الطرق والتفاصيل الفنية التي اعتمدوا عليها لانجاز تلك الاعمال ..

الاخوية تعرف كيف تحفظ اسرارها بدهاء ... تحذف من مدوناتها كل ما يتعلق بالتكنولوجيا المستخدمة في البناء او الاختراع ، مبقية على صورة الانجاز النهائي لها وحولها هالة من الخيال والمبالغات .. وحتى اذا ما تطرقت الى الكيفية التي توصلت بها الى هذا الانجاز او ذاك فانها تنسب فضله في الغالب الى (الآلهة) المقدسة التي زودتها بالحكمة والمعرفة اللازمة !

وفي حالة برج بابل فان الخيال اختلط بالحقيقة بأكثر من اللازم ، فالاسطورة المروية تتمادى في وصفه والتباهي بفخامة بنائه .. وتقول عنه أن بناة البرج ـــ وعلى رأسهم الملك النمرود ـــ قصدوا من وراءه الصعود الى السماء للوصول الى عرش الرب !

القصة متداولة في العديد من الاخبار التاريخية ، كما أنها مذكورة في الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين ضمن نسخة التوراة الحالية ، وكان تأويل من بحثوا في الأصول الحقيقية للقصة ان النمرود بنى ذلك البرج من أجل الصعود الى الله عز وجل في اعالي السماء لمحاربته والقضاء عليه ! .. كما أن بعضهم ربط هذه الفقرة بالذات مع ما ورد في القرآن الكريم حول فرعون وحواره مع مستشاره هامان :

﴿ **فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ القصص ٣٨

وتقديري أن نصوص الاسطورة على اختلاف مصادرها ـــ وبغض النظر عن الحقيقة او التحريف في احداثها المنقولة لنا ـــ تشير الى معنى معاكس . فالرب الذي قصد النمرود الصعود اليه ليس الله عز وجل .. لقد كان يقصد الالتقاء بإله آخر ، ودواعي اللقاء لا علاقة لها بالتحدي أو التصادم مع ذلك الإله ..

حين تتحدث الاخوية عن الرب أو الإله ، فانها تعني واحداً من الآلهة المعبودة في العقيدة الشيطانية . والمقصود في الغالب هو ابليس نفسه !

[وأضيف كذلك أن الخطأ الحاصل احياناً في ترجمة كلمة God هو الذي تسبب في التباس الباحثين الذي حاولوا تفسير العبارة الواردة ضمن شعارات الايلوميناتي او الطبقة المستنيرة على ورقة الدولار الامريكي : In God We Trust .. في حال ترجمت الكلمة الى (الله) فان هذا يفضي الى عبارة

معناها : بالله نؤمن . وهو تعبير يتناقض بقوة مع كل المعتقدات الوثنية المتعارف عليها للاخوية الشيطانية ... والترجمة الصحيحة للكلمة ــ حسب رأيي ــ هي الرب .. أي انه يؤمنون بربهم ويثقون به : إله الطبقة المستنيرة !] .

أعرض هنا وجهة نظري الشخصية حول قصة البرج ، بما يتماشى مع السياق الاصلي لقصة الطبقة المستنيرة وعهدها الامبراطوري في بابل :

أصدر النمرود تعليماته الى حشد غفير من الخبراء والاستشاريين والبنائين والحرفيين للشروع ببناء البرج العملاق . وكانت الشياطين تشرف بنفسها على عمليات التصميم والبناء عن بعد .. تعطي تعليماتها الى السحرة أولاً بأول في طقوس واجتماعات شيطانية كانت تعقد بانتظام في غرف ودهاليز سرية داخل معابد بابل .. وضعت الشياطين الخرائط اللازمة للبرج ، وكانت واجبات الشغل والتنفيذ بعد ذلك من مسؤولية النخبة ومجموعاتهم العاملة في سومر ..

سارت عمليات البناء على ما يرام . وأسهمت الشياطين بما عندها من علوم ومعارف تستعيض بها عن التقنية وتستثمر ما هو متوفر من المواد والخامات الطبيعية ، كما انها تساعد على اختصار الوقت اللازم لانهاء عمليات البناء ..

[وغالب الظن ان عمليات البناء جرت اعتماداً على أسس ما يُعرف لدى الاخوية بعلم الهندسة المقدسة Sacred Geometry .. ومضمونه يشمل تلك الاشكال والمجسمات الهندسية التي يمكن ضبط مواقعها للتعامل مع مجالات الطاقة الكهرومغناطيسية والسيطرة على مقاديرها !] .

ولقد تم كل شئ في زمن قياسي .. اكتمل بناء البرج ، وأصبح أخيراً حقيقة ماثلة وسط بابل !

كتلة حجرية طاغية ومخيفة ، تمتد قواعها على مساحة رقعة شاسعة من الارض ، وتنصهر فيها ابداعات الهندسة والفن على نحو رائع .. والواقع انه لم يكن برجاً تقليدياً بالمعنى المألوف بين الناس . بل كان مدينة هائلة الاتساع ومتعددة الطبقات .. مدينة أولى تعلوها مدينة ثانية ، وتقع فوقها مدينة ثالثة ، ورابعة .. وهكذا ترتفع طبقات المدن حتى تنتهي الى قمة منقوصة وغير مكتملة البناء !

ضمّت احدى طبقات البرج مبنى المكتبة .. أكبر مكتبة في عالم ذلك الزمان !

[ولعلها كانت شيئاً شبيهاً بمكتبة الفاتيكان الشهيرة في عصرنا الحاضر !] .

كان من اهداف الطبقة المستنيرة ان تجعل بابل ملء اسماع وابصار الناس من كل حدب وصوب .. عاصمة عالمية للعلوم لا نظير لها ، يجتمع فيها كل ما فكر به الانسان ، كل ما رآه او سمع به ، وكل ما أهدته الآلهة اياه .. حتى يتسنى لها الوصول الى (المعرفة المطلقة) التي تمنحها (حكماً مطلقاً) على كل بلدان الارض !

وهكذا في رفوف تلك المكتبة جمعت النخبة ثرواتها النفيسة من المعارف .. آلاف الالواح ولفائف المخطوطات والسجلات ، والتي لم يكن مسموحاً لاحد بالاطلاع عليها ما لم يكن منتمياً الى الأخوية كواحد من اصحاب المقام الرفيع ، او انه كان يحمل تصريحاً خاصاً بولوج المكتبة ، وهو تصريح لا يحصل عليه المرء إلا بعد اجراءات واختبارات شديدة الصرامة ..

وهناك قسم تابع الى المكتبة ومعزول عن بقية الاقسام فلا يرخص لاحد بدخوله ، حتى لو كان عضواً في جماعة الاخوية .. الدخول متاح حصراً لمن هم في الطبقة العليا من التنظيم الهرمي ، أي النخبة من السحرة . ولقد كان ذلك القسم مخصصاً بالكامل كارشيف منظم لكل ما له علاقة بموضوع السحر والمعرفة الباطنية .. وخاصة تلك الكتب والمجلدات التي دونها طلاب السحر الاوائل في مغارة هاروت وماروت ..

[وأتوقف هنا لتوضيح التباس قد يقع في فهم كلمة (الباطنية) . فالمصطلح عند المسلمين عموماً يشير الى تلك الفرق الضالة التي تأولت آيات القرآن وزعمت أن لها ظاهراً وباطناً .. والحقيقة انني اتناول المصطلح في الكتاب وفقاً لمعناه الاصلي كما ابتدعته جمعية الايلوميناتي وفرق المجتمعات السرية ، ومزاعمهم قائمة على وجود نوع من المعرفة الخفية أو الباطنية Esoteric Knowledge ، وان اسرارها محصورة ومحفوظة لدى النخبة أو الخواص من عبدة الشيطان !] .

○ ○ ○

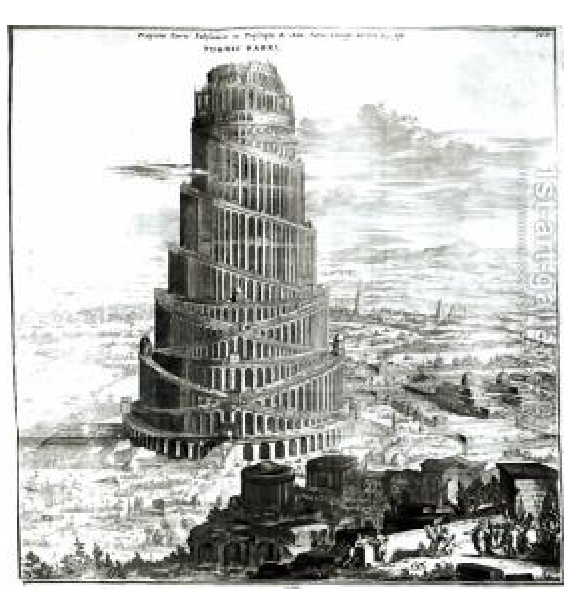
ولقد حاول بعض الرسامين الاستعانة بما جاء في الاساطير والاخبار التاريخية عن مواصفات وأبعاد البرج ، وذلك في محاولة لتصويره ولو بأشكال مقاربة لشكله الحقيقي وليست مطابقة له بالضرورة .. وكان الاختلاف قائماً حول نمط بناء البرج واذا ما كانت طوابقه اسطوانية أو مربعة الشكل !

[كان للبعض تصوراتهم بشأن تصميم البرج ومماثلته للهرم غير المكتمل ــ والهرم اليوم هو الرمز الاشهر من رموز الماسونية والمجتمعات السرية !] .

هذه نماذج مما انتجته محاولات الرسامين :







○ ○ ○

جرى توظيب بقية الطوابق في برج بابل لاغراض اخرى . ثمة متاحف ولوحات وتماثيل ونصب تذكارية .. كل ما من شأنه ان يعظم ويؤرخ لعهد الطبقة المستنيرة وآلهتها المفترضة في بابل . وفي الطبقة العليا من البرج وقريباً من قمته غير المكتملة ، كان هناك الهيكل او منزل الشياطين الرئيسي ، وهو بمثابة مقر الاجتماع الدوري لكبار السحرة مع كبار الشياطين من عالم الظلام ــ وعلى رأسهم الثالوث المقدس في عُرف المتنورين ..

كانت مقاسات البناء في هذا الهيكل مضبوطة بدقة بحيث تتسع لمقادير الطاقة السلبية المطلوب توليدها في طقوس السحر من اجل استدعاء الشياطين . كان اشبه بكهف ذي أبعاد متناسقة ، وكانت الحيطان غنية بالنقوش والرموز الشيطانية ، الاهرام والشمس والبروج والنجوم والصلبان ... ويقع المذبح في ركن منه ، وهو الموضع المخصص لذبح القرابين الحيوانية والبشرية لصالح الآلهة .. آلهة برج بابل !

في ذلك الموضع وبعيداً عن العيون والآذان ، كان أفراد النخبة يقومون بطقوس الكابالا الدموية ... يرقصون وينشدون التعاويذ ويسفكون الدماء ويمارسون الجنس مع جثث الضحايا !

ولم تكن لدى العوام من شعب بابل فكرة واضحة عن حقيقة ما يدور في ذلك الجزء العلوي من البرج . قيل لهم ان ملكهم النمرود كان محظوظاً بشرف الارتقاء الى أعلى البرج من أجل ملاقاة الملائكة ــ أو الآلهة المقدسة ، لتعطيه بركاتها وتغدق عليه من فيض نورها وحكمتها ... وقيل لهم ايضاً ان سومر موعودة في يوم من ايام مستقبلها الزاهر بحدث كبير ، تتوج فيه الآلهة مسيرتها في الارض بمجئ كبير الآلهة واحتلاله ذلك الجزء الناقص من القمة ، وبظهوره يكتمل البرج ويسود السلام والرخاء في سائر البلاد !

واجمالاً .. حققت الاخوية غرضها من بناء البرج الذي كان بدنه الهائل يلوح للناظرين اليه من على بعد أميال . وتهافت الناس على زيارة بابل ، قادمين الى ربوعها من مختلف البلدان والبقاع في العالم ، وكلهم آمال معقودة على التواجد ــ ولو كعابري سبيل ــ في ارض سمعوا عنها الكثير .. الحقول المثمرة والسهول الخضراء والمياه الوفيرة والأعاجيب التي تخطف العيون . وكيف أن آلهة خارقة كانت تجتمع في البرج الفخيم وتمنح عطفها لقوافل الوافدين اليها بلا حساب !

كذلك اصبح البرج مركز جذب لصنف خاص من الناس .. موجات تلو موجات من المثقفين ومحبي العلوم والغرائب ، قدموا من مشارب وجنسيات متنوعة ، وكانت سومر بالنسبة لهم راعية العلم والعلماء . ولقد كانوا مستعدين لكل ما تطلبه منهم الاخوية في سبيل ان تفتح لهم باباً الى عالمها المثير ..

ووجدت الاخوية أنها استقطبت أعداداً لا بأس بها من العلماء والاذكياء ، وهؤلاء يصلحون لتوسيع قاعدتها المستقبلية . فراحت تخضعهم لاختبارات معينة ، وتفرز من تراه تواقاً أكثر لتلقي المعرفة على حساب كل ما يؤمن به من الدين أو التقاليد ، فتقبل في النهاية انضمامه كعضو جديد في صفوفها .

ومن ناحية اخرى اكتشفت الاخوية أن في امكانها أن تستغل كل هذا الحضور العالمي في عاصمتها ، إذ انه يعتبر أصلح الاجواء لنشر مفاهيم العقيدة الشيطانية وتكريس ألوهية الانوناكي فيما هو أبعد من حدود الامبراطورية ..

○ ○ ○

ومضت سنوات ، وتعاقبت أجيال ..

وخطر للشياطين ان الوقت حان لاضافة بعض التحسينات الى عقيدة الكفر المتفشية في أهل بابل ، سيكون هذا ضرورياً اذا ما أرادت الاخوية أن تحافظ على حكمها وتضمن دوام سيطرتها على العوام .. ومنطق التفكير ان السيطرة على الاجيال الجديدة من البابليين يعوزها ما هو أكثر من عقيدة مأثورة عن الآباء والاجداد ، تقدس الاجرام السماوية وتعبد الاصنام ...

كانت المادية في ذلك الوقت قد استشرت وهيمنت على النفوس . وكان هذا في جزء منه نتيجة طبيعية لدعوة النظام العالمي الجديد . وهو في مضمونه يعني : النظام العلماني الجديد ، او النظام المادي الجديد New Secular Order, or New Materialism .. وتركيبة العقول الخاضعة لنظام كهذا لا تتعب تفكيرها بالغيبيات ، ولا تعترف عادة إلا بما هو مادي ومحسوس امامها ، وما عداه محض اوهام وهلوسات لا قيمة لها .. فما الذي قد يحدث لو بدأت العقليات الشابة بمراجعة موقفها من مجمع الآلهة الذي لم تره في حياتها ؟!

ولان الاخوية الشيطانية لا تطيق تدخل المصادفات في خططها ومساراتها .. فانها وجدت نفسها مضطرة الى تقديم إله جديد وغير مسبوق الى عامة البابليين .. إله تقع عليه عيونهم ويشعرون ببأسه وجبروته عليهم !

ومع تعذر احتمال ان يتجسد ابليس نفسه ــ أو احد مساعديه ــ بشكل مطلق في كل الاوقات والظروف ، وخارج قوانين الانتقال بين البعدين او العالمين ، فان الضرورة بعد ذلك ألجأت الاخوية الى القبول بحل وسط : ستمنح البابليين الإله الذي يريدون ، وسيكون هذا واحداً من البشر أنفسهم !

وسواء طالت المداولات في هذا الشأن أو لا ، فان الاختيار في النهاية وقع على شخص الحاكم النمرود ، وفيه من الخصائص التي تلهم وتغطي الحاجات النفسية للباحثين عن رمز إلهي ــ مرئي ومسموع ! ... رجل جبار وحاد الذكاء ، ذو شخصية متفوقة في كافة المجالات التي يحتاجها من يلعب دور الآلهة امام الجمهور باقتدار .. والمعروف عنه أنه حاكم صارم وفاتح عسكري ملأت أصداء انتصاراته العسكرية الآفاق ، حتى استحق عن جدارة لقبه الشهير : ملك الجهات الاربعة .

وفي يوم من الايام فوجئ الناس بان لائحة الآلهة المقدسة في سومر قد زادت واحداً !

خرج الكهنة يعلنون بان : آلهتهم راضية عن الحاكم نمرود ، وهي تقدّر له حسن انجازه خلال سنوات حكمه الطويلة ، ولذلك فقد قررت ان تكافأه المكافاة التي يستحقها وتضفي عليه قدراً من (ذاتها الإلهية) ليصبح في مصاف الآلهة المعبودة في سومر ، وانها بذلك تعطيه تفويضاً مطلقاً في تقرير شؤون الامبراطورية !

وبهذا الاعلان الكهنوتي تحول النمرود من حاكم باطش يحكم تحت حماية الانوناكي الى مدع للربوبية .. لكن جمهوراً عريضاً في بابل تقبل المفاجأة واستجاب للادعاءات فرحاً ومُرَحباً ــ بغير وقفة للتفكير أو التدقيق !

وفي حين أن نسبة من البابليين بقيت إزاء هذا الامر ساكتة وتائهة بين التصديق والتكذيب ، فان الاخوية كانت من المرونة بحيث انها تركت المجال مفتوحاً للناس ، ليختار كل منهم الرب الذي يوافق هواه ويريح ضميره !

انها (التوليفة) الاصلح لغواية الناس على اختلاف فئاتهم وميولهم الدينية :

■ فئة تميل الى ربط مصائرها بالكواكب والنجوم ، وفي وعي أصحابها انها تمثل التجسيد الامثل للربوبية ، وفي أطيافها وأفولها علامات وشواهد يستدلون من خلالها على رضى الآلهة او سخطها عليهم !

■ وفئة تفضل اقتناء الإله الذي تريد ــ من بين المئات منهم ... تضع صنمه داخل بيوتها حارساً لها وكافلاً لرزقها !

■ وفئة تدين بولاءها للنمرود ، فهو في نظرها صاحب الثروة والقوة والسلطان في آن واحد .. وتلك ميزات لها جاذبية أفضل مما في الانماط الباقية من الآلهة المبجلة !

○ ○ ○

ويمكن القول ان الامبراطورية السومرية قد بلغت أوجها في تلك المرحلة .

ولعل الدرس الاهم في تاريخ امبراطوريات الشر ان نقطة الذروة في مسيرة صعودها هي نفسها نقطة الانقلاب في تلك المسيرة ، لتجتازها بعد ذلك الى مرحلة نزول لا تشعر به القوى الامبراطورية ولا تحسب حساباً لاحتمالاته .. والغالب ان قوى الشر لا تعي هذا الدرس البليغ ولا تعتبر به من حالات امبراطورية سبقتها زمنياً وسارت قبلها على الطريق ذاته ــ صعوداً الى القمة ، وتحولاً الى النزول البطئ ، ثم لا تلبث أن تنحدر الى حالة من الهوان والضعف قبل فاجعة السقوط النهائي !

إنه قانون ثابت تاريخياً ، مهما عاندت قوى الشر ، ومهما رصدت من عوامل القوة والغنى لتضمن بقاء امبراطوريتها في القمة لاطول فترة ممكنة ، بل ومهما قاومت واستبسلت بعد ذلك لتتفادى مرحلة النزول أو تقلل من وطأة تداعياتها .. والتذكير بهذا القانون هو ما نلمسه في آيات القرآن الكريم ، وفيها عرض يتكرر لمنهاج الدعوة للانبياء

والرسل (عليهم السلام) ، يدعون أقوامهم للعودة الى رشدهم ، ويذكرونهم بمصائر أمم وامبراطوريات عاتية سبق لها أن كابرت حتى النهاية واستهانت بالعقوبة الإلهية ، فكان مشهد انهيارها الحتمي في خاتمة المطاف بالغ القسوة والمأساوية .

○ ○ ○

وفي حالة الامبراطورية السومرية لحظة وصولها الى القمة ـــ وهي لحظة حرجة كما قلنا بالانقلاب من الصعود الى النزول ، فيبلغ فيها الغرور ذروته ... فان الطبقة المستنيرة أخذت تتعامل مع الاشياء كما لو انها ستظل القوة القاهرة الى الابد ، وراحت بذلك تعمل وتوسع من قاعدة المنتمين الى أخويتها ..

ومن يتابع ممارسات الاخوية عبر التاريخ يجد انها كانت لا تكتفي بدعوة المفكرين والعلماء البارزين اليها ، بل ان قسطاً من اهتمامها كان موجهاً لدعوة اشخاص آخرين من طراز المبدعين وأصحاب المهارات .. ونعني بذلك الفنانين !

وأهل الفن لهم اختصاصات ومواهب متعددة ، منها الرسم والنحت والنثر والشعر والموسيقى والغناء .. ولقد اختارت الاخوية أن تكون الراعية لكل هؤلاء ، بمقدار ما كانت راعية لاهل العلم .

[تماماً كما فعلت عوائل الاخوية في أوربا حين دعمت كبار الفنانين والمفكرين في عصر النهضة ـــ من القرن الرابع عشر الى القرن السابع عشر ـــ واعتبرتهم اخوة شرف في الاستنارة !] .

وترتب على ذلك أن ازدهرت في ذلك الوقت طبقة الفنانين في سومر وعلا شأنها على قدم المساواة مع طبقة العلماء والمثقفين ، فكان اصحابها يعيشون ترفاً في المعيشة وفرته لهم قيادات الاخوية ، وكانت اعمالهم الفنية ـــ وخاصة تلك التي كانت تزين مداخل وجدران المعابد السومرية ـــ محط تقدير وتكريم دائمين .

من هؤلاء الفنانين الذين قربتهم الاخوية واحتفت بأعمالهم : شخص يدعى آزر !

كان آزر نحاتاً بارعاً ، وفوق ذلك فانه كان رجلاً واسع الاطلاع ، ومؤمناً أشد الايمان بعقيدة الاخوية ومفاهيمها الشيطانية .. أعجبت النخبة باعماله الفنية ، وهي في مجموعها تماثيل ومنحوتات تمجد للحكم الشيطاني في بابل .. ووصل الحال بعدها الى ان الطبقة المستنيرة قد أوكلت اليه مهمة صناعة الاصنام التي تمثل آلهة الانوناكي . وكان هذا بمقاييس ذلك العهد شرفاً لا يحظى به كل نحات !

ومع الوقت توثقت اواصر علاقاته مع الاخوية ــ ومع طبقة الكهنة تحديداً .. فكان مصرحاً لآزر ولافراد اسرته الدخول الى المعابد والتعامل مع طواقمها على اختلاف مراتبهم ووظائفهم ، وهو أمر نادر الحدوث بالنسبة لمواطني بابل في تلك الحقبة !

وبالاضافة الى صناعة الاصنام ذات الاحجام الكبيرة في المعابد ، ازدهرت صناعة الاصنام ذات النماذج المصغرة التي كان سكان بابل يقبلون على شراءها لتكون حرزاً يحمي منازلهم ومحلاتهم .. وكان آزر بالذات واحداً ممن حقق النجاح في هذا الصدد وازدهرت تجارته لتلك النماذج المصغرة من (الآلهة) !!

○ ○ ○

ورُزق آزر بولد أسماه ابراهيم ...

[وابراهيم كلمة مركبة في العربية القديمة ، وتعني : الأب الرحيم] .

وكانت عشرة قرون ــ أو أجيال ــ قد انقضت منذ وفاة نوح (عليه السلام) . فعن أبي امامة الباهلي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ((... وبين نوح وابراهيم عشرة قرون)) . [أورده الالباني في السلسلة الصحيحة ، ٣٢٨٩] .

نشأ ابراهيم في ذلك المجتمع الغارق في الوثنية والانحلال الاخلاقي .. لكن شأنه كان غريباً في التعامل مع كل ما يراه ، وبدا واضحاً انه في سنه المبكرة تلك كان يفوق اقرانه في استيعابه ووعيه للاشياء من حوله !

لم يسجد الفتى لصنم قط ، ولم يشارك والده في نحت الاصنام او بيعها .. كانت نفسه مترفعة عن كل شرك ورجس ، وكان ذلك من هدي الله سبحانه له ..

﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ** ﴾ الانبياء ٥١

وراح الفتى يبحث عن حقيقة الالوهية والخلق والمصير .. وكان صدره يجيش بحوار دائم لا ينقطع . لقد فتح عينيه على عبادة الاصنام ، فبدأ يتساءل : كيف يمكن لانسان عاقل ان يصنع صنماً بيديه ثم يسجد لصنعته هذه ؟ .. انها تماثيل جامدة لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم . وأكثر من هذا فانها لا تملك الدفاع عن نفسها لو اوقعها أحدهم وكسرها . كيف يتصور الناس انها آلهة تضر وتنفع ؟!

وما لبث ابراهيم ان نقل خواطره وتساؤلاته الى أبيه ، وحاول عبثاً أن يقنعه ببطلان القدسية عن تلك الآلهة المزعومة ..

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ • ﴾ الانعام ٧٤

ولم يقتنع آزر بمنطق النقاش . صدمته آراء ولده بشأن الآلهة وكان غاضباً أشد الغضب من سماعها . وبالنسبة له فان ولده قد اقتحم منطقة محظورة ، وهذا يعتبر انحرافاً في مسيرة كان الوالد يرجوها لولده كي يرتقي مستقبلاً الى موقع قريب من النخبة المستنيرة في دولة سومر !

لكن الفتى كان قد حسم أمره مع عقيدة الاصنام ، وهنا قرر أن يتحول بأفكاره وخواطره الى القسم الثاني من الديانة الوثنية في بابل : الاجرام السماوية !

وبعفوية الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، انصرف ابراهيم الى التأمل في ملكوت السماوات والارض . تكررت جولاته في البرية واخذ يسرح ويطيل النظر في موجودات الطبيعة ... الاعشاب والازهار والحيوانات والطيور والانهار والجبال . انها حياة تتناسق حركتها في تنظيم دقيق وبديع !

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ • ﴾ الانعام ٧٥

توزعت الجولات والتأملات في الليل والنهار على حد سواء ، فكان ابراهيم يجلس وحيداً يراقب السماء بصمت . يتطلع الى ما فيها من ظواهر .. الشمس والقمر والنجوم والكواكب .. وشاء الله أن يلفت نظر ابراهيم الى آيات الكون ..

هل يعقل ان تكون هذه الاجرام في الحقيقة تجسيداً لآلهة تدبر امور الناس ولا تسهو أو تغفل عن الخلق والعباد ولو لحظة واحدة ؟!

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ • فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ • فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ • إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ • ﴾ الانعام ٧٦ ــ ٧٩

[جنّ الليل : ستر الكون بظلامه ، أفل : غاب ، بازغاً : طالعاً ، فطر : أوجد وخلق ، حنيفاً : مائلاً عن الباطل الى الحق] .

لقد آتى الله ابراهيم رشداً ونفاذ بصيرة . ومن هنا انطلقت بعثته (عليه السلام) .

○ ○ ○

وكانت البداية من داخل البيت .. مواجهة مع آزر ، الاب والنحات المقرب من الطبقة المستنيرة .. فحدثه ابراهيم (عليه السلام) في أدب جم ...

﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ • إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً • يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياًّ • ﴾ مريم ٤١ ــ ٤٣

[سوياً : مستقيماً واضحاً] .

واستطرد ابراهيم (عليه السلام) الى الربط المباشر بين عبادة الاوثان وعقيدة الايلوميناتي الحقيقية : عبادة الشيطان . ولعل آزر كان عارفاً لهذا الامر بشكل أو بآخر ..

﴿ يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِياًّ • يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِياًّ • ﴾ مريم ٤٤، ٤٥

وبلغ غضب آزر منتهاه :

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِياًّ • ﴾ مريم ٤٦

[أراغب عن آلهتي: أكاره لآلهتي ، لأرجمنك : ارميك بالحجارة ، اهجرني ملياً : اجتنبني وفارقني دهراً طويلاً] .

ووقف الاثنان عند مفترق الطرق ... واجاب ابراهيم (عليه السلام) :

﴿ قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِياًّ • وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياًّ • ﴾ مريم ٤٧، ٤٨

[حفياً : رحيماً لطيفاً] .

○ ○ ○

واتسعت دائرة الدعوة الى خارج البيت . ومضى ابراهيم (عليه السلام) يدعو الاقارب والمعارف والاصدقاء ، ومن ثم عامة البابليين .. يدعوهم الى الحق ونبذ الديانة الوثنية ، لكنهم رفضوا الاستجابة لدعوته وأصروا على الكفر ...

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ • إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ • قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ • قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ • أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ • قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا

كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ • قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ • أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ • فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ • الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ • وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ • وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ • وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ • وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ • ﴾ الشعراء ٦٩ ــ ٨٢

[عاكفين : منقطعين لعبادتها] .

وامتدت المناقشات بعد ذلك بين ابراهيم (عليه السلام) ومعارضيه ...

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ • وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ • وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ • ﴾ الانعام ٨٠ ــ ٨٣

[حاجّه : جادله وخاصمه] .

﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ • قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ • قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ • قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ • قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ • ﴾ الانبياء ٥٢ ــ ٥٦

﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ • أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ • فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ العَالَمِينَ • ﴾ الصافات ٨٥ ــ ٨٧

[أئفكاً : أكذباً وبهتاناً] .

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ • إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاغُ المُبِينُ • ﴾ العنكبوت ١٦ ــ ١٨

○ ○ ○

ورأى ابراهيم (عليه السلام) أن يرفع درجة الصدمة في قومه . وكان المطلوب هذه المرة الاقدام على فعل جرئ وغير مسبوق ، يتكفل باحداث هزة تضرب المؤسسة الاكثر نفوذاً وتأثيراً في حياة البابليين : المعبد .. والهزة يجب أن تستهدف قلب المعبد بالذات ، أي القاعة الرئيسية ، حيث تنتصب هناك أصنام كبار الآلهة السومرية ..

﴿ **وَتَاللَّه لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ •** ﴾ الانبياء ٥٧
[لأكيدن : لأدبرن مكيدة ، مدبرين : منصرفين] .

كان الفتى مستعداً لالقاء نفسه في بؤرة الخطر في سبيل دعوته وقضيته !

اختار هدفه وأعد خطته اللازمة ، ثم حدد لتنفيذها يوماً ينصرف فيه الكهنة وموظفي المعبد الى اجتماع ديني على أعلى درجات الاهمية ...

[ولعله كان عيداً من أعياد عبادة الشمس ، وكان يقتضي ان تتوجه الجموع الى ساحة برج بابل من أجل اداء مراسم الاحتفال (بالشمس التي لا تقهر) !] .

وفي الموعد المحدد اسرع ابراهيم (عليه السلام) متخفياً الى المعبد .. وجد طريقاً سالكة فتسلل الى الداخل حتى وصل الى المبنى الرئيسي ، وألفى اكداس القرابين قد جمعت في وسط المذبح .. توقف عند أصنام الآلهة المزعومة وجعل يصيح متهكماً ...

﴿ **فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ • مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُونَ •** ﴾ الصافات ٩١، ٩٢
[راغ : مال اليها متخفياً] .

كان يحمل بيمينه اداة للتحطيم ، فانهال ضرباً على التماثيل ...
﴿ **فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ •** ﴾ الصافات ٩٣
[فراغ عليهم : فأقبل عليهم] .

واحالها كلها فتاتاً وحطاماً ، لكنه ترك كبير الاصنام لعل القوم يرجعون اليه ...
﴿ **فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ •** ﴾ الانبياء ٥٨

ثم خرج ، تاركاً وراءه تلك الفوضى العارمة تعمّ المكان ..

○ ○ ○

وكان مشهداً مروعاً ينتظر الكهنة لدى عودتهم الى المعبد ، وكثر فيهم اللغو والصياح :
﴿ **قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ •** ﴾ الانبياء ٥٩

وحامت الشبهات حول شخص واحد كان معتاداً على ذكر آلهتهم بسوء ...
﴿ **قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ • قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ •** ﴾ الانبياء ٦٠، ٦١

وضج المعبد بحضور شعبي غفير . وجاؤوا بابراهيم (عليه السلام) للمثول امامهم ...
﴿ **قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ • قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ •** ﴾ الانبياء ٦٢، ٦٣

تحيّر الكهنة وقد أسقط في أيديهم .. وطال التردد لبعض الوقت ، هل يسلموا بصدق الفتى ويقبلوا حجته الدامغة امام الملأ ، وذلك مؤداه بغير شك أنهم يعلنون العصيان ضد الطبقة المستنيرة ؟ ــ وهو عصيان له عواقبه وتكاليــفه الباهظة التي لا يقدرون على تحملها ... ام أن الخيار الأسلم بان يكملوا الشوط حتى النهاية ويلتفوا على حجة الفتى ؟

﴿ **فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ • ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ •** ﴾ الانبياء ٦٤، ٦٥
[نكسوا : رجعوا وارتدوا] .

وردّ عليهم ابراهيم (عليه السلام) موبخاً :
﴿ **قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلايَضُرُّكُمْ • أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ •** ﴾ الانبياء ٦٦، ٦٧
﴿ **قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ • وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ •** ﴾ الصافات ٩٥، ٩٦

ساد الاضطراب في المعبد ، وسرت الهمهمات بين الموجودين ، غير ان آراء الكهنة في النهاية تلاقت على القرار بالتخلص من ابراهيم (عليه السلام) :
﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ •** ﴾ الانبياء ٦٨

صدر الحكم باعدامه حرقاً . سيتم احراقه حياً في ساحة عامة وسـط العاصمة السومرية . عقوبة شيطانية مدروسة لايقاع الرعب والذعر في النفوس .. ولابد أن يكون الشعب البابلي شاهداً على هذا الحدث الذي ستظل ذكراه الشنيعة حية في ذاكرة الجميع ...

[وعقوبة الاحراق ما تزال جارية حتى اليوم . تنزلها الطبقة المستنيرة في بعض الحالات على من تراه عدواً او طرفاً مناوئاً لها ، يعرقل تقدمها ويقف متصدياً لبرامجها الشريرة !] .

﴿ **قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ** • ﴾ الصافات ٩٧

لقد أعد السومريون لابراهيم (عليه السلام) محرقة هائلة ، إذ شيدوا بنياناً أو حاوية تستوعب كميات ضخمة من الوقود والمواد الحارقة ..

○ ○ ○

﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** • ﴾ العنكبوت ٢٤

ذاع النبأ في عموم الامبراطورية ، وحضر البابليون من كافة المدن والمقاطعات ليشهدوا عقاب الشخص الذي تجرأ على آلهتهم وسخر من كهنتهم !

اضرمت النيران في البنيان فارتفع لهيبها كالجبل العظيم . وسرعان ما انتشرت حرارتها في الفضاء ، وبدا خيار الاقتراب منها أمر مستحيل . ولم يكن امام القوم سوى ان يستعينوا بآلة لالقاء ابراهيم (عليه السلام) في سعيرها من على مسافة آمنة ..

وجئ بابراهيم (عليه السلام) .. وكان رابط الجأش في ذلك الموقف العصيب . تعالت هتافات التحريض .. فقذفته الآلة ، واخترق جسده المنقذف دوامة السعير الملتهب ..

﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ** • ﴾ الانبياء ٦٩

وانفجرت الساحة بالاهتياج والفرح الوحشي . وتسمرت العيون أمام مشهد النيران التي بدت لهول ألسنتها وأدخنتها المتصاعدة وكأنها لن تخمد أبداً ..

لكنها خمدت في النهاية .. وكانت مفاجأة عقدت لسان البابليين ...

﴿ **وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ** • ﴾ الانبياء ٧٠

لم تصدق الجماهير ما كانت تراه أمامها .. ثمة حركة لجسم يشق طريقه من بين الضباب الاسود .. لقد خرج ابراهيم (عليه السلام) على مرأى ومسمع من الجميع ولم يمسسه أذى أو سوء !

معجزة باهرة .. خارج قوانين الطبيعة ــ التي كان مفترضاً انها تقاد وتسيّر تحت سيطرة الانوناكي ، وباشراف الآلهة إنانا أو الطبيعة الام بالذات ! ... فكيف تعجز الآلهة عن معاقبة معارضيها والمتمردين على قوانينها بهذا الشكل ؟!

سرت البلبلة في صفوف الناس ، وحاول الحاضرون من أعضاء النخبة أن يتمالكوا اعصابهم قدر المستطاع .. لقد بدأ زمام الأمور يفلت من بين أيديهم .. هناك تعليقات وهمسات مضطربة في كل مكان ، مما يعني ان كفة الموقف ستميل لصالح الفتى اذا لم يتصرفوا بشكل عاجل ...

وتقدم ابراهيم (عليه السلام) من الجموع مخاطباً اياهم :

﴿ **وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ •** ﴾ العنكبوت ٢٥

[مودة بينكم : أي اجتمعتم على عبادتها لاجل ان يدوم التواصل والود بينكم] .

○ ○ ○

أصبحت الاخوية شبه مقتنعة بانها تقف في مواجهة قوة قاهرة ، وهي قوة لن تنفع معها وسائل العنف التقليدية ، فلو حصل أنها سعت الى إيذاء الفتى مرة ثانية وتكرر اخفاقها على هذا النحو المهين فذلك سيعني ولا شك ضربة قاصمة ونهائية لآخر ما تمتلكه من هيبة ورهبة في نفوس البابليين ..

كان لابد من اللجوء الى اساليب اخرى .. وقررت الاخوية ان تلقي بورقتها الاخيرة ، وكان التقدير انها ستستطيع هزيمة الفتى اذا ما واجهته في مناظرة .. مناظرة علنية تجمعه مع الشخص الاقوى والاكثر دهاء من بين افراد النخبة المستنيرة : النمرود !

﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ •** ﴾ البقرة ٢٥٨

حدثت المناظرة بين الاثنين . ولعلها كانت واحدة من أسرع وأغرب المناظرات في التاريخ البشري . وكان النمرود هو البادئ بالكلام :
((من ربك الذي تدعو اليه ؟)) .

وردّ عليه ابراهيم (عليه السلام) :
((ربّي الذي يحيي ويميت)) .

وفي استخفاف ينبئ عن حماقته ، قال النمرود : ((أنا أحيي وأميت)) . واستدعى على الفور اثنين من السجناء محكوم عليهما بالاعدام ، فأمر حراسه باطلاق سراح السجين الاول وإلحاق العقوبة بالسجين الثاني !

كان هذا تحايلاً ساذجاً من النمرود على مسألة الحياة والموت ، لكن ابراهيم (عليه السلام) كان سريعاً في مبادرته ، فانتقل متجاوزاً الى نقطة اخرى :
((إن الله يأتي بالشمس من المشرق ، فأتِ بها من المغرب)) .

وساد الوجوم .. ولم يجد دهاء النمرود في تدارك الموقف ، إذ بقي عاجزاً عن الرد وقد أفحمته حجة الفتى وأصابته في الصميم ، فسكت مغلوباً على أمره !

ووسط دهشة الجميع ، انصرف ابراهيم (عليه السلام) .

○ ○ ○

﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ •** ﴾ العنكبوت ٢٦

سيرحل ابراهيم (عليه السلام) مهاجراً من بابل الى ارض الشام ، وسيصطحب معه من آمن ببعثته ، وهم في ذلك الوقت اثنان فقط : زوجته سارة وابن أخيه لوط . ولعله كان مشفقاً على البابليين ـــ خواصهم وعوامهم ـــ مما سيحل بهم من عذاب أليم ، وقد استكبروا على الحق بعدما شهدوه بانفسهم ..

وبرحيل الخليل اقتربت نهاية امبراطورية الايلوميناتي في بابل .. وليس في مقدور أحد ان يزعم معرفته لتفاصيل تلك النهاية بالضبط . لكن تبقى هناك بعض الاشارات والملامح التي يمكن الأخذ بها ... والارجح ان بداية النهاية كانت بسقوط برج بابل !

وقعت الكارثة في صباح أحد الايام ، وذلك استناداً الى ما تذكره نصوص الاسطورة التاريخية ـــ والتي قد تختلف وجهات النظر في اعتمادها كرواية أصلية أو استبعادها من الاساس ! ... تناهى الى الاسماع دوي تحطم هائل ، وكأن السماء قد تشققت وانفطرت الى

قسمين . ورفع الناس رؤوسهم الى الاعلى ، فتبين ان هناك تصدعات كبيرة قد اخذت تضرب وتتوغل على امتداد هيكل البرج .. ثم هوت من الاعلى قطعة مترامية من البناء ، فيما تعالت صيحات الفزع في الاسفل ..!

وراحت كتل الحجارة تتساقط وراء بعضها في تسارع مخيف وتدمر ما يقابلها أرضاً من المعابد والتماثيل والمنازل ، كما تسحق اجساد البابليين المتواجدين في نطاق سقوطها ... تطايرت الشظايا واختلطت بأشلاء الجثث ، ونشب حريق في طابق من طوابق البرج ، واذا بالنيران تتمدد كعاصفة هوجاء وتزحف الى بقية الطوابق ...

كانت النيران تلتهم ثروات الطبقة المستنيرة وتجهز على كل موجودات المكتبة من المجلدات ومخطوطات السحر والمعرفة الغنوصية !

ثم وقع الفاصل الختامي ... انهارت أساسات البناء بالكامل ، ومال البرج حتى سقط وتحطم صريعاً على الارض .. ركام متهالك ودخان متصاعد !

كان المشهد مرعباً لمن واتته فرصة النجاة ومراقبة المأساة الحاصلة .. وأضحت بابل في حالة فوضى عارمة .. وتحت ضغط الصدمة المفاجئة كان الناجون من اعضاء الطبقة المستنيرة يتساءلون في شأن البرج .. هل اخطأوا في تصاميم البناء ؟ .. هل أساؤوا تقدير الاحجام والمقاسات ؟ .. وهل تجاوز الارتفاع النسبة المسموح بها عادة والتي تتلائم مع مساحة القاعدة ..؟

ولقد تحولت التساؤلات في بعض اللحظات الى تبادل للتهم ، كل طرف يلقي بمسؤولية ما حصل على الآخرين ، الشياطين تعنف نخبة السحرة ، والنخبة تصب غضبها على من يليها في الترتيب الهرمي للاخوية ، علماء وخبراء ومهندسين .. وعلى كل حال ، لم يكن بوسع أحد ان يتصرف في تلك الاجواء لحصر الاضرار أو منع التداعـيات اللاحقة بعد ذلك !

﴿ **لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الَمصِيرُ** • ﴾ النور ٥٧

كانت العقول مشلولة في تفكيرها ، وكان الجميع ــ من الكبار الى الصغار ضمن تنظيم الطبقة المستنيرة ــ مستغرقين في الاحباط .. وفوق مشاعر الاحباط اُضيف ذلك الاحساس الرهيب بالكراهية والمقت تجاه بابل والبابليين ..!

والواقع أن طول الزمن ــ مقدراً بآلاف السنين ــ لم يساعد الطبقة المستنيرة على النسيان أو تجاوز الاحباطات من تلك الكارثة . وظل بعدها نداء برج بابل يستدعي ويحفز عوالق الجروح القديمة من جديد ، كما يوقظ مشاعر العداء ضد بابل التي كانت ارضها ــ

من وجهة نظر المستنيرين ــ شاهداً على قدرة الله .. القدرة الربانية العظيمة التي تجلت في لحظات خاطفة وأسقطت صرح النظام العالمي الجديد !

وفي مداواة مشاعر الانتقام وشفاء غليل الثأر ، لم يكن أقل من ان يعوض الخلف ما فقده السلف ، فكانت حروب الاخوية ضد العراق في العصر الحديث شحنة مجنونة من البغض والكراهية ، عمليات ذبح واستباحة أجريت على وفق تقاليد عبادة الشيطان لتقديم القربان المذبوح الى ذكرى آلهة برج بابل !

[ولا ننسى أنه في اعقاب تلك الساعات التي فقدت فيها الاخوية صرحها الشيطاني ، ثم ضيعت على أثره مشروعها الامبراطوري بالكامل ، فانها لم تكن تعلم ما كان مخبئاً لها في مقادير الزمان ، وأن احداثاً كبرى في طي المستقبل سيكون وقوعها سبباً اضافياً يزيد من كراهيتها تجاه بابل والبابليين ويعطيها دوافع أقوى لشن حملات الحروب ضد الارض وساكنيها !] .

○ ○ ○

انهار البرج ... ولحقت به بعد ذلك تداعيات أدت الى سقوط حكم النمرود والانهيار التام للامبراطورية السومرية .

أسباب السقوط مجهولة . وإن كانت محاولات التوصل الى معرفتها ــ بالنظر في منطق الاحداث والاشخاص والاشياء ، مع الحدس والاجتهاد في ربطها معاً ــ تقودنا الى مناقشة احتمالين اثنين :

■ أن السقوط الامبراطوري وقع نتيجة لكارثة كونية تفوق في هولها وفظاعتها ما حصل مع البرج .. عقوبة إلهية من عيار العقوبات الكبرى التي انزلها الله تعالى في كفار الاقوام السابقين بعد اعراضهم عن تصديق الانبياء واتباعهم ..

هل يجوز التفكير في هذا الاحتمال ؟ .. إن واحداً من الالواح الطينية المكتشفة من قبل الآثاريين والمختصين بالنصوص السومرية يصف لنا باختصار مشهد النهاية للامبراطورية السومرية دون الاحاطة بالكيفية التي تمت بها تلك النهاية .. وربما كانت اجزاء من النص مفقودة أو تالفة . والارجح ان من كتبه كان شاهداً على الحدث رغم أنه كان بمنأى عن الخطر .

والمهم أن النص المتوفر يصوّر واقعة مفزعة ... قوة مدمرة أبادت كل من في سومر وأتلفت خيرات البلاد !

يقول النص : ((على أرض سومر سقط بلاء ... بلاء غير معروف للبشر ، بلاء لم يُر مثله قط ، بلاء لا يُحتمل .. عاصفة هائلة من السماء ، عاصفة أرضية مبيدة ، ريح شريرة

كالوابل الجارف ... عاصفة قاتلة ومصحوبة بحرارة . في النهار حرمت الارض من الشمس الساطعة ، وفي الليل لم تسطع النجوم ... الناس مذعورون ، بالكاد استطاعوا أن يتنفسوا الريح الشريرة . لقد أمسكت بهم ولم تمنحهم يوماً آخر . كانت الافواه مشربة بالدماء ، والرؤوس متمرغة بالدماء . صارت الوجوه شاحبة بالريح الشريرة ... لقد جعلت الممالك مهجورة بائسة ، والمرابض مهجورة ، وزرائب الغنم فارغة . وجعلت انهار سومر تتساب بالماء المر . وحقولها المحروثة تنبت بالاعشاب الضارة ، ومراعيها تنبت ذابلة ... وهكذا ، فان آلهتها جميعاً هجرت أوروك .. اختفت في الجبال وفرّت الى السهول البعيدة)) .

■ والاحتمال الثاني ، ان السقوط جاء حتمياً وفق تسلسل مراحل طبيعي تمر به جميع الامبراطوريات الكبرى في التاريخ . وفي العادة ان يتعرف أصحاب الشأن على قرب المرحلة الاخيرة ويتكهنون بوادرها عند ملاقاتهم لعلامات محددة : استنزاف حاد للموارد ، تراكمات للمشاكل والمعضلات دون حلول ، تفكك للروابط التي جمعت وربطت عرى الامبراطورية اول مرة ، توقف للتقدم والانتشار العسكري ثم تراجع وانكماش مستمرين في رقعة الامبراطورية ، التعرض لتهديدات مباشرة دون القدرة على الرد او الردع ..

وفي أحوال مماثلة ، وعندما تتراكم العلامات ويتبدى أن لا امل يرتجى في انقاذ الامبراطورية المتهالكة من حتمية السقوط ، فان أفراد النخبة يستبقون لحظة السقوط الاخيرة بالفرار .. يغادرون المركب خفية قبل غرقها ومعهم حزمة مقتنياتهم الثمينة : أوراقهم ومخططاتهم التي تحوي علوم السحر وأسرار الحضارة .. فيقلعون بقوارب النجاة تاركين وراءهم مشهد المأساة الختامي ..!

[واغفال هذه النقطة بالذات ــ أي ظهور النخبة ثم غيابهم عن الصورة ــ هو ما جعل الكثير من الباحثين والمؤرخين يتحيرون في شأن الامبراطورية السومرية : كيف ظهرت فجأة ، ثم كيف زالت فجأة ؟ .. وكيف تسنى لها أن تبدأ عهدها وهي تتمتع بمستويات متقدمة من التطور الثقافي والمعرفي ، ثم تتداعى وتسقط على نحو هزيل وكأنها لم تكن شيئاً ؟ ... والحقيقة ان الحضارة لم تختف بالنسبة لاصحابها ولم ينقطع خط سيرها ، وكانت المسألة فحسب تغييراً للامكنة أوجبته الظروف وعوامل الزمن !] .

○ ○ ○

والنتيجة واحدة بعد كل شئ .. هزيمة نكراء لحقت بالمشروع الشيطاني ، وعودة قسرية الى نقطة الصفر ... لتدور الحياة دورتها من جديد !

وفي مرحلة ما بعد الهزيمة كان ابليس مهتماً بلملمة الشتات الذي أصاب فريق السحرة في بابل . وكان معظم هؤلاء في عداد المفقودين على أثر الكوارث والنكبات التي اطاحت بالحكم السومري ... ولا ندري اذا كانت المساعي الابليسية في هذا الشأن قد استغرقت

شهوراً أو اعواماً او قروناً ، فابليس صاحب أرادة لا تلين امام تحديات من هذا النوع ، ولقد أصبح خبيراً في ممارسة اللعبة ــ لعبة انشاء الامبراطوريات ثم مغادرتها قبيل تفككها وانهيارها ــ يحفظ تتابع فصولها عن ظهر قلب .

والمهم انه نجح لاحقاً في هذا الشأن .. اعاد من تبقى وحالفه الحظ في النجاة من فريقه القديم ، أو انه اضطر الى تأسيس سلالة جديدة من السحرة والمستنيرين ، مرّوا بمغارة هاروت وماروت ــ المصدر المعتمد عالمياً لتلقي علوم السحر . ثم نالوا نصيبهم من التعليم على يد الشياطين ــ وهؤلاء انفسهم قد اصبحوا خبراء متمرسين في عالم السحر وتقنيات الاتصال بين العالمين ...

ومع انتهاء مراحل إعداد وتنظيم الطاقم الجديد من النخبة ، فان ابليس اتخذ قراره بالهجرة عن بابل . فالامبراطورية القادمة لابد ان تضرب قوائمها في أرض ثانية ، وكانت الانظار تتطلع في اتجاه الغرب ... الى مصر !

انتهت بحمد الله فصول الجزء الاول من الكتاب
وتليها فصول الجزء الثاني بمشيئة الله .

إسماعيل عبد الله الجاف